المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

الإسلاميون الجزائريون

بين صناديق الانتخاب والأدغال

تأليف : سيفرين لابا ▪ ترجمة : حمادة إبراهيم

BIENTOT ETAT ISLAMIQUE!

534

المشروع القومى للترجمة

الإسلاميون الجزائريون

بين صناديق الانتخاب والأدغال

تأليف : سيڤيرين لابا

ترجمة : حمادة إبراهيم



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٣٤

- الإسلاميون الجزائريون

(بين صناديق الانتخاب والأدغال)

- سيڤيرين لابا

- حمادة إبراهيم

- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة كاملة لكتاب

LES ISLAMISTES

ALGÉRIENS

Entre les urnes et le maquis

تأليف :

SEVÉRINE LABAT

EDITONS DU SEUIL, 1995

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

المحتويات

الباب الثانى - اختيار الشرعية

الباب الثالث - ابتلاء العنف السياسى

مقدمة المترجم

بعد أن كانت الجزائر فى السبعينيات ، وبسبب نضالها من أجل الاستقلال الذى ضحت فى سبيله بمليون شهيد ، دولة رائدة على مستوى بلدان العالم الثالث ، إذا بها تعيش حرباً مدمرة لا اسم لها تقضى على الأخضر واليابس . وتأتى تجاوزات الجماعات الإسلامية المسلحة لكى تهز الرأى العام وتزلزله وتخفى وجوه الحركة الإسلامية المتعددة تحت قناع الإسلام .

لقد كانت جبهة الإنقاذ الإسلامى ، منذ مولدها فى عام ١٩٨٩ ، المعبّر الحقيقى عن حركة اجتماعية معارضة واسعة المدى . ومع ذلك ، فإن مفهوم الدولة الإسلامية المستقبلة ، لا يفتأ يغذّى مجموعة من الخلافات بين "التقنيين" الذين يدعون إلى إسلام عصرى ، وبين الثيوقراطية المتحمسين لثورة تطهير شاملة ، تلك الخلافات لا تخلو من عوامل خاصة وخصومات شخصيّة .

إن جبهة الإنقاذ الإسلامية – بوصفها حركة جماهيرية وحزباً ذا أطر اجتماعية – جزء لا يتجزأ من المجتمع الذى تعترف به وتحافظ عليه ، أصبحت لا تستطيع أن تحافظ على وحدتها بعد صدور القرار بإلغائها فى يناير ١٩٩٢ ؛ فبعد محنة القمع التى تعرضت لها الحركة الإسلامية ، أصبحت الجبهة منقسمة بين الإستراتيجية الدستورية التى تنتهجها إدارتها ، وبين الخيار "العسكرى" الذى انتهت إليه الجماعات المسلحة التى شكلتها قاعدتها .

وعلى صعيد الأحداث ، فإن الانعطاف الوبيل الذى انزلقت إليه الجماعات الإسلامية المسلحة ، سرعان ما جعلها تنجح فى الانفلات من رقابة جبهة الانقاذ الإسلامية وجيش الإنقاذ الإسلامى الذى يمثل الجناح العسكرى للجبهة .

إن استقطاب هذا الشباب المتطرف من ناحية ، والانخراط فى منظومة سياسية سلمية ، تلك هى التحديات الكبرى التى يواجهها الحوار .

وهذا الكتاب ، وهو ثمرة بحث جاد فى كل من فرنسا والجزائر ، يلقى الضوء على الأهداف الاجتماعية لجبهة الإنقاذ الإسلامية واستيلاء الإسلاميين فى الجزائر على الحكم ، ويقدم تحليلاً دقيقًا لأيديولوجية اجتماعية معارضة هى أداة الوصول إلى السلطة السياسية .

وأخيراً فالكتاب فى مجمله مجموعة من الدروس المهمة التى يفيد منها أطراف الصراعات الأيديولوجية والسياسية التى اجتاحت وما تزال تجتاح مناطق كثيرة من العالم المعاصر . وإن مثل هذه الدروس لجديرة بأن تجنب الانزلاق إلى الغلوّ وإلى الهاوية التى لا تبتلع الأطراف المتصارعة وحدها ، بل تقضى أيضًا على الأبرياء وتهلك الحرث والنسل وتدمر القيم وتشيع الفساد .

إهـداء

إلى نـانـو   و   ج٠م٠ب

تقديم

مجموعة الخرائط الموجودة فى ثنايا نص هذا الكتاب تم تنفيذها بالتعاون مع ميشيل فوشيه ، المدير العام للمرصد الأوربى للجغرافيا السياسية (O E G) ، فله الشكر الجزيل لمعاونته القيمة .

حينئذ فقط ، سوف تعلمون أن العادل والذى سقط هما إنسان واحد ، واقف بين الكلب والذئب، بين ليلٍ ذاته القَزْمية ونهارٍ ذاته الإلهية .

(خليل جبران ، النبى)

وإذ استولى علينا الرعب، وجدنا أنفسنا محاصرين بالمد اللانهائى من العقول المعتمة القاصرة التى تسلبنا وتنتزع منا حقائقنا لكى تشوهها ، لكى تسطحها، لكى تحولها إلى أدوات لعواطفها الخاصة .

(فيتو لد جومبر فيكس)

اليوميات، ١٩٥٣ ، ١٩٥٦

هى مناورات ؛ الهدف منها ليس الحل [...] بقدر ما هو تقوية الثقة ، والحرية التى يشعر كل منا أنه فى حاجة إليها لحظة اتخاذ القرار .

(إرنست جو نجر ، هليوبوليس)

شكر وعرفان

أقدم جزيل شكري لريمي ليڤو على عونه وتشجيعه لي . فهذا الكتاب يدين له بالكثير من النصائح التي أسداها لي أثناء السنوات الثلاث التي استغرقها البحث في الجزائر . كما أعبّر عن امتناني وعرفاني لكلّ من قدم لي يد العون في الجزائر وخارجها ، فبدون مساعداتهم ما كان هذا الكتاب ليرى النور .

المقدمة

مطار هوارى بومدين فى الجـــزائر العاصمة ، الرابع والعشــرون من ديسمبر عـام ١٩٩٤ . فرقـة كـومـاندوز إسـلامـيـة تقـتـحم طائرة ركـاب تابعـة لشـركـة الطيـران الفرنسية (إيرفرانس) متجهة إلى باريس وتقوم باحتجاز ٢٣٨ راكبًا كرهائن . أفراد الكوماندوز فى نحو الخامسة والعشرين من العمر يرتدون ، بالتواطؤ مع بعض الجهات الداخليـة، زى العـامـلين فى مطار الدار البـيـضـاء . يـحيى عـبد الله ورفـاقـه الثـلاثة المسلحون يستعدون ليعيشوا أروع ربع ساعة فى حياتهم ، لحظات المجد. بعد قتل أحد رجـال الشـرطة الجـزائريين، وآخـر فـيتنامى الجنسـيـة ، ويطالبـون السلطات المحليـة بالإفراج عن " **عباس مدنى** " و " **على بن حاج** " ، زعيمى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهمـا فى السـجن منذ يونيـو ١٩٩١ ، وكذلك إطــلاق سـراح **عبدالله ليادا (Layada)** الأمير السابق للجماعات الإســلامية المسلحــة (GIA) والمحكوم عليه بالإعــدام فى يونيو ١٩٩٤ . غير أن المطلب الرئيسى للمهاجمين كان شيئًا آخر ، فهم مطلوبون من السلطات الجزائرية ومحكوم عليهم بالإعدام مع التنفيذ، لذلك فقد كانوا يسعون إلى تحقيق " خروج صاعق مذهل " وبمطالبتهم بأن تقلع الطائرة إلى باريس بأسرع ما يمكن ، كان الإرهابيون الشبان يريدون الضغط على حكومات الغرب المؤيدة للنظام الجزائرى . وبذلك تصبح فرنسا ، على الرغم منها ، طرفا أساسيا فى مأساة الجزائر .

أمّا العسكريون الجزائريون فكانوا لا يريدون تقـديم فرصـة سـانحة للإسـلامـيين الشبان لتحويل هجومهم إلى انتصار سياسى . واستقر عزمهم على وضع حد سريع، ولو بالقوة، لفترة تسىء إلى صورتهم، فى الخارج أكثر مما هى سيئة بالفعل ، وتكشف عن عـجـزهم عن القـضـاء، بشكل نهـائى ، على المعـارضـة المسلحـة. لم يكتف القـادة الجزائريون بعدم إطلاع السلطات الفرنسية على فحوى المطالب الحقيقية للكوماندوز ، واقتصروا على إعلان مطالبة الكومـاندوز بإطلاق سراح الزعماء الإسلاميين . وعلى ذلك فقد تأهبوا، فى جو من عدم الاستعداد الكامل، للقيام بهجومهم. وتتقدم فرق كاملة

للتدخل فوق أرض المطار مستعملة الرشاشات الكلاشينكوف . وتزداد حدة التوتر فى الخامس والعشرين من ديسمبر حوالى الساعة التاسعة مساء، حينما يقوم المختطفون بقتل راكب ثالث، وهو هذه المرة فرنسى، طباخ فى السفارة الفرنسية. ويتم إلقاء جثته فوق أرض المطار. وهو أمر ليس بالهين بالنسبة للحكومة الفرنسية، التى قررت حل المشكلة فوق ترابها، فتطلب أن تقلع الطائرة إلى فرنسا دون تأخير .

وفى ٢٦ ديسمبر، بعد محاولات فاشلة للتفاوض، ينتهى الأمر "بملحمة" **يحيى عبدالله** ورفاقه إلى مطار مرسيليا – ماريجانان . ويسقط المختطفون الأربعة تحت وابل طلقات الفرق الخاصة، ولكن بعد أن يظهروا فى صورة " الأبطال الوطنيين " فى عيون جزء من المواطنين فى الأحياء الشعبية فى الجزائر، الذين تمكنوا من متابعة الأحداث على الهواء بفضل وسائل الإعلام الشيطانية .

لقد تمكنوا من مجابهة القوة الاستعمارية السابقة وهم يحملون السلاح فى أيديهم، ولم يستسلموا إلا بعد مقاومة وصفها البعض بأنها " بطولية " ومن ثم دخل أفراد الكوماندوز فى نطاق الأسطورة .

هل الإشكالية هى إشكالية جنود ضحوا بأنفسهم فى سبيل " قضية إسلامية " فى محاولة لإقامة دولة تقوم على تطبيق حرفى للشريعة، أم إشكالية جيل من الشبان التعساء لا يتحقق العدل بالنسبة لهم إلا عن طريق العنف الذى يقوم مقام أى حياة اجتماعية أو سياسية ؟ أيا كان الوضع ، فإن القضية تستحق أن نقف عندها . وهنا يكمن فى الواقع ، كل ما يحيط بالنزعة الإسلامية من غموض، فهى فى ذات الوقت أيديولوجية معارضة اجتماعية وأداة للاستيلاء على السلطة السياسية .

يعارض الإسلاميون العبارات الجاهزة (الأكليشيهات) التى ترى فى محاولتهم إما مظهراً لـ " حركة متسولّين " يريدون العودة إلى العصور الوسطى ، وإما " ردّةً أو رجعية جماعية " من جانب أفراد مفتونين ببلاغة المنابر الخطابية لجماعة من المنتفعين . إن حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو يتألف من مجموعة من أفراد "الطبقات الخطرة " الجديدة التى دفعتها الضغوط السكانية والبطالة إلى نوع من "تمرد الجوع" اللاعقلانى، وبركات زعيم سياسى ، ظل هذا الحزب ، طوال السنوات الثلاث التى تمثل

فترة وجوده الشرعى ، يعد فى أعين الناس النتيجة الوحيدة " لتأثير العدوى " الشهيرة بين الجماهير . هذه النظرية كانت تجعل من ناخبى الحزب الإسلامى أشخاصًا "معادين للديمقراطية" عنوة ومتعصبين للحزب . فمنذ إلغاء انتخابات يناير ١٩٩٢ ، أصبح انتقال جزء منهم إلى النضال المسلح لا يجد له تفسيراً إلا فى " بربريّة " الفاشية الجديدة الخضراء " المتعطشة للدماء" دون إثارة أية تساؤلات حول الجذور التاريخية والاجتماعية والثقافية أو السياسية لذلك العنف الذى أدى فى الجانبين إلى سقوط أكثر من أربعين ألف قتيل جزائرى .

إن تيار النزعة الإسلامية الجزائرى ، وهو ظاهرة سياسية اجتماعية ودينية ، تضرب فى الواقع ، بجذورها فى التاريخ السياسى المعاصر. فخطاب الإسلاميين، وهو يدعو إلى هوية ثقافية ووطنية ، كما يدعو إلى مصالح مادية ، يحاول منذ أعمال العنف التى وقعت فى أكتوبر ١٩٨٨ ، أن يجعل من نفسه المقاومة المعارضة التى اتسع نطاقها ليشمل إعادة النظر فى النظام السياسى والحزب الواحد . وإن انتشار التيار الإسلامى ليدلّ ، من هذه الناحية، على عمق الصراع بين النخبة الحاكمة وبين جزء من الطبقات الشعبية المتوسطة. وسعياً للحصول على طريق للوصول إلى ثمار الحداثة التى تبدو حتى ذلك الوقت مقصورة على النخبة الحاكمة المتغربة، ورغبة فى قلب الهرم الاجتماعى لصالحهم، اعتقدت فئة مهمشة من الشبان الجزائريين ، ومعها طائفة من الطبقات المتوسطة المثقفة، أن بإمكانها أن تجد فى النزعة الإسلامية الطريق للاستيلاء على القيم الاساسية للثقافة الرسمية التى يمثل فيها الإسلام عنصراً جوهرياً فى شرعية الحكام . إن النزعة الإسلامية ، بوصفها حركة اجتماعية تسعى للدفاع عن "قيم" فى الوقت الذى تتولى فيه تحقيق الانتصار لأتباعها على خصومهم فى المجتمع، والنزعة الإسلامية تعبر بذلك عن إرادة العناصر المقهورة أو المهمشة فى الاستيلاء على الساحة الثقافية من أجل معارضة هيمنة النخبة الحاكمة ومنازعتها الرقابة التى تمارسها على المصادر الاقتصادية .

ومن الجدير بالذكر ، أنه باسم المحافظة على الاستقلال الوطنى ، فإن قادة التيار القومى الجزائرى فى صورته الثقافية (العربية الإسلامية) والاقتصادية (سياسة التأميم) تمكنوا منذ عام ١٩٦٢ ، من تحقيق السيطرة الكاملة على اقتصاد الدخول . ونتيجة لذلك ،

فإن العناصر المهمّشة ، وباسم الدفاع عن مفهوم غامض للهوية الوطنية المعرضة لتهديد " التغريب " فى العادات ، الذى أحدثته النخبة الحاكمة، أقول إن العناصر المهمشة بدأت منذ أوائل الثمانينيات فى تسييس (إضفاء الطابع السياسى) معارضتهم للنظام الاجتماعى والمطالبة بمشاركة سياسية أقوى .

وقد حاولت النخبة من الإسلاميين التخفيف من حدة الصراع الاجتماعى وفرض صيغتها فى السجل الثقافى ، وبخاصة أنهم بإنكارهم المصادر الاجتماعية لموقفهم وبمحاولتهم إضفاء طابع القداسة على مسعاهم، قد قضوا على شرعية أى خطاب طبقى . غير أن نجاحهم هذا اعتمد أيضًا على مشاعر المهمشين نتيجة المظالم الاجتماعية، وبخاصة حينما نسبوا الفساد والظلم الاجتماعى إلى " ما جلبه القادة المعروفون بانتمائهم للغرب، من عادات تتعارض مع أخلاق الإسلام " . من هذا المفهوم " يصبح القادة الذين يخشون الله هم وحدهم القادرون على تحقيق العدالة والمساواة وحماية الجزائر من كارثة الفساد الاجتماعى " .

ولقد حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فى فترة وجودها الشرعى ، جانبًا كبيرًا من قوتها ونجاحها بسبب قدرتها على الظهور بمظهر المنظمة المناصرة والمعبرة جزئيًا عن هذه الحركة الاجتماعية المعارضة . وكانت الجبهة تمارس فى الوقت ذاته المهام التقليدية للحزب السياسى (وبالذات كممثل لمصالح نخبة) بالإضافة إلى مهمتها كهيئة دفاع عن المهمشين .

وقد تحقق للحزب الصفة الثورية وقوة الجاذبية بسبب جمعه بين النخبة وبين بعض الطبقات الشعبية. فقد تمكن قادته بالفعل من تمثيل القطيعة التى كان ينشدها قطاع من المجتمع الجزائرى ، وذلك بسبب فاعلية الخطاب الإسلامى الذى يشدد على ضرورة العدالة الاجتماعية ومحاربة الفساد .

غير أن قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ كشفت مع مرور الوقت، عن عجزها عن السيطرة الكاملة على التوترات التى ترجع إلى الطبيعة المزدوجة للحزب، بوصفه حركة شعبية ذات خطاب راديكالى موجه للسلطة الحاكمة، وحزبًا يتألف من أطر تعى ضرورة مداراة القوى المهيمنة فى النظام السياسى (مبدأ التقية) – وهى هنا الجيش .

إن احترامها ومراعاتها لقوانين الدولة - وبالذات مشاركة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الانتخابات البلدية فى يونيه ١٩٩٠ والانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، كان يتعارض فى الواقع مع ضرورة القطيعة التى تعلنها قاعدتها الشعبية المتشددة .

صبيحة إلغاء الانتخابات، وفى الوقت الذى كان فيه جزء من قاعدة الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد بدأ يجهز أسلحة ما تزال تافهة فى المكتب السياسى للحزب ، كان حذراً تجاه السلطة العسكرية التى عزلت الرئيس شاذلى منذ فترة وجيزة . وفى أثناء اجتماعات خلايا الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان المناضلون يناقشون الوسائل الكفيلة بالرد على الانقلاب وإعداد موقف للمجابهة . فى الوقت نفسه، كان المسئولون السياسيون فى الحزب يبحثون عن موقف يكون حازماً ولا يعرضهم للقمع الذى يمكن أن يؤدى إلى اختفائهم من الساحة السياسية لصالح الجناح الراديكالى فى الانتماء . وبذلك حدث الصدع بين الإدارة الوطنية للحزب، التى ظلت مرتبطة بالإستراتيجية القانونية التى هى إستراتيجيتها منذ أن رأست الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى يوليو ١٩٩١ ، وبين أطر المرءوسين فى الحركة التى تتنامى توجهاتها نحو الكفاح المسلح .

وحينما تمكنت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فى وقت من الأوقات، من امتصاص غضب فريق من قاعدتها بقيامها بدور الممثل لمطالبهم، فإن عناصر الحركة المهمشة بدأت ، وبالذات كلما استمر ضغط النظام وتزايد، تنسى الهدف الأساسى لمعركتها، ولا ترى فى الساحة الاجتماعية سوى ساحة قتال .

هل نخلص من ذلك إلى نوع من التواصل بين الأسلوب النظامى الذى يتبناه القادة السياسيون فى الحزب حتى عام ١٩٩٢ ، وبين الاختيار " العسكرى " الذى تبنته الفرق المسلحة ؟ وبصرف النظر عن الاعتبارات التكتيكية، فإن إدانة الهجوم على الطائرة الفرنسية بواسطة اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى ديسمبر ١٩٩٤، أدّت إلى حدوث اختلافات فى أشكال التعبير فى الحركة الإسلامية. كذلك فإنها دلّت على عمق التناقضات بين اتجاهين من المستحيل التوفيق بينهما؛ وعلى التنافر القائم بين التطلعات الثورية للعناصر البروليتارية فى الحركة والمواقف المحافظة لصفوتها النظامية .

ولا ينبغي للقارئ أن يفاجأ إذا لم يجد هنا تاريخًا كـاملاً للجـزائر المعاصرة ، ولا تحليلاً مفصلاً لمجموع القوى السياسية الموجودة على الساحة منذ أكتوبر ١٩٨٨ . إن هدفنا ، لأسباب منهجيـة ، ومن خلال مقـابلات مع القـادة الإسلاميين المناضلين من جميع الاتجاهات والحساسيات ، هو الاقتصـار على القيـام بتحليل للآليات البارزة للحركة الإسـلامية ، وتطور خطاباتها وممارساتها وملابسات مشروعها الإسـلامي .

الباب الأول

النزعة الإسلامية فى قلب السلطة

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد ، آية ١١]

١٩٦٤ : الشيخ بشير الإبراهيمى رئيس هيئة العلماء ، يعلن على الملأ اعتراضه على ظهور بعض الفتيات فى زى لاعبات التنس فى عرض فى الجزائر العاصمة، ونادى بالعمل على الدفاع عن حرمة الإسلام المعرضة، فى رأيه ، لتهديد "التقدميات" فى التيار الاشتراكى . وسرعان ما جاء الرد من السلطة الجديدة التى حكمت على الشيخ المحترم بتحديد إقامته لمدة عدة أشهر . وإذا بصحيفة الاتحاد العام للعمال الجزائريين تصدر وفى صدر صفحتها الأولى هذا العنوان " علماء السوء " . إن الاتحاد المقدس الذى شاهد الجانبين الأساسيين المكونين للتيار الوطنى الجزائرى مجتمعين على هدف واحد وهو طرد الفرنسيين إلى خارج الحدود، هذا الاتحاد بدأ يختلف . وما إن تحقق الاستقلال ، حتى ظهرت على السطح الخلافات الثقافية التى تفصل بين نخبة "التغريب" ، من خريجى نظام التعليم الفرنسى ، وبين نخبة الإصلاح ، العربفون المستعربون (ذات اللسان العربى) من خريجى جامعات الشرق الأوسط. وبينما تحول عدد من الفريق الأول إلى " بورجوازية الدولة " والهيمنة على أجهزة الإنتاج فى الدولة ، تصدى جانب من الفريق الثانى لمحاربة "فساد العادات " التى جلبها فى رأيهم، الفريق الأول . وأصبح الإسلام صمام أمان أو عنصر ضمان للحكام ، فقد صار منذ ذلك الحين مادة إغراء تجندها السلطة ، وكذلك المعارضة، بصفة دائمة . من ذلك أن السلطة، تحت تأثير جناحها الإسلامى ، ومن أجل مواجهة المعارضة الإسلامية الوليدة ، لم تكن تتردد فى الانخراط فى عملية أسلمة من الممكن فى المستقبل أن تبعدها بالتدريج عن خيارات الجزائر الثورة وتقدم لخصومها ضمانات أسلمة من شأنها أن تغير تغييراً جذرياً من طبيعة الخريطة السياسية الدينية للبلاد .

نضيف إلى ذلك ، أنه فى مواجهة تدهور " الأصوليين فى الدولة " المتهمين بالوداعة الزائدة مع السلطة ، فإن بعض الشبان المناضلين من خريجى الجامعات دون تكوين دينى خاص، هم الذين تمكنوا فى السبعينيات من الوصول إلى رأس المعارضة الإسلامية .

وإذا كان تفجُّر الأيديولوجية الإسلامية فى نهاية الأمر ، قد تزامن مع وصول لرئيس شاذلى إلى السلطة (١٩٧٩) فإنه قد عضد النظرية التى تقول بتجريم القادة السياسيين الذين كانوا فى السلطة فى فترة " العقد الأسود " (١٩٧٩ - ١٩٩٢) المعروف بمسئوليته عن جلب جميع الشرور التى يعانى منها المجتمع الجزائرى اليوم .

وحينما تسببت سياسة الانفتاح التى بدأت فى الثمانينيات فى القضاء على الوفاق الاجتماعى الذى كان قائمًا حتى ذلك الحين فى العلاقات بين السلطة وبين بقية المجتمع، فإن هذه السياسة ، بالإضافة إلى أزمة الوقود عام ١٩٨٦ ، قد سلبت النظام العناصر الرئيسية التى تشكل شرعيته، وهى دوره كضامن للسيادة الوطنية، وكحافز لنموذج من التنمية الاقتصادية المركزية .

أما العناصر المستبعدة فهى إذ تطالب ، باسم العدالة ، بمشاركة سياسية أكبر ، بهدف الضغط على آليات إعادة توزيع الدخل القومى وزيادة فرصها فى الاستهلاك، فإنها كانت تسعى إلى تسييس معارضتها للوضع الاقتصادى والنظام السياسى . وتشمل حركة المعارضة أيضًا الطبقات الاجتماعية المتوسطة فى الحضر المهمشة من قنوات حماية الدولة (من ذوى شهادات التعليم العربى الأكثر انتشاراً والكوادر المهضومة الجناح) وعمال المدن فى القطاعات الاقتصادية " التقليدية " (الحرفيون، وصغار التجار ، وصغار الموظفين) الخاضعين لقلاقل الإدارة التى لم يحصلوا منها على شىء ، وجماعة من الشبان المرفوضين (الفاشلين دراسياً والعاطلين) .

وها هى الأيديولوجية الإسلامية تتصدى للتعبير عن خيبة آمالهم فى نموذج التنمية الرسمى وتتيح الفرصة لهذه الجماعة المتفرقة ، رغم توحدها فى إطار هامشية مشتركة ، بالاستيلاء على " القيم " التى تشكل الهوية الجماعية الجزائرية منذ الاستقلال - العروبة والإسلام - ومن ثم منازعة النخب الحاكمة فى عملية الرقابة التى تمارسها بمفردها على اقتصاد الدخول ، منذ ذلك الحين .

وبالمثل ، فإن التفكك الذى أصاب الكتلة الحاكمة لصالح أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، تلك الكتلة المكونة ، منذ الاستقلال ، من الثلاثى : الجيش / الدولة / الحزب ، هذا التفكك كشف عن الطبيعة العسكرية للنظام . إن الجيش ، وهو القوة الوحيدة المنظمة للسلطة ، وقد اضطر أمام انهيار البنى الرسمية للدولة وانهيار الحزب الواحد ، أن يجد نفسه فى مواجهة تصاعد القوة الإسلامية المعارضة التى تشكك فى تفوقه .

(١)

انهيار شرعية النظام

بسبب ما نجم عن انهيار الدخول البترولية ، حالت أزمة الوقود، فى عام ١٩٨٦ ، دون قيام النظام بالاستمرار فى دعم السلام الاجتماعى، وبالتالى تحطم أحد العناصر الأساسية لشرعية السلطة .

وبسبب ارتباطها بالخارج ، فإن نخبة السلطة كشفت عن عجزها التام عن تطبيق أى " نموذج جزائرى للتنمية " ، كما أنها أظهرت فى الوقت نفسه عجزها الكامل عن التعامل مع " النظام الاقتصادى العالمى الجديد " الذى كان وراء الفترة الزاهرة التى زامنت رئاسة هوارى بومدين .

ومن ثم تجلى أن " بورجوازية الدولة " تمثل حصان طروادة الخاص "بالاستعمار" الغربى الجديد . وأصبح من حق العناصر المهمشة ألا تتردد فى توجيه الاتهام إلى القادة بأنهم يعيدون البلاد إلى نظام الهيمنة الاستعمارية القديم .

فشل «نموذج التنمية الجزائرى» :

أدى نظام التوزيع غير العادل الذى نهجه هذا النموذج منذ أوائل الثمانينيات، كذلك ما نجم عن ذلك من حرمان وسلب للحقوق ، إلى سلسلة من التمردات الاجتماعية التى تنادى بتحقيق العدالة فى توزيع الثروة الوطنية .

وحتى منتصف الثمانينيات ، وفى حدود وفاق اجتماعى ضمنى ، كانت الغالبية العظمى من المواطنين راضية ببنية الهيمنة القائمة فى مقابل ترك الباب مفتوحاً لآليات توزيع عوائد البترول . وأصبحت التجارة الخارجية ، بوصفها أداة السيطرة الاقتصادية ،

شريان الحياة للنظام ، وبصفة خاصة لعموده الفقرى المتمثل فى الأمن العسكرى المهيمن .

كان الأمن العسكرى ، وهو فى هذا يشبه جهاز الأمن السرى الرومانى "السكريتات" وجهاز الأمن الألمانى الشرقى " الستازى " كان هذا الأمن بوصفه الجهاز الأساسى الذى يمد السلطة بالمناصب ، قد وفر لها العديد من العملاء من خلال الاحتكار الذى يمارسه على التجارة الخارجية بالتنسيق مع القيادات العسكرية العليا(١) .

وأصبح توزيع الثروات ومصادر الدخول ، دون أى اعتبار لمبدأ العائد ، وفى غياب المقابل بمعنى خلق الثروات ، وبالتالى الوظائف ، لا يتم إلا بناء على اعتبارات سياسية فى الجوهر : ضمان السلام الاجتماعى وإفراز علاقات هيمنة لصالح القيادة الحاكمة . ومن ثم لم تتردد هذه القيادة فى تشجيع تكوين طبقة اجتماعية متوسطة من أصحاب الدخول وقطاع خاص ، تجارى وصناعى ، مرتبط برباط وثيق بالقطاع العام ؛ حيث كانت هذه " الطبقات الاجتماعية المتوسطة " والجديدة مدعوة لتقديم قاعدة اجتماعية للنظام ، وبالتالى ، ضمان استقراره السياسى. ولم تكن هذه الصيغة السياسية لتستمر إلا بمقدار ما تحقق من نجاح اجتماعى للعناصر المشاركة فيها . ومن ثم ، سرعان ما كشف النظام عن عجزه فى أن يضمن لهذه العناصر أى نوع من الرفاهية . ولكى تخفف الدولة من حدة التدهور البطىء فى ظروف المعيشة لدى الطبقات المتوسطة ، ولكى تستفيد من الصدمات المالية الناتجة عن أزمة البترول الأولى ، شرعت فى تشجيع الاستهلاك باللجوء المكثف إلى الاستيراد وإلى سياسة دعم زائف للأسعار . ومع تفاقم التدهور فى المكونات التاريخية الشرعية للحكم ، لم تر الجماعات الحاكمة أمامها من مخرج لتجديد هذه الشرعية سوى دعم الاكتفاء فى الطلب الاجتماعى . وسعيًا وراء كسب الطبقات الاجتماعية فى صف النظام ، شرع الحكام ، وبعد عشر سنوات من التقشف، فى الإعداد للخطط المناهضة للفقر .

(١) من خلال تأميم شركات البترول الأمريكية فى أغسطس ١٩٦٧ ، وشركات توزيع البترول والغاز فى مايو ١٩٦٨ ، ومحطات الوقود والغاز ، وكذلك ٥١٪ من ممتلكات شركات البترول الفرنسية فى فبراير عام ١٩٧١

وابتداءً من عام ١٩٨٦ ، كان من نتيجة الانخفاضات العالية فى عوائد البترول، أن حال ذلك دون متابعة النظام لهذه السياسة ، مما أدى إلى انهيار الأسس التى يقوم عليها نموذج التنمية المركزية فى الجزائر المستقلة، لدرجة أصبحت تهدد نظامها السياسى بالكامل .

وكان من شأن أزمة الوقود أن وصلت بالمظالم الناتجة عن سياسات الانفتاح إلى درجة عدم الاحتمال ، تلك السياسات التى أدت بصورة غير متوقعة ، إلى زيادة فائقة فى الحراك الاجتماعى للفئات التى كانت تعيش حتى ذلك الحين فى ظل الاقتصاد الموجه .

وكان وراء إجراءات الانفتاح السياسى عبد الحميد الإبراهيمى رئيس الوزراء فى الفترة من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨ ، ثم فريق الإصلاحيين " وعلى رأسهم مولود حمروش ، الذى عين أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية فى عام ١٩٨٦ ، ثم رئيساً للوزراء فى سبتمبر من عام ١٩٨٩ . وكان أن تعرضت سياستهم فى تحرير الشركات العامة وبالذات تحرير التجارة الخارجية ، لمقاومة " بارونات " النظام ، وبصفة خاصة الجيش ، وكانوا حريصين على المحافظة على احتكارهم لهذا المجال. وما أن " تخلى " عنهم شركاؤهم الغربيون ، وبخاصة الفرنسيون بحجة رفضهم لإعادة جدولة الديون الخارجية ، حتى تم استبعاد " الإصلاحيين " من السلطة أخيراً على إثر الإضراب العام الذى قامت به الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مايو – يونيو ١٩٩١ .

وفى الواقع كان من نتيجة إعادة الاعتبار للقطاع الخاص ، المساعدة فى تكوين طبقة من " المنتفعين " . حيث أصبح الحصول على تراخيص الاستثمار أو أوامر الاستيراد يرجع إلى طبيعة وموقع وساطاتهم داخل بيروقراطية الدولة . ومن ثم ، وبعد التخلى الرسمى عن الدوغمائية الاشتراكية التى تم تبنيها بموجب ميثاق عام ١٩٨٦ ، لم يعد يميز بين " الملكية الخاصة المستغلة " و " الملكية الخاصة غير المستغلة " كما حدد ذلك من قبل الميثاق الوطنى الصادر عام ١٩٧٦ .

ولكن إذا كان القطاع الخاص قد أصبح حينئذ رمزاً للارتقاء الاجتماعى ، فإن بعض الدوائر المرتبطة بالسلطة لم تفهم أهمية السماح له بالاستفادة بعقلانية

اقتصادية مؤسسة على المردودية والربحية (حيث كانوا يسمونها " بالمضاربة ") ، وهو ما سيأتى ليسم عقلانية السلطة السياسية المؤسسة على إعادة التوزيع والعمولات بعدم المشروعية . كذلك ستسفر سياسة الإصلاحات الاقتصادية عن مقاومات عنيفة داخل النظام نفسه .

ومع إدخال الإصلاحات الاقتصادية ، ظهرت الطبقة الاجتماعية بكل قوتها ومتناقضاتها. طبقة من المعروف أنها تفرز " أغنياء جدد " تعيش على النموذج الغربى ، تتمتع بالحصول على امتيازات فى مجال الاستهلاك " المتمتعون " بسبب ما تتلقاه من عون من داخل جهاز الدولة ، تعلن عمولاتها على الملأ وبكل مباهاة وتفاخر ، فى وقت بدأت فيه الجزائر تفتقر إلى كل شىء .

كانت تلك هى الفترة التى وجه فيه الاتهام إلى جماعات الـ (تشى – تشى tchi - tchi) ، " ذوى القمصان الذهبية " بالاستعراض فى رياض الفتح (أو رياض الفضح) على حد تعبير الإسلاميين .

كانت أيضًا الفترة التى قامت فيها بورجوازية شاذلى وأمام أنظار(الحائطيين) الهابطين من أحيائهم الشعبية باستعراض ثرائها الفاضح على شواطئ نادى السنوبر، ذلك المكان الذى كان يتردد عليه المستوطنون الفرنسيون أيام الجزائر الفرنسية .

وفى قلب جهاز الدولة ، كانت آليات الارتقاء أو العزل الاجتماعى ، تخضع للتعسف المطلق، فى حين أن الفساد ونظام العمولة كانا المصدر الأول لدعم البيروقراطية المتطفلة والعقيمة .

ومع تفتيت المشروعات العامة ، اتسع وعاء الفساد. وبعد أن كان نظام العمولة على مشروعات الاستيراد مقصوراً على " بارونات " النظام على عهد هوارى بومدين ، أصبح مع شاذلى مشاعًا للعديد من الطوائف المرتبطة بالسلطة بناءً على تقسيم جغرافى واضح .

كذلك فإن قانون الاستثمار الوطنى الخاص الصادر فى أغسطس ١٩٨٢ ، وقانون الملكية العقارية الصادر فى أغسطس ١٩٨٣ ، أصبحا مصدر انحرافات أدت بالنسبة

للقانون الأول إلى نوع من المضاربات العقارية المهووسة . ومن ثم أمر حمروش رئيس الوزراء بالإعلان عن قائمة المضاربين (التى كشفت عن أن معظمهم من البيروقراطية العسكرية) وهدد ، ولكن دون تنفيذ ، بعمل الشيء نفسه فيما يختص بالمستفيدين من أذون الاستيراد .

وفى غيبة المعادل المتمثل فى التقدم الاجتماعى إذا بممارسات العنف الشرعى والمحسوبية والفساد ، من جانب دولة ما تزال تتمتع بالهيمنة فى مجال الإطار الأيديولوجى ، لكنها أصبحت عاجزة على المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، إذا بهذه الممارسة تكشف عن عمق اللاشرعية . وتزامن ذلك مع الوقت الذى قام فيه **محمد شريف مساعديّه** ، استناداً إلى المادة ١٢٠ من اللوائح المنظمة للحزب (تلك المادة التى تخصص مناصب المسئولية فى المنظمات الجماهيرية للعسكريين من جبهة التحرير الوطنى) بتطهير الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، وكذلك الاتحاد الوطنى للشباب الجزائرى ، من العناصر السياسية فى الاتحادين ، وتزامن ذلك أيضاً مع الوقت الذى جاء فيه انغلاق المجال السياسى مصحوباً بازدياد فى طابع الشرطة الذى نهج عليه النظام . دليل ذلك إنشاء مكاتب الأمن فى الشركات والجامعات امتداداً للأمن العسكرى الرهيب .

وبعد أن حرمت الدولة من بعض دخولها ، وتراكمت عليها الديون[1] ، أصبحت عاجزة عن الاستمرار فى سياستها فى دعم أسعار المواد الاستهلاكية ، كما اضطرت إلى ضغط الاستيراد بالنسبة للمواد الضرورية المدعمة ؛ وكان من شأن هذا الضغط تحميل الطبقات الكادحة لفروق الأسعار من ناحية ، وعلى النقيض من ذلك، تحقيق أرباح هائلة للمضاربين من جميع الأنواع ، العاملين منهم فى القطاع الخاص والقطاع العام .

ولما كان العاملون فى القطاع العام يتمتعون باحتكار استيراد المواد الاستهلاكية العامة ، وبصفة خاصة المواد الغذائية ، فقد عكفوا على تخزين مثل هذه السلع

(١) فى عام ١٩٩١ كانت ديون الجزائر الخارجية تقدر بـ ٢٧,٣ مليار دولار .

المستوردة التى لم تلبث ، لندرتها ، أن ارتفعت أسعارها فى الأسواق الموازية التى تطرح فيها بعد ذلك .

وهكذا ، وفى حين كان حجم تجارة " الشنطة " أو التهريب المصغر (الذى يكمن فى قيام صغار المهمشين بشراء بعض السلع من الخارج ثم بيعها فى الجزائر) يبلغ عشرة مليارات دينار ، فقد كان حجم التهريب فى الاحتكار (الأدوية والمحاصيل الزراعية والسكر ، ... الخ) الذى يعمل فيه المتمتعون بحماية السلطة يتجاوز الخمسين مليارًا .

وفى الوقت نفسه الذى كانت فيه الفئات المهمشه تطالب بتحقيق نوع من العدالة فى الاستهلاك ، وجدت نفسها بحكم البطالة وضعف القدرة الذاتية عندها ، مضطرة إلى تحمل أعباء الزيادة فى الأسعار . وارتفعت أسعار الحصول على كل شىء . وأصبح العمل والتربية والصحة نوعًا من الرفاهية التى تزداد ندرتها لزيادة الطلب عليها . وأصبح معدل الشّغل فى الإسكان أكثر من سبعة أفراد . وبلغ العجز أكثر من أربعة ملايين مسكن مع طلب سنوى يصل إلى مائة وخمسين ألف مسكن إضافى . وأدى تعميم نظام التخصيص (وبالذات فى مجال منح المساكن الشعبية) إلى عدم العدالة فى الحصول على المسكن . وزاد من هذه المظالم التلاعب المخزى الذى يمارسه المسئولون فى الدولة ، وهم أهم المولين للأراضى ومواد البناء . وهكذا أصبحت الفئات المحرومة تمثل طليعة المعارضة .

مثالب «النظام الاقتصادى العالمى الجديد» :

فى الوقت نفسه ، وفى حين ينص الميثاق الوطنى (١٩٧٦) على أنه يتعين على الجزائر وضع " نظام اقتصادى عالمى جديد " تكون دول عدم الانحياز هى المحرك له والمهيمن عليه ، فإن التدهور الدبلوماسى للجزائر ألحق أضرارًا بالغة بأحد العناصر الأساسية لشرعية القادة الوطنيين .

فخلال العشرين سنة الأولى من الاستقلال ، والتى كانت تزهو فيها الجزائر بالمكانة المرموقة بسبب نضالها من أجل الاستقلال، كانت تقوم بدور الريادة على

مستوى بلدان العالم الثالث . توج ذلك قيام الجزائر بتنظيم مؤتمر عدم الانحياز فى مدينة الجزائر فى سبتمبر من عام ١٩٧٣ ، برئاسة هوارى بومدين ، وهو فى قمة شهرته العالمية .

غير أن هبوط دخول البترول التى تعتمد عليها سياسة الاستقلال الوطنى ، حال دون تمكن أنصار التوجه الأيديولوجى الوطنى من أن يحققوا فى الخارج الانتصارات التى كانت تنقصهم فى داخل البلاد .

وكان من نتيجة الفشل الذى أصاب مشروع " الصناعات التصنيعية " الجبار الذى بدأه بيلا عيد عبد السلام (وزير الصناعة والطاقة من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٧) على حساب الإنتاج الزراعى والسلع الاستهلاكية ، أن عجز النظام عن تحقيق الاكتفاء الذاتى الغذائى للبلاد (الذى هبط من ٧٠٪ عام ١٩٦٩ إلى ٣٠٪ عام ١٩٨٠) واضطرت الدولة إلى اللجوء المكثف إلى الديون الخارجية التى أرغمتها على الخضوع ، وفى ذلك قمة المهانة ، لتعليمات صندوق النقد الدولى ونادى باريس .

وبعد أن كان الحكام يجعلون من رفضهم لإعادة برمجة الديون أحد جياد المعركة (وبخاصة أن معظم ديونهم كانت لمؤسسات مالية فرنسية) اضطروا شيئًا فشيئًا ، وكمرحلة أولى ، إلى التفاوض ، وأخيراً إلى توقيع اتفاق " إعادة برمجة الديون " فى أبريل عام ١٩٩٤ .

وأمام عجزها عن النهوض بسياسة وطنية ، وجدت بورجوازية الدولة نفسها مضطرة، بسبب عزلتها المتزايدة ، إلى التقرب إلى دولة المغرب ، فاقدة بذلك عنصراً من أهم عناصر الوطنية التى وقفت ، منذ " حرب الصحراء " فى ١٩٦٣ ، ضد أهداف زعامة المغرب .

ومع اضطرارها إلى التنازلات الكثيرة على الساحة العالمية، كان على الجزائر أن تعيد النظر فى سياسة الدعم لجمهورية الصحراء العربية الديمقراطية التى تحاول فرض سيطرتها على المغرب بأكمله . وفى فبراير عام ١٩٧٥ ، أصيبت الدبلوماسية الجزائرية بأول انتكاسة لها، حينما قامت أسبانيا ، صبيحة المسيرة الخضراء، بتكليف كل من المغرب وموريتانيا بإدارة الصحراء ... واعتقدت الجزائر أنها ستجد خلاصها

فى الاتحاد مع ليبيا ، ولكن خاب أملها فى ذلك ، حينما وقّع الحسن الثانى والقذافى فى أغسطس عام ١٩٨٤ اتفاقية اتحاد بين البلدين .

وأصبحت البلاد فى حالة من الضعف ، فاضطرت إلى عقد اتفاقات سياسية مع المغرب فى مايو ١٩٨٨ ، وفى فبراير عام ١٩٨٩ ، اضطرت إلى تكوين اتحاد مع عدوها القديم فى إطار اتحاد المغرب العربى . نضيف إلى ذلك التغير الذى طرأ على أوضاع النفوذ الإقليمى فى صالح المغرب ، حيث جاء قرار مجلس الأمن فى منظمة الأمم المتحدة ، فى ديسمبر ١٩٩١ ، رقم ٧٢٥ بتوسيع القاعدة الانتخابية للاستفتاء القادم حول مصير الصحراء الغربية ، وذلك طبقا لما كان يتمناه الملك الحسن الثانى .

ومن الأمثلة الدالة على ضعف الأوضاع العسكرية فى الجزائر اغتيال محمد بوضياف فى يونيو ١٩٩٢ بواسطة حرسه الشخصى . وذلك بعد ثلاثين عامًا من حياة المنفى فى الجزائر ظل خلالها معززًا مكرمًا .

وتجرع الشعب الجزائرى أيضًا جزءًا من الإهانة ، فقد ظل طويلاً يعتقد بأنه الجار أو القريب الغنى أثناء الإجازات الصيفية التى كان يقضيها الجزائريون فى البلدين الشقيقين ، ولكن ، وبسبب انهيار سعر الدينار ، آل مصير الجزائر إلى مكانة الجار أو القريب الفقير. ومما كان يتناقله المعلقون السياسيون فى هذا الصدد ، أن "الإصلاحيين " قاموا بتشجيع المسئولين الجزائريين على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع المغرب حتى تتاح الفرصة للجزائريين ، لكى يلمسوا بأنفسهم معدل السرعة التى ينمو بها المغرب ومدى الفارق الذى يفصل بين البلدين .

وما إن أصبحت الجزائر معزولة عالميًا، حتى وجدت نفسها مضطرة ، من ناحية أخرى ، إلى التقرب إلى القوتين العظميين ، مما جعلها تتنازل عن الكثير من مواقفها الخاصة ببلدان العالم الثالث . من ذلك أن الجزائر لم تحاول إدانه الغزو السوفيتى لأفغانستان ، فى حين أن الصحافة الجزائرية لم تشر حتى إلى الحادث[1] .

(١) نيقولا جريمو ، "الدبلوماسية فى ظل شاذلى أو سياسية الممكن" ، حولية أفريقيا السوداء ، ١٩٩١ ص ٤٠١ – ٤٣٥

وبالرغم من التقارب الفرنسى الجزائرى ، الذى يعزى إلى كل من ميتران وشاذلى ، فإن نسبة كبيرة من الجزائريين أصبحوا مقتنعين بأن مستقبل بلادهم خاضع من جديد ، لمشيئة القوة الاستعمارية القديمة (فرنسا)[١] .

من أجل حياة أفضل ؟ نعم ، ولكن فى الخارج

وهكذا ، أصبح النشاط الاجتماعى الذى تحتكره طائفة طفيلية فى نظر العامة ، تُرجعه المجموعات المعزولة المقهورة إلى ارتباط الجزائر بالخارج . وأصبحت النظرة للطبقة الحاكمة هى أنها طبقة فاسدة ثقافيًا ، وسياسيًا خاضعة للغرب . زاد من هذا الشعور انتشار أساليب الحياة الغربية والمواد الاستهلاكية المستوردة من الغرب بواسطة الأثرياء والقادة ، أثناء قضاء العطلات الصيفية فى الخارج ، وكذلك عن طريق انتشار قنوات التليفزيون انتشاراً جهنميًا فى أواخر الثمانينيات فوق أسطح المنازل الشعبية[٢] . وأصبح المعزولون والمقهورون يرجعون المظالم فى النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى إلى الوارد من الخارج من أنظمة إدارية وعادات وتقاليد جلبتها النخبة الحاكمة .

ولقد زادت حدة هذا الشعور على إثر عمليات الهجرة من الريف إلى المدن حيث اضطر الكثير من الغربيين الذين تعرضوا خلال إقامتهم الجديدة فى المدن لأوضاع اضطرتهم للتنازل عن الكثير من القيم والمفاهيم السلفية .

وفى المدن التى غلب عليها طابع الريف بسبب عجزها عن استيعاب القادمين الجدد[٣] ، فإن القيم الريفية التى فقدت الكثير من أهميتها ومكانتها لم تحل محلها قيم المدينة التى تعتبر " غربيـــة " ، لأن الذين كـانوا يروجـــون لها هم القادة والحكام .

(١) دعم هذا التقارب الزيارة التى قام بها فرنسوا ميتران للجزائر فى نوفمبر ١٩٨١ ، ثم الرحلة التى قام بها شاذلى فى ديسمبر ١٩٨٢ وهى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس جزائرى لفرنسا منذ الاستقلال .

(٢) إلى درجة جعلت الإسلاميين يطلقون عليها القنوات الشيطانية .

(٣) ١٨,٥٪ من السكان المسلمين كانوا يتألفون من الحضريين عام ١٩٥٤ ، وارتفع هذا الرقم عام ١٩٦٦ إلى ٣١,٢٪ ، وفى عام ١٩٧٣ إلى ٤١٪ ، وفى عام ١٩٨٧ إلى ٥٠٪ .

ومع ذلك فإن نظام سيادة الأب قد تعرض لهجمات مدمرة من جانب الديناميه الاجتماعية و " فسد " بسبب الممارسات الجديدة التى اتجهت نحو الفردية ، وبالتالى بدأت كأنها عوامل لنشر الفساد فى جسم المجتمع .

وبالمثل ، فإن الاضطرابات التى أصابت العلاقات الخاصة بالانتماء كانت وراء العنف الذى طبع العلاقات الاجتماعية ابتداءً من مطلع الثمانينيات : لقد تصدع النموذج العائلى . وتعرض نظام السلطة الأبوية للانتقاد من جانب شباب المدينة الذى أصبح غير راضٍ عن النظام الاجتماعى الذى فرضه الآباء والأجداد . وتمثل الرفض فى ممارسة الأعمال الإجرامية وتعاطى المخدرات والخمور ، وهى ممارسات تعد علامات على التنافر المتزايد بين النماذج التى تتبناها الدولة والأشكال الاجتماعية الجديدة .

ومن المفارقات العجيبة أن تَدَخُّل الدولة كان يتجه نحو تقوية روابط السلطة داخل الأسرة الأبوية (نظام الأسرة الصادر عام ١٩٨٤) فى حين أن انتشار نظام الإجارة والهجرة من الريف وتعمير المدن على العكس من ذلك ، يؤدى إلى إضعافها .

وهذه الأوضاع أصبحت تمثل مصادر تهديد للترابط الاجتماعى ، ذلك الترابط الذى من شأن الدولة المحافظة عليه وضمان استمراره .

كذلك تجلت تناقضات الجزائر بعد الثورة العمرانية فى المدن ، فى مجال العلاقات العاطفية والجنسية . ففى حين كان الآباء يجدون فى الثقافة الريفية صرحًا غنيًا ومتنوعًا من الأعراف الاجتماعية ، كان الجنس بفضلها منظمًا ومقننًا بشكل كامل ، فإن الأبناء والبنات ، وقد انتقلوا إلى عالم حضرى تطغى عليه ثقافة لا هى بالريفية تمامًا ولا هى بالحضرية تمامًا ، وأصبح عليهم أن يضعوا بروتوكولات جديدة عاطفية وجنسية هى بالنسبة لهم نوع من الانطلاق إلى المجهول . ومن ثم تطبيق نوع من الاقتصاد الجنسى الجديد وهو على شاكلة العلاقات الاجتماعية الجديدة التى أفرزته ، يغلب عليه طابع العنف والحيوية الزائدة . وإذا كان الشبان أصبحوا لا يغضون الطرف إلا رمزًا ، عند مرور الفتيات ، وإذا كانوا كذلك يطلقون الصفير ، فإنهم لم يستسلموا بشكل صارخ لمتع الجوارح الحسية . إننا لم نصل إلى درجة الجماع قبل الزواج ،

وما نزال بعيدين عن ذلك ، بل هناك حالات كثيرة من البكارة المتأخرة . وأمام استحالة وجود حلول أفضل يلجأ بعض الشبان والشابات إلى اللواط والسحاق .

ومن ناحية أخرى ، فقد أدى ضيق المساكن وازدحامها بأهلها ، إلى قلة المنافذ لممارسة الحياة الاجتماعية ، ولم يعد هناك سوى المقهى والمسجد ، للشبان ، كأماكن للقاء والاجتماع . لم تعد المدينة تؤدى وظيفتها القديمة فى التقريب والتوحيد، فى حين ، وفى الوقت نفسه ، فشلت اللوائح الحكومية الخاصة بالتوظيف فى أن تكون البديل لنماذج التعايش الاجتماعى القديمة التى اختفت .

وبدلاً من أن تحقق المدينة الآمال فى الارتقاء الاجتماعى الذى حملت لواءه عند الاستقلال ، كانت سبباً فى استمرار علاقات الهيمنة الخاصة بفترة الاستعمار . فقد أدى العزل الناتج عن غزو الحضر الذى قام به عام ١٩٦٢ الوطنيون فى جبهة التحرير الوطنى إلى نوع من الطبقية الاجتماعية تميز بين الأحياء الشعبية وبين الأحياء الراقية ، حلت محل التميز القديم الذى كان يفصل بين المدينة "الإسلامية " والمدينة "الأوروبية" .

وأصبحت عملية " التغريب " فى العادات والتقاليد ، باعتبارها إفرازاً " للتغريب الثقافى " وصارت تمارس على أنها اضطراب جنسى وعائلى . وكان " تحرير" المرأة قمة هذا " التغريب " الذى طرأ على المجتمع ، مما يفسر أن التنازلات التى قدمتها الدولة للمعارضة الإسلامية كانت دائماً تدور حول قانون المرأة .

وعلى مستوى أعمق من ذلك ، فإن هذا المفهوم يبرهن على شعور المعزولين بأنهم لم يصبحوا أسياداً لمستقبلهم الشخصى ، ويعزون الوضع إلى تبعية الجزائر الشديدة للغرب . وأصبحت بعض السلع مثل حذاء "ريبوك " رمزاً عند الشباب على رغبته فى التحرر بالنسبة للدولة . وأصبح الضغط الخارجى ينعكس فى صورة عدم المساواة بين قطاع الدولة الاقتصادى المرتبط بنظام التبادلات العالمية ، وقطاع مرتبط بالسوق الداخلية ، محكوم عليه بالعزلة ، يحاول المطالبة بمزيد من الاستقلال الثقافى . يزيد من حدة ذلك عجز الدولة الجزائرية عن الاضطلاع بدورها كعامل نشط فى توزيع الدخل وأداة إنتاج لصالح الفئات الحاكمة .

في المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطنية المنعقد في يناير ١٩٨٠ اتخذت الجبهة هذا الشعار : " من أجل حياة أفضل " وهو شعار قام الشباب بالرد عليه قائلاً : "نعم ، ولكن في الخارج". ومع شعورهم بأنهم أصبحوا لا يتحكمون في مستقبلهم الشخصي ، شرع الشبان في إعادة قراءة أسطورية لعصر الزعيم بومدين. غير أن الحنين الذي كان يدفعهم نحو استلهام أيامه كان يحثهم على البحث عن أشكال أخرى من الإنجازات ، ليس على المستوى الوطني أو الجماعي ، ولكن عن أشكال من الإنجازات الفردية المعزولة .

وكوسيلة للهروب من عبودية الدولة وامتدادها العائلي ، وهو نظام السلطة الأبوية، صاغ غالبية الشبان مشروع الرحيل إلى الخارج ، وبالذات إلى فرنسا ، ذلك المشروع الذي صاغه الخيال الشعبي على منوال " بابور استراليا " تلك السفينة التي لا ترسو أبداً ، ولكن كل فرد منهم كان يأمل في وصولها – هذا المشروع لقي ما يحول دون تحقيقه ، وهو إغلاق الحدود الأوروبية (قررت فرنسا في عام ١٩٨٦ ضرورة استخراج تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للمواطنين الجزائريين) وأصبح الشباب موزعًا بين رغبته في امتلاك نماذج الاستهلاك الغربية، وبين إرادته في رفض نظام يدفع الشبان إلى الهجرة ، ومن ثم صار الشباب فريسة نوع من الانفصام " للخارج " ؛ ذلك الانفصام الذي راحت أيديولوجية الأسلمة تخلع عليه مظهر الترابط والتلاحم .

وإذا بالشعور " بالغربة داخل الوطن " (الذي يذكر بالنفي الداخلي " الذي كانت تتحدث عنه الأجيال السابقة ، في صراعها مع المستعمر) يدفع طوائف عديدة من الشباب إلى اعتناق مذاهب كفيلة بأن توهمه بأنه يتدخل فعــلاً في تقرير مصيره وتحديد مستقبله .

وكان من نتيجة إرادة المعزولين في الاعتقاد بأنهم يصنعون تاريخهم بأيديهم ، أن أصبحت عقيدة الإسلاميين تعزى " انحطاط " العالم الإسلامي بشكل عام ، والجزائر بصفة خاصة ، إلى تنازل جزء من نخبة الدولة " المتغربة " عن أصولها وعن هويتها . وجاءت حرب الخليج لتدعم النظرية التي تقول بظهور استعمار فرنسي جديد مرتبط بحزب فرنسا يحاولان الإبقاء على علاقات الهيمنة الخاصة بفترة الاستعمار .

(وهو شعور ازداد مع الشعور بعدم الأمان بسبب الاضطرابات العالمية) . ومن ناحية أخرى أصبح المعزولون ينظرون إلى الثورة الإيرانية باعتبارها المثل الأعلى ، وكان النظام يجعل منها الوريث للثورة الجزائرية ، وكذلك الانتفاضة الفلسطينية ، ومن ثم راحوا ينادون بإنشاء " دولة إسلامية " مستقلة بالفعل، والعمل على تحقيق " حداثة إسلامية " أصيلة بحق ، ذلك ، في نظرهم ، هو السبيل الوحيد لتحقيق حياة اجتماعية جديدة في إطار دولة ووطن مستقل .

(٢)

جيل أكتوبر

مع إدراكهم للمسافة التى تفصل بين حجمهم السكانى الضخم وبين دورهم السياسى، يحاول المهمشون تسييس معارضتهم للنظام السياسى والنظام الاقتصادى، ولما كان القهر، فى نظرهم ، هو أساس الظلم ، فإن إقامة العدل بالتالى تكون بمكافحة القهر . وعلى ذلك حفلت الثمانينيات بالاضطرابات والتمردات لهذا الغرض؛ حتى بلغت ذروتها فى أكتوبر عام ١٩٨٠ حينما قام " جيش الشعب" بإطلاق النار على الشعب .

ومنذ ذلك الحين أصبحت الدولة والقمع مترادفين . وظهرت جليًا الرغبة فى تحقيق العدالة الاجتماعية وتهذيب الأخلاق فى الحياة العامة. وأصبح الكبار لا يستطيعون باسم التضحيات التى بذلوها خلال حرب الاستقلال ، أن يصفوا مطالب الأولاد بأنها "نزوات أولاد مدللين" . ولم تعد الشهادة فى الحرب مقصورة على "جيل نوفمبر " : فهاهم " شهداء باب الواد " ينازعونهم هذا الحق بواسطة "جيل أكتوبر " .

دولة وطن / دولة مقاطعات :

فى غمرة اهتمامهم بالتحرر من إطار الدولة التى أصبحت فى نظرهم دخيلة من ناحية ، ومن ناحية أخرى عاجزة عن اقتراح مشروع جماعى لتحقيق الوحدة الوطنية ، أعلن المهمشون خلال الثمانينيات عن اتجاههم إلى تنظيم أنفسهم بهدف الحصول على حقوقهم السياسية . وبعد أن كانت الدينامية الاجتماعية ، حتى ذلك الوقت ، خاضعة للخطاب السياسى الذى كان يريد لها أن تتوجه نحو أهداف التنمية التى وضعتها الدولة ، خرجت من سيطرة الدولة : وهكذا بدأت الدائرة الاجتماعية والعمرانية ،

من خلال تعددية الثقافات والنظم الاجتماعية المعارضة تعيد تشكيل الرابطة الاجتماعية خارج نطاق مؤسسات الدولة ، وغالباً ما يكون ذلك ضد الدولة .

ومع انتشار المحسوبية فى الدولة التى يطلق عليها ابن البلد الساخر ، "ابن عمّيزم" والنظرة الإقليمية ، أصبحت الدولة فى نظر المغلوبين تمثل العقبة الكبرى فى سبيل الوحدة الوطنية .

ومنذ اختفاء بومدين عن الساحة ، الذى نجح مشروعه فى توحيد البلاد فى إرضاء وتجميع مختلف فئات السلطة ، أصبح النظام السياسى يخضع لتعدد الفئات الإقليمية فى جوهرها، والتى أصبحت سيطرتها على الدولة تحول دون إقامة نظام سياسى حديث . وبدلاً من الدولة – الوطن ، أصبح الاتجاه يميل نحو الحديث عن الدولة – المقاطعات ، مما يدل على فشل مشروع التنمية الحكومية .

ومن ناحية أخرى ، وبسبب وصول أجيال جديدة لمرحلة البلوغ ، فإن عبء الوصاية التى تمارسه نخبة الحكام من مدنيين وعسكريين ، أفضى إلى ظهور العديد من الشبكات التى تؤثر فى التغير الاجتماعى والسياسى .

فهؤلاء هم البربر إذ يطالبون بهوية ثقافية بربرية وحرية التعبير ، يمثلون فى مطلع الثمانينيات شكلاً من أشكال المقاومة . فعلى أثر قيام المسئولين بمنع مولود معمرى بإلقاء محاضرة حول شعر البربر ، شهد " ربيع البربر " فى أبريل ١٩٨٠ الاضطرابات التى نظمتها كليات جامعتى الجزائر وتيزى أوزو ، تلك الاضطرابات التى لم تلبث أن شملت مجموع القبائل . ومن ناحية أخرى ، فإن نمو الجمعيات ، وبخاصة النسوية ، أصبح يعكس إرادة التعبير المستقلة الخاصة " بالمجتمع الحضرى " على حد تعبير المراقبين .

وراح المهمشون ، بالفعل ، يبحثون عن إعادة لصياغة الرابط الاجتماعى خارج مؤسسات الدولة . وهكذا ، ومنذ مطلع الثمانينيات ، وبالذات بعد العمل بقانون الجمعيات فى يوليو ١٩٨٧ ، تضاعفت المساجد والجمعيات الخيرية التى يحاول المهمشون أن يجدوا فيها المنطلق لاكتساب أشكال جديدة لهويتهم الاجتماعية والتضامن الجماعى .

ومن خلال السوق السوداء والتهريب ، ظهر الاقتصاد بوصفه مجالاً مستقلاً يتيح إعادة النظر فى الاحتكار الذى تمارسه السلطة العسكرية على التجارة الخارجية . وهذه الراى (التى تعتبرها السلطة موسيقى منحطة) وكذلك الحكاية الشعبية يصبحان معينًا لمعارضة جذرية للثقافة الرسمية التى ترعاها الدولة . وبدأت آليات أخرى جديدة لتشكيل التوحيد مع الحى ، ومع المدينــة ومع الوطــن ، بل ومع الأمة (فى تيزى أوزو ، عاصمة القبائل ، ظهرت شعارات تنادى " نحن لسنا عربًا !") تظهر داخل الأندية بين مشجعى كرة القدم .

وأصبحت الإستادات الرياضية بالفعل ، مسرحًا للتعبير عن أنواع جديدة من التضامن ، بالإضافة إلى المعارضة السياسية . وفى حين كثرت الشعارات التى يوجهها الشباب إلى السلطة ("نريد سكنًا ، وأموالاً !") ويعبرون بها عن يأسهم (نِحْنا ضايعين) وصار العنف فى الإستادات الرياضية يؤدى إلى أعداد من الضحايا يتزايدون عامًا بعد عام .

ومن ناحية أخرى ، فإن النفى الذى يضطر الأبناء إلى ترك الأرض التى استردها آباؤهم بعد التضحيات الغالية : اختراع لغة – ضد العزل اللغوى للذين تطلق عليهم الفكاهة الشعبية عبارة " أميّون ثنائيو اللغة " ، واستخدام لغة الحديث اليومية المطعمة باللغة الفرنسية ، رمزًا لمقاومة لغة السلطة – ، كلها أساليب " وتقنينات تفرض بها الحداثة نفسها . ومن ناحية أخرى ، فإن انعدام الترابط الظاهر ، بل والتناقض الذى يسم هذه الممارسات يدلان على تنوع العمليات المنطقية التى كانت تعتمل فى الجسم الاجتماعى .

إن مثل هذه التصرفات تمثل فى واقع الأمر الطريقة التى يحوّل بها المهمشون الثقافة لصالحهم . ولكن هذه التحويلات فى الممارسات اليومية ليست سوى بدايات لمعارضة أعمق لنظام السلطة .

النخبة التقنية المهمشة : القطيعة مع السلطة :

الواقع ، أنه كانت هناك قوة أخرى فى سبيلها إلى التشكيل لكى تصبح، شيئًا فشيئًا، فى مقدمة القوى المعارضة للسلطة . وكانت تتمثل هذه القوة فى النخبة الجديدة من أوائل الموجات من حاملى دبلومات النظام التعليمى الجزائرى بعد الاستقلال ؛ خريجو التعليم العلمى غير المعرب المبعدين عن الإدارة التقنية للدولة ، أولاً، ثم خريجو التعليم المعرب الذين لا يملكون سوى بعض الاستعدادات بالنظر إلى المهمة التى كانت الدولة تعدّهم لها .

من المفروض بالنسبة لنخبة التقنيين ، باعتبارهم " طليعة " مشروع بناء الدولة الجزائرية الاشتراكية فى السبعينيات ، أن يكرسوا أنفسهم تمامًا لقضية التنمية المقدسة . ومن الجدير بالذكر أن إصلاح التعليم العالى فى عام ١٩٧١ خصص للتقدم التقنى دوراً رئيسياً فى إدارة التغيير الاجتماعى . وهذا الدور يضطلع به المهندسون .

وكان من المنطقى والوضع كذلك ، أن يطالب المهندسون بالقيام بنصيب كبير فى إدارة الدولة ، وكذلك المجتمع . غير أن نظام تدويل الاقتصاد الذى تهيمن عليه "بنية تقنية " تفتقر إلى وسائل الإنتاج ، لكنها تنفرد بممارسة سلطة القرار ، هذا النظام دفع هؤلاء المهندسين إلى القطيعة مع الدولة لكى يفرضوا مشاركتهم فى إدارة شئون المجموع .

كان طابع الغموض الذى يكتنف عقيدة التنمية عند النخبة الحاكمة وراء دفع نخبة التقنية إلى التعبير عن خلافاتهم السياسية داخل الإطار الثقافى / وهو مهد الشرعية والسلطة بالنسبة للحكام . وإذا ببعض المثقفين التقنيين ، بوصفهم حملة مشروع بديل للتنمية ، وبإدانتهم لفشل النظام الذريع فى الاضطلاع بمسئوليته فى هذا الصدد ، يعلنون من خلال أيديولوجية الأسلمة ، عن إيمانهم بالعلم والتقنية الحديثة مثل إيمانهم بالقيم الثقافية والدينية التقليدية . إن المحافظة على الهوية " العربية – الإسلامية " التى يهددها " تغريب " المجتمع ، وقلب الهرم الاجتماعى على حساب النخبة الحاكمة ذات اللسان الفرنسى (الفرنكوفونية) المسئولة عن فشل مشروع التنمية الوطنية بسبب تواطئها الثقافى مع الإمبرياليه الغربية ، يمثلان رافدى الطموح لدى هذه النخبة التقنية . ومع إيمانهم بقدراتهم الخارقة ، يحاولون تحقيق الطموح الذى كان الرئيس بومدين قد أعلنه بالجمع بين " الأصولية العربية الإسلامية " والحداثة الاقتصادية .

ومن الجدير بالذكر ، أن اليسار الجزائرى لم يتمكن من تحقيق هذا التزاوج مروراً بالقطيعة القائمة بين التقدم التقنى والحضارة الغربية .

ولما كانت هذه النخبة العلمية الإسلامية من الشباب قد ولدت خلال الخمسينيات ، فإنها كانت تمثل الجيل الأول من خريجى الجزائر المستقلة . وكان " الجانب " الحداثى الذى تتمتع به يضعها فى الحركية الصاعدة . ومع ذلك ، ولكونها خارجة من القطاعات التقليدية سواء من البرجوازية الخاصة الصغيرة والمتوسطة – التجارية والمهنية أو المثقفين – ، أو من صغار ومتوسطى القرويين ، فهى ممثلة للطبقات المتوسطة الجديدة التى يعد عالمها الثقافى ، بالرغم من تكوينه فى وسط حضرى عن طريق الحصول على شهادة جامعية ، مرتكزاً بشكل واسع على الأصول القروية الخاصة بآبائهم . فهم ليسوا قرويين بالكامل ، وليسوا حضريين تماماً ، إنهم يشاركون فى حركة " العمران الحضرى " الذى يشمل الجزائر المعاصرة .

ولاعتقادهم بأن الاستقلال قد "استلب" عن طريق "جيش الحدود[١]" والمارسيين[٢]، الخارجين من " البرجوازية الصغيرة " المتفرنسة ، على حساب "مناضلى الداخل[٣] " ، فهم يحملون ذكرى عالم ريفى أدى بكل سخاء ضريبة الدم فى مقابل عائدات ضئيلة بخصوص المشاركة فى ممارسة السلطة . ولما كانوا قد ذاقوا الهوان من " الإهانات " التى تعرض لها آباؤهم منذ الاستقلال ، فى مناسبات عديدة فهم يشعرون بحقد دفين نحو النظام وأوليائه .

(١) خلال صيف عام ١٩٦٢ ، وبعد خمس سنوات من اغتيال أبان رمضان الذى حاول ، فى مؤتمر سومان عام ١٩٥٦ ، أن يفرض مبدأ أولوية الدخل على الخارج والسياسة على العسكرية ، الأمر الذى أدى إلى قتله بيد أصدقائه ، قام جيش الحدود بقيادة هوارى بومدين المنضم لأحمد بن بيلا ، بالاستيلاء على الجزائر العاصمة فى أغسطس ١٩٦٢ .

(٢) الذيم لجأوا أو من المفروض أنهم لجأوا إلى الأدغال بعد التاسع من مارس ١٩٦٢ ، وهو تاريخ بدء سريان وقف إطلاق النار تنفيذاً لاتفاقيات إيفيان .

(٣) صورة تؤيدها التصفية التى تمت قبل عام ١٩٦٢ لبعض "الزعماء التاريخيين" للثورة ، ثم بعد التحرير .

ولما كانوا فى حقيقة أمرهم أبناء حضريين " لقرويين مبعدين عن قراهم[1] " ، سبق أن ناضلوا ضد الاحتلال الاستعمارى باسم المحافظة على الوضع القروى التقليدى ، فإن دخولهم عالم السياسية كان من خلال معركة ضد الوصاية البيروقراطية التى يمارسها الجهاز التقنى فى الحكومة فى الثورة الزراعية ، ذلك الجهاز الذى وضعه نخبة الحكام الحضريين للقضاء على أسس الطبقة الريفية التقليدية .

ولكونهم حملة ذكرى أليمة ، ذكرى الاحتلال ، والحرب والطرد من الأرض ، فقد أخذوا على عاتقهم ، فى تحد وإصرار ، إعادة صياغة الرباط الاجتماعى مستعينين فى ذلك بالفئات المتوفرة من حضارة القرية وكذلك الفئات الوليدة من الحضارة الحضرية . وبعد الفصل بينهم وبين أواصر القربى فى أسرهم والشمائل التقليدية ، فقد أصبح من واجبهم بذل استراتيجيات حركة جديدة . وهنا وجدوا فى الأيديولوجية الإسلامية ما يعينهم فى التغلب على ما يعانون من انفصام اجتماعى وثقافى ، كما وجدوا فيها ما يتيح لهم تحويل ما تعرضوا له من استلاب وقهر إلى حركية اجتماعية وصياغة مشروع سياسى .

وكما هى الحال فى فرنسا حيث المدرسة تكون منطلقاً للصعود الاجتماعى ، فإن المدرسة والجامعة كانتا بعد استقلال الجزائر المكان الذى تكونت فيه النخبة الحاكمة، ثم ، وبعد التأثير المكثف فى الإقبال على التعليم ، أصبحت المدرسة والجامعة هما المنطلق لحركية سائر الجسم الاجتماعى (عدد الطلاب المسجلين فى الكليات ارتفع من ٢,٨٠٠ عام ١٩٦٢ / ١٩٦٣ ، إلى ١٧٣,٨٠٠ عام ١٩٩٧/١٩٩٨) ومن ثم، فإن الخريجين الجدد المعتمدين على شهاداتهم للارتقاء الاجتماعى الذى ينبغى فى نظرهم أن يتوازى مع الحصول على الشهادة ، قد اكتشفوا حياة علمية وسياسية صدئة بفعل سيطرة الحزب الواحد . ولما كانت المدرسة والجامعة حقيقتين بضمان توفير هيمنة الطبقة الحاكمة ، فقد أصبحتا ، منذ ذلك الحين ، فى قلب تناقضات نماذج إنتاج النخبة الحاكمة .

(١) بيير بورديو وعبد الملك سيد ، التغريب : أزمة الزراعة التقليدية فى الجزائر ، باريس/طبعة مينوى ، ١٩٦٤

وهكذا ، ومع قلب الأيديولوجية العلمية التى كانت تقوم على تحقيق شرعية هيمنة طبقة " برجوازية الدولة " ، فإن أبناء البرجوازية الصغيرة والطبقة الريفية المتوسطة توجهوا للتخصص فى المجالات " النبيلة " فى رأيهم ، وبصفة خاصة الطب ، وهو الطريق الملكى الذى لم تطرقه لفترة طويلة سياسية التعريب . وإذا بهيمنة " برجوازية الدولة " يعاد فيها النظر داخل الحرم الجامعى نفسه ، وهو أول المسارح التى شهدت الصدامات بين السلطة والمعارضة الإسلامية ، الأمر الذى يفسر فيما بعد النسبة العالية من الأساتذة فى التعليم العالى من بين الكوادر والمنتخبين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . جاء فى برنامج الحزب : " المطلوب رد الاعتبار لمهنة التدريس ومكانتها والاحترام الواجب لها فى الأمة الإسلامية ، كذلك من الضرورى تحسين الأوضاع المادية للمدرس . وهذا ما ينبغى له بالنظر للواجبات المقدسة الملقاة على عاتقه فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة " .

وكان من نتيجة وصول الأعداد الضخمة من خريجى التعليم التقنى إلى أسواق العمل فى مطلع الثمانينيات ، الكشف عن حجم التفرقة اللوائحية . ففضلاً عن أن الحصول على الشهادات لم يحل بين الخريجين التقنيين وبين البطالة ، فقد وجدوا أنفسهم مكدسين فى أعمال تقنية ، صحيح أنها تتفق مع مؤهلاتهم ، لكنها لا تحقق لهم المقابل المادى والاجتماعى الذى تحققه الأعمال المقصورة على المتعاونين مع الدولة من أمثالهم . وفى حين أن الأعمال المرتبطة بالدولة برباط وثيق تتيح لبرجوازية الدولة الرقابة على الاقتصاد ، فإن الأعمال التقنية تتعرض لهيمنة كبيرة من جانب العقلية البيروقراطية . هذا الخلل فى عدالة التوزيع يفسر لجوء العديد من المهندسين إلى ممارسة أنشطة تعويضية خاصة فى مجال التجارة .

ولما كانت الغالبية من هؤلاء النخبة من الشبان التقنيين تعمل فى جهاز الدولة حيث لعبة الترقى تخضع للمحسوبية والنفعية ، فقد وجد هؤلاء الشبان أنفسهم عرضة لمذلة العمل تحت رئاسة طائفة غالبًا ما تكون أدنى منهم فى المؤهل والخبرة .

وجاءت سياسة الانفتاح فزادت من حدة هذا الوضع ، إذ هيأت الفرص للحصول على امتيازات فى مجال التجارة ولو بطرق غير شرعية ، لا يحققها التخصص فى الدراسات العليا .

وإذا بالضياع والقصور والفيلات التى تم الحصول عليها بطريق غير شرعى خلال شهور عديدة ، وبخاصة الفيلات المنشأة فوق تلال باب الواد دون اعتبار لقوانين تملك الأرض ، وبالرغم من ندرة مواد البناء ، قد قضت تمامًا على هيبة الدولة فى نظر خريجى التعليم العلمى ، وخاصة أنهم فى أحسن الظروف يضطرون إلى قبول مساكن المواطنين المتواضعة فى الأحياء الشعبية . وكنوع من رد الاعتبار لهم والعرفان فقد تدخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ومنحتهم أدوارًا اجتماعية راقية .

وهم إذ كانوا مضطرين ، فوق ذلك ، إلى العمل فى تقنية مستوردة من الغرب ، ويحالون فى أغلب الأحيان إلى وظائف تخضع لرئاسة خبراء أجانب يحتلون وحدهم المناصب العليا ، فهم ينسبون مسئوليه وضع التبعية الذى يعانيه المجتمع الجزائرى إلى " برجوازية الدولة المغتربة " المتهمة بالتواطؤ مع الغرب وبخاصة القوة الاستعمارية القديمة . وإذا بالنخبة المبعدة عن قطاع التقنية الذى تجنده الدولة يستعيرون من مصطلحات العالم الثالث العديد من مواقفه ويعدون أنفسهم موكلين بمهمة تخليص الجزائر من سيطرة النظام العالمى الجديد ، المهتم بصناعة " ضعفاء [...] خدام القوى الأجنبية الصناعية" (الفرقان ، صحيفة ثنائية اللغة تصدرها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، العدد ٩ ، أغسطس ١٩٩١) . ومن ناحية أخرى ، فإن البرنامج الاقتصادى للجبهة الإسلامية للإنقاذ المفروض فيه أنه يتيح للجزائر أن تعوض تأخرها التقنى والحصول على استقلالها الحقيقى ، يحاول استئناف أسطورة التنمية المركزية التى بدأتها الجزائر الاشتراكية عام ١٩٧٠ .

وتأتى أزمة الوقود عام ١٩٨٦ ، لتشهد القطيعة النهائية مع الدولة لعدد كبير من الخريجين ، والبحث عن دور اجتماعى من شأنه أن يشبع رغباتهم فى الاستقرار . ولما كانت أجورهم تأتيهم أساسًا من دخول البترول ، فقد أصبحوا ينسبون أحوالهم المادية المتردّية إلى الدولة . وعلى ذلك فقد رفضوا الاستمرار فى القيام بدور الوسيط بين السلطة وبين الدوائر الاجتماعية ، لثقتهم الأكيدة بأن هذا الاستمرار لا يؤدى إلا إلى زيادة سيطرة نخبة الدولة . وفى الاتجاه نفسه ، وباسم النضال ضد التسيب والفساد ، راحوا يطالبون بالرقابة على الدخل وتوزيعه ، ومن ثم ، بالمشاركة فى ممارسة السلطة .

سوء حسابات حركة التعريب :

بدءًا من مطلع الثمانينيات ، امتدت حركة المعارضة إلى المساجد فى الأحياء الشعبية .

وكانت نشأة قادة البروليتاريا فى الحركة الإسلامية من بين مجموعات الشبان المحرومين من النظام الدراسى ، أو من بين الأعداد الضخمة أيضًا ممن اختاروا الإفلات من هذا النظام ، إما لأن آباءهم لم يثقوا فى المدرسة كضمان للحركية فى المجتمع، وإما لأنهم فضلوا العمل فى مجالات أكثر عائدًا ، ومن ثم تكونَ هؤلاء القادة ، جزئيًا ، من بين مجموعات الخريجين فى مدارس التعليم المعرب .

سرعان ما اكتشف خريجو مدارس التعريب وأولياء أمورهم أن قرارات التوجيه "الإسلامى العربى" للنظام لا تعدو أن تكون مجموعة من الشعارات فى بلدٍ ، الكفاءة فيه تعنى التمكن من اللغة الفرنسية . وخلال السبعينيات ، بينما سافر العديد من الطلبة الجزائريين إلى الشرق الأوسط للدراسة ، كانوا يعودون بعد أن يحصلوا على معرفة واسعة فى جوهرها معربة ، ووجدت الجزائر نفسها أمام نوع من التحدى لتطبيق نظام تربوى يعتمد أساسًا على التعريب الذى كان ينظر إليه فى ذلك الوقت بوصفه أحد روافد التنمية الذاتية . غير أن خطة التعريب كان بها نقص واضح فى الأطر المعربة تعريبًا كافيًا من أجل ضمان تكوين الأجيال القادمة. ولذلك لجأ القادة الجزائريون إلى الاستعانة ببعض الخبرات الشرقية ، فى أغلبها من المصريين ، كان لها تأثير واضح (وبخاصة فى مجال نشر المؤلفات الإسلامية) فى تنمية جبهة مناضلة من الإسلاميين تعمل ضد المشروع الاشتراكى . ولذلك جعلت العناصر المهمشة من عملية التعريب حصان السباق بالنسبة لهم ، على أمل أن تتيح لهم نوعًا من تكافؤ الفرص . وكان من نتيجة ذلك ، أن قام طلبة نظام التعريب مرتين ، فى عام ١٩٧٥ ثم عام ١٩٧٩ ، بالاحتجاج بسبب ضآلة العائد الوظيفى المتوافر لهم وطالبوا بالتعريب الكامل والفعلى للإدارة . فى ذات الوقت ، جعلت النخبة الحاكمة من سياسة التعريب أداة لشرعيتهم ، مع حرصهم الشديد على إبعاد أبنائهم عنها . ومن حيث إن عملية التعريب زادت من ضعف الفئات الاجتماعية غير المستقرة، فقد أدت إلى نوع من القطيعة التى لا علاج

لها بين أيديولوجية التقنية الحكومية الفرنكوفونية الخاصة بنخبة الدولة ، وبين أيديولوجية الأسلمة العربفونية الخاصة بنخبة المهمشين . وفى مقال بعنوان " لغة الأمة بين أخطبوط الفرنكوفونية وحراس التبعية الثقافية " ظهر باللغة العربية فى جريدة المنجد الناطقة بلسان الجبهة الإسلامية للإنقاذ (العدد الخامس ، نوفمبر ، ١٩٨٩) كتب كاتب إسلامى فى أسلوب لم يؤد إلا إلى زيادة الصراع الاجتماعى الذى يدور حول معركة اللغة : "إن محاولة إلغاء اللغة العربية هو ثمرة مؤامرة تنصيرية تم التخطيط لها بكل صبر وعناية [...] إن الاستعمار لم يفقد الأمل فى بلوغ أهدافه، وهو يسعى إلى بتر اللغة العربية حتى يصبح الحديث بها عاراً [...] إن بعض خدام الاستعمار الفرنسى وعبدة الصليب، ذهبوا إلى حد إلغاء اللغة العربية من برامج أحزابهم. فى حين أعلن آخرون تحالفهم مع فرنسا، وتآمروا حتى جعلوا اللغة الفرنسية على قدم وساق مع اللغة العربية [...] هؤلاء الذين جعلوا فرنسا قبلتهم، وبيجار نبيهم، لن يرضوا إلا إذا وجدوا الإسلام ممرّغًا فى التراب [...] إنهم يحتكرون مناصب التوجيه الوطنى ويطبقون الشعار الذى كان دومًا شعارهم : الجزائر فرنسية . فكيف نتوقع منهم أن يتنكروا للوعد الذى أخذوه على أنفسهم لفرنسا ؟ [...] حينما تصبح لغة العلم فى أمة لغة أجنبية، فإن هذا دليل على تبعية هذه الأمة وأيضًا دليل على الذلة والمهانة : إنها بصمات الاستعمار على جبين الأمة . إن شعبًا يستعير لغة شعب آخر إنما يستعير منه أيضًا فكره وسلوكه . [...] إن أعداء الإسلام ، عبيد الاستعمار والتنصير، وعملاء الصهيونية المدمرة ، يريدون من الجزائر أن تلقى بنفسها فى أحضان بلاد التحالف الفرنكوفونى " .

ونتيجة لذلك فإن وطنية النخبة الإسلامية تعبر عن نفسها بادئ ذى بدء ، من خلال إصرارها على الالتزام بالطقوس اللغوية ، فالنخبة الجزائرية تجد نفسها دومًا مضطرة إلى إظهار شرعية أوضاعها عن طريق الإعلان عن فاعلية صراعها ضد الإمبريالية الأجنبية ، وعن طريق المناهضة الداخلية للنظم التى تتعلق بقيمها . وإذا كانت " اللغة الفرنسية " بعد الاستقلال تمثل طريقة التعبير المميزة " للبرجوازية الصغيرة " ، بالرغم من أن الوطنية التى رفعت شعارها الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد جعلت من تبنى "اللغة الوطنية" أحد الأسلحة الرئيسية لتحقيق الاستقلال ، فإن النخبة الإسلامية جعلت

من نفسها الحارس للأصولية اللغوية . وكما أن التمييز بين الناطقين بالفرنسية والمناضلين بالعربية قد أدى عام ١٩٦٢ إلى اختلافات ثقافية عميقة - بين نخبة من خريجي المدارس الفرنسية ونخبة من خريجي جامعات الشرق الأوسط - فإنها اليوم تطرح على الساحة انقساماً بين حاملي الثقافة " المفرنسة " بوصفها أجنبية ، وبين حاملي الثقافة " الوطنية " وهي ثقافة محلية . وفي مقال ظهر باللغة الفرنسية يعلن أحد قراء صحيفة المنجد الإسلامية (العدد ١٣) عن سخطه قائلاً : " لقد أصبح الإسلام مصدر إزعاج لحثالة فاسقة تزعم أنها مثقفة، لأنها تلغو بالفرنسية وتريد أن تصبح أوروبية حتى اللب . يا له من امتياز داعر إذا علمنا أنه كان وراء الاستعمار الفرنسي للجزائر . وهكذا ، ولما كان أوائل المجاهدين الإسلاميين في أغلبهم ، من ذوي التكوين الفرنكوفوني ، فبدلا من أن نطلق عليهم صفة ناطقين بالعربية (عربفون) من الأفضل أن نسميهم " مستعربين"، وهو لفظ يعني أفراداً عالمهم الثقافي محدد واقعياً أو رمزياً باللغة العربية .

كذلك يمكن أن نصفهم بأنهم عربفون سوسيولوجيون كما كان سالفاً في فرنسا من أطلق عليهم " مسلمون سوسيولوجيون " وهو ما يفسر أن هناك ، داخل قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، مجاهدين من أصل " قبائلي " ، متعربين / من بين أكبرهم سناً ، عن طريق النسيج المدني الخاص بالمدارس الوطنية ، والمندمجين في الجسم العربي، أشبه بالأقليات النصرانية في الشرق الأوسط . وهم على أية حال يصطدمون بمصالح من يصفونهم بأنهم متفرنسون .

أكتوبر ١٩٨٨ - التقاء المعارضات :

اتحد الخريجون المهمشون مع ضحايا سياسات الانفتاح التي وجدت في البطالة، أو قلة فرص العمل ، أخطاراً لم تعد الدولة تنقذهم منها، كما اتحدوا مع عمال القطاعات الأقل اندماجاً في الاقتصاد الوطني - من المهنيين وصغار التجار وصغار الموظفين ، ووجد الخريجون المهمشون في الأيديولوجية الإسلامية الوسيلة للنهوض بمشروع إنقاذ جماعي يكون بمثابة ثورة تالية لمشروع الدولة في التنمية ، ذلك المشروع الذي يعتقدون أنهم مستبعدون من المشاركة فيه .

وكانت انتفاضة أكتوبر ١٩٨٨ ، وهى ذروة فترة بدأت بـ " ربيع البربر " ١٩٨٠ واستمرت من خلال انتفاضات قسطنطينة عام ١٩٨٦ ، تمثل فى الواقع وصول جيل جديد إلى مرحلة البلوغ السياسى ، جيل جديد لا يتعرف على نفسه فى نهج الحكام السياسى ، ويطالب ، من خلال معارضة النظام القائم ، بفرصة أعدل فى آليات التوزيع . وسواء كانت انتفاضات قسطنطينة وسيتيف فى نوفمبر سنة ١٩٨٦ التى ارتكب فيها الطلاب عمليات نهب رهيبة ، ترجع فى الأصل إلى التنديد برداءة الطعام (طبق عدس كان الشرارة التى اندلعت بسببها المظاهرات) ، وسواء كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ مسبوقة بحالات فقر وبؤس لم يسبق لها مثيل ، فإنها لم تكن مجرد انتفاضات عادية ، ولكنها تدل فى واقع الأمر على إرادة المهمشين فى التخلص من نظام متسلط وعاجز فى الوقت نفسه .

بينما كان العديد من قطاعات الاقتصاد فى حالة إضراب منذ أواخر شهر سبتمبر، وكانت بعض السلع الضرورية تنقص فى الأسواق ، راجت شائعات بإضراب عام كان سبباً فى الانتفاضة الشعبية التى اندلعت ليلة الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٨ فى الجزائر العاصمة . ففى خلال ساعات محدودة شرعت جماعات من الشبان فى باب الواد تهاجم السيارات الفاخرة والمحلات العامة (وبخاصة تلك التى تنتمى إلى الحزب الوحيد) ومتاجر الدولة ، وبشكل عام كل ما يرمز إلى النظام الحاكم . كما هوجم المركز التجارى المعروف باسم " رياض الفتح " (وسيصبح كذلك هدف الجماعات الإسلامية المسلحة صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢) وتحولت الحركة إلى عصيان حينما أطلق الجيش النار وأصاب العديد من المتمردين بجروح . وفى اليوم التالى ، إذا بالاضطرابات التى انضم إليها عدد من طلاب المدارس الثانوية المضربين منذ الثالث من أكتوبر ، تمتد إلى جميع أحياء العاصمة ، ثم إلى الغالبية العظمى من البلاد . وبالرغم من صدور قرار بوقف إطلاق النار منذ السادس من أكتوبر ، وتحذير الآباء من قبل القيادة العسكرية بعدم السماح لأبنائهم بالخروج ، زادت الحالة سوءاً مع مرور الأيام ، حينما راحت مجموعات الشبان يتصدون للعربات العسكرية بأيديهم الفارغة من أى سلاح ويصيحون مطالبين بالعدالة وهم يهتفون مرددين : "شاذلى قاتل"(١) .

(١) إذا كانت الأرقام الرسمية تشير إلى ١٥٠ قتيل و ٥٠٠ جريح ، فإن الجمعية الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان تقدر عدد القتلى بـ ٥٠٠ ، كذلك فقد نددت الجمعية باستعمال التعذيب .

اندلعت المظاهرات أولاً بقيادة زعماء الأحياء، ولم تلبث أن تولى قيادتها الزعماء الإسلاميون . وكانت الدهشة الشديدة لأن الحركة كانت ذات طبيعة مختلفة عما تعودت عليه الجزائر حتى ذلك اليوم ، فقام بعضهم على وجه السرعة بعمل " خلية أزمة " تولت مهمة الوساطة بين السلطة وبين المتظاهرين . وفى السادس من أكتوبر صدر بيـان من " الخلية " وبتوقيع من الشيخ أحمد سحنون (أحد قدامى جمعية العلماء وهو متشدد مع السلطة ، ومن ثم فهو يتمتع باحترام كبير لدى جماهير الشعب) يعلن أن الأزمة ترجع أسبابها ودوافعها إلى موقف عام متردٍ بسبب سياسة البذخ والتسيب والهيمنة على حساب مصالح الأمة العليا ، ولا يمكن حلها إلا " بالعودة إلى الإسلام كشريعة ومنهج ، بعد فشل النظم الفاسدة المفسدة " ومع كل فإن نداء الشيخ سحنون لم يحدث فى أول الأمر أى تأثير ثم توالت المواجهات . وبعد أن أعلن "وفد إسلامي" مكون من على بن حاج والهاشمى سحنون وكامل نور (ثلاثة دعاة يتزايد حجم جمهورهم باضطراد فى الأحياء الشعبية) فى اليوم السابع من أكتوبر ، عن نيته فى القيام بزيارةٍ لسلطات الشرطة، وأدى سقوط العديد من الضحايا يومى الثامن والتاسع من أكتوبر إلى صدور نداء آخر بالتظاهر من على بن حاج فى اليوم العاشر من أكتوبر فى مسجد كابول (بلكور) ولم يعرف أحد كيف ولماذا – استفزاز ؟ سوء حظ ؟ فبينما المصلون فى طريق عودتهم من المسجد ومرورهم أمام مبنى الإدارة العامة للأمن الوطنى ، إذا بعيار نارى مجهول يطلق فى اتجاه قوات النظام فيكون بمثابة إلقاء النار على البارود ، فقامت قوات النظام بالرد مما أسفر عن ثلاثين قتيلاً تقريباً .

وتدخل على بن حاج مرة أخرى . وقدم تظلماً باسم الحركة الإسلامية فى عريضة من عشرة نقاط تمثل مطالب المتظاهرين . من بين المطالب التى تقدم بها إطلاق سراح جميع السياسيين المحتجزين قبل وأثناء الأحداث ؛ وإلغاء المحسوبيات والمفاسد السياسة والإدارية ، وضمان حد أدنى للحياة لكل جزائرى ، وحرية الدعوة للإسلام دون أى قيود ؛ وحرية التجمع والتعبير ونقد الدولة ؛ وإصلاح القضاء وتحسين أوضاع رجال القضاء درءاً للفساد ؛ و" إصلاح " التشريع لإلغاء كل ما يعارض الإسلام ؛ وإصلاح التربية والتعليم سعياً لإقامة تعليم إسلامى ؛ ودعم الصحافة المستقلة وضمان حصانة الصحافيين لكى " تعود الكلمة إلى الشعب"، باختصار ، ندد الزعماء

الإسلاميون بجميع المساوئ التى يعانى منها المجتمع الجزائرى مع إضافة بعدٍ أخلاقى لا يمكن للمتظاهرين إلا أن يكونوا مؤيدين له . الجزائر فى أزمة . وهى أزمة اقتصادية واجتماعية حقًا ، ولكنها أيضًا أخلاقية ، غذتها عدة عقــود من الفساد والمحسوبية ، مما يفسر أن الانتفاضة التى يدعو إليها الإسلاميون البلاد يمكن أن تبدو للبعض الإجابة المناسبة .

دولة ظالمة = دولة كافرة

على بن حاج و «الحل الإسلامى» :

راح الشباب الصاعد يتمثل القوى الاجتماعية السابق تشكيلها ، وكذلك الأحزاب السياسية التى ظهرت صبيحة اضطرابات أكتوبر. ومن خلال الجبهة الإسلامية للإنقاذ، توحد شباب المدينة المعزول فى أشخاص القادة الذين يشبهونه . وهناك رجل استطاع أن يتقمص وحده هذا الجيل بأسره . هذا الرجل هو على بن حاج .

ولد بن حاج فى السادس عشر من ديسمبر ١٩٥٦ داخل أحد معسكرات اللاجئين على الحدود الجزائرية التونسية . وهو من ولاية بشار (جنوب الجزائر) مسجل فى شهادة ميلاده باسم على بن محمد بن حاج حبيب بن صلاح ، ابن خيرة بن حسن ابن محمد . وفى الثانى عشر من فبراير ١٩٨٩ صدقت محكمة الجزائر العاصمة على اسمه الذى أصبح حينئذ على بن حاج نسبة إلى جده من أمه . وعلى بن حاج هو ابن " شهيد " ، ماتت أمه وهو فى سن التاسعة . وقام بتربيته خاله من خريجى جامعة الزيتون المشهورة فى تونس العاصمة . لدى عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال ، وعلى الرغم من قلة موارد أسرته المادية ، التحق بإحدى المدارس الثانوية فى مدينة كوبة بالجزائر العاصمة حيث ظهر اهتمامه البالغ بالقضايا الدينية. وبعد مرحلة مراهقة مضطربة ، رسب فى عام ١٩٧٥ فى امتحانات الباكالوريا . وفى عام ١٩٧٩ ، نجح فى مسابقة التدريس بالمدارس المتوسطة وأصبح مدرسًا بإحدى المدارس الثانوية فى كوبة . استفاد على بن حاج من العلوم التى تلقاها على أيدى كل من الشيخ **عبد اللطيف سلطانى** والشيخ **أحمد سحنون** ، وبصفة خاصة الشيخ **عمر العرباوى** ، وهم جميعًا من

قدماء أعضاء جمعية العلماء غير المرتبطة بالنظام السياسى . ومن ثم بدأ على بن حاج نضاله منذ عام ١٩٧٧ فى إطار الحركة الإسلامية وندد بالسلطة مستخدما عبارات تزداد قسوة يوما بعد يوم ، الأمر الذى كلفه العديد من " الزيارات " لمديرية أمن الجزائر العاصمة . فى سن العشرين ، بدأ على بن حاج حياته العلمية بالعمل خطيباً فى جامع العشور . فى الدائرة الانتخابية الخاصة بالشيخ **مصطفى بويالى** (زعيم أول الأحراش أو الأدغال الإسلامية ، وذلك من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٧) الذى أصدر بشأنه فتاوى تؤيد النضال المسلح . وكان تردده على المجموعة سبباً فى القبض عليه عام ١٩٨٣ وصدور الحكم عليه من محكمة أمن الدولة بالسجن ، فكرس شهور سجنه فى قراءة القرآن الكريم وأمهات الكتب الإسلامية . وبعد أن أمضى فترة من العقوبة ، صدر قرار رئاسى بالعفو عنه، لكنه رفض . فحددت إقامته فى ورجلا **Ouargla** عام ١٩٨٧ . ومنذ ذلك التاريخ ، قرر ، مع مجموعة أخرى من الخطباء ، أن ينشر " الكلمة الطيبة "(١) فى بعض أحياء العاصمة . كما نظموا بين صلاة العصر وصلاة المغرب ، سلسلة من المحاضرات فى موضوعات متنوعة حول المساعدات الاجتماعية ووضع المرأة فى الإسلام . وقد ساعد فى نشر هذه المحاضرات تسجيلها فى أشرطة وتوزيعها على سائر مساجد البلاد .

من صفات على بن حاج البارزة تحمسه الزائد وتعمقه الشديد فى الدين ، كما أن أسلوبه واضح مفهوم يجمع بين العربية الفصحى واللهجة المحلية فى أسلوب ساخر لاذع جذب إليه إعجاب العديد من زعماء الإسلاميين فى العالم . جمع بين موهبة الخطابة وبراعة التمثيل . ينتقل بين الصوت الجهورى والرقة والعذوبة والبكاء تارة والسخرية تارة أخرى . تصل خطبه إلى قلوب المستمعين الذين يحصلون عليها مسجلة ومعروضة فى " الأسواق الإسلامية " يوم الجمعة ، وحتى فى المكتبات المتخصصة فى باريس فى الحى العشرين والحى الثامن عشر .

فى باب الواد يلقى على بن حاج ، من فوق المنبر ، فى مسجد السنة أو " الإمام على " كما يطلقون عليه ، خطبه عن قصد أو غير قصد ، فتثير ذكرى الشهيد على بن أبى طالب ، فيزلزل الطبقة الحاكمة فى الجزائر والمسئولين فى الغرب .

(١) هى عبارة " لا إله إلا الله " التى هى أساس العقيدة الإسلامية (المترجم) .

ولا ينفك بن حاج عن التنديد بالمؤسسات الجزائرية وإثارة قلق السلطة ، وتتتابع الصفات التى تُخلع على الرجل ، من " الفاضل " إلى " المعصوم " ، الرجل الذى لن ترتاح له السلطة الجزائرية أبدا . ويتدخل عباس مرات عديدة من أجل التخفيف من غلواء وحماسة هذا الخطيب الشاب الذى أصبح " معبوداً " للشباب البائس المهمش . ويكمن سر نجاحه قبل كل شيء فى تقشفه الذى يقربه من الجمهور . ثم فى الرحمة الحقيقية التى تجعله يمس شغاف قلوب الناس ويعيّن لهم الدواء الناجع لآلامهم . ومع انتماء بن حاج إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ منذ نشأتها ، أصبح يمثل التوجه الراديكالى فى الحزب . فهو لا يقبل أى تواطؤ حول موضوعات الديمقراطية (التى يرى أنها "فاسدة " لا أمل فيها) وإقامة دولة إسلامية تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية . وبذلك يصبح على بن حاج أبرز أعضاء الحزب وأكثرهم تشدداً . ولكنه أيضًا ، وبطريقة ما ، أكثرهم تأثيراً فى الجماهير .

ومن الجدير بالذكر ، أن جمهور بن حاج راح يزداد أسبوعًا بعد أسبوع ، بل إن القوم كانوا يحضرون من الأقاليم للاستماع إليه وهو يدعو إلى إقامة دولة إسلامية . وتصبح هذه اللقاءات فرصة لمناضلى العاصمة لإقامة اتصالات مفيدة مع جميع أنحاء البلاد . كما زاد الطلب على بن حاج لكى ينتقل إلى الأقاليم ليلقى فيها الخطب. وتحت تأثير الضغط وتجربة السجن التى مر بها ، أصبح يطبع خطبه بطابع سياسى جديد . كما أن تأثيرة الكبير على شباب الأحياء الشعبية ، وقدرته على تحريكه ، وكذلك فى إعادته إلى النظام ، جعلت منه صبيحة أزمة أكتوبر عنصر وساطة للسلطة . وقد جعله هذا الوضع يحتل مكان الصدارة فى الحزب الجديد .

وصبيحة انتقاضات أكتوبر ١٩٨٨ ، جاء خطاب الدولة يحمل آيات المديح والثناء الزائد للقضايا المتعلقة بوظيفة المؤسسات ، وذلك على حساب القضايا الاقتصادية والاجتماعية ، مما أعطى الجزائريين المهمشين الشعور بأنهم غير مقصودين بعملية " الديمقراطية " وأصبحت مطالبهم ، التى تتركز على تحقيق أفضل لآليات التوزيع ورفضهم لديمقراطية تنحصر فى بعدها الوحيد التشريعى السياسى ، تجد صدى كبيراً عند الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، التى كانت تدعو إلى إتاحة الفرصة للشبان المهمشين لإعادة رسم حدود الخريطة الوطنية بمنأى عن الدولة .

ومن ناحية أخرى ، وجد المهمشون فى الانفتاح الاقتصادى الذى أعلنه الرئيس شاذلى صبيحة انتقاضات أكتوبر ، وسيلة تفتق عنها خيال النظام السياسى للتخلص

من الواجبات الاجتماعية الملقاة على عاتقه منذ ثلاثين عاما . لذلك سجلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أكبر نجاح حينما حلت محل الدولة في القيام بهذه المهام . كان ذلك على وجه التخصيص بمناسبة زلزال تيباسا Tipasa في أكتوبر ١٩٨٩ . تلك الهزة الأرضية العنيفة التي أسفرت عن آلاف الضحايا في المدينة التي جعلها ألبيركامو مسرحًا لروايته " العرس " ، التي عانت من بطء إجراءات الدولة لإنقاذها . لقد قام المجاهدون الإسلاميون بفضل خبرتهم الطويلة في الحركية وتقديم المساعدات ، بسد هذا النقص ، محققين بذلك كسب أصوات سكان المدينة لصالحهم .

وأخيرًا كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، في نظر المهمشين ، دليلاً على أن السلطة، قادرة على كل شيء ، بما في ذلك إطلاق النار على الأطفال ، من أجل المحافظة على امتيازاتها . إن المسلمين الحقيقيين (هكذا يعرف القادة الوطنيون أنفسهم منذ الاستقلال) لا يتصرفون على هذا النحو ، فالكفرة وحدهم الذين أعرضوا عن " قيم الإسلام الحقيقي" هم الذين يتجرأون على " انتهاك الحرمات " على هذا النحو . وعلى ذلك فقد أصبح القادة السياسيون الفاسدون ، على النقيض من الدعوة العربية الإسلامية الرسمية ، يوصفون بأنهم " منافقون " على شاكلة أعوانهم من الأئمة الرسميين ، الذين يوصفون منذ منتصف الثمانينيات بأنهم أئمة شيكات الحسابات البريدية (CC P) أو الخُبزيين (أئمة الفتّة) .

ونهج الإسلاميون منهج الترغيب والترهيب في علاج المفاسد التي يعاني منها المهمشون وينسبونها إلى الدولة، وكان أحد الشعارات المعلنة في الحملة الانتخابية في ديسمبر ١٩٩١ والتي رفعها الإسلاميون ، شعار يقول : " صوتك ، ستكون مسئولا عنه أمام الله " . وبذلك أصبح عدو الشعب عدواً لله .

والواقع، أنه إذا كان الفساد والظلم الاجتماعي يرجعان إلى قيام القادة السياسيين باستيراد " العادات والتقاليد المخالفة للأخلاق الإسلامية " من الغرب ، فإنه لا يقدر على إنقاذ الجزائر من طوفان الفساد إلا قادة يخافون الله . وأصبح الإنقاذ الوحيد على المستوى الفردي والجماعي هو المطالبة بتطبيق " الحل الإسلامي " . ولقد أصبح هذا البرنامج يتجلى في إعلان الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي اختارت لها شعارا الآية الكريمة التي تقول : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

[آل عمران ، ١٠٣]

(٣)

العروبة والإسلام فى قلب الجدل السياسى

فى معرض اتهامها للسلطة بعدم الالتزام بنظام إسلامى ، أسهمت هى مع ذلك فى تشكيله ، لا تحاول الجبهة الإسلامية للإنقاذ الدعوة إلى إعادة النظر فى صيغة شرعية السلطة ، وإنما تنقل معركتها ، على النقيض من ذلك ، إلى قلب جهاز الحركة الوطنية .

إن نضال الجزائر من أجل الاستقلال قام ، فى واقع الأمر ، على محورين اثنين، الأول " ثقافى " تمثله جمعية العلماء ، والثانى " سياسى " تمثله حاليًا جبهة التحرير الوطنى . هذان المحوران ، إذ يجعلان من الإسلام المعبّر عن الإجماع الوطنى ، فإنهما يضفيان عليه وعلى الأمة قدرات كبرى فى تحقيق الشرعية للعناصر المختلفة التى تسعى إلى كرسى السلطة .

العروبة والإسلام

دور العلماء فى تشكيل الوطنية الجزائرية

إن تكوين وعى وطنى يكون فيه الإسلام دعامة الشخصية والأمة الجزائرية وعنصر اندماج وتوحيد للشعب الجزائرى ، يجد جذوره فى كل من الحركة الوطنية الإسلامية " الخاصة بجمعية العلماء بزعامة الشيخ **عبد الحميد بن باديس** ، والحركة الوطنية الشعبية التى يدعو إليها **مسالى حاج**[1] . وإثارة هذا النوع من

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر : محمد حربى ، أصول جبهة التحرير الوطنى : الشعبية الثورية فى الجزائر ، باريس ١٩٧٥ ، وعلى مراد ، الإصلاح الإسلامى فى الجزائر من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٠ ، باريس ، موتون ، ١٩٦٧ .

الوطنية كان إلى حد كبير وراء وقوف الشعب الجزائرى إلى جانب جبهة التحرير الوطنى وجيش التحرير الوطنى التى وجد فيها المجاهدون الذين سقطوا فى ساحة الشرف ، قانون الشهادة فى سبيل الله .

ومن ناحية أخرى ، فإن المقاومة الثقافية التى تدعمها جمعية علماء الدين وتتركز حول الإسلام كتعبير عن الشخصية والوطنية الجزائريتين ، وكوسيلة لمقاومة استلاب الشخصية بسبب الخضوع للاستعمار ، هذه المقاومة الثقافية كانت حاسمة فى عمليه تشكيل الضمير الوطنى . " الجزائر وطنى ، والعربية لغتى ، والإسلام دينى " ، ذلك هو الشعار الثلاثى للجمعية ، والذى أصبحت كلماته شعار الوطنيين فى جبهة التحرير الوطنى .

ومع ذلك ، فإذا كانوا قد أسهموا فى الماضى فى دعم الحركة الوطنية الجزائرية عن طريق إثرائها ببعد دينى لم يتزعزع ، فإن عجزهم فى عرض القضية الوطنية بصورة راديكالية ، قد حرم العلماء من تولى إدارة حركة آلت إلى نخبة الشباب الذى يتعامل مع قضية العروبة والإسلام بشكل متناقض .

والواقع ، أن **مسالى حاج** قد طبع التوجه الثقافى والدينى ببعد ثورى غريب تماماً عن نضال علماء الدين ، الذين لم يكونوا يتصورون الانفصال عن فرنسا . إن جمعية العلماء مع أنها كانت تعارض بشدة كل شكل من أشكال الذوبان ظلت ترفض المطالب الانفصالية، وكانت تقف من فرنسا موقف الولاء . هذا الموقف الغامض تجسد فى فكر **بن باديس** فى التمييز الدقيق بين " الوطنية السياسة " (النابعة من قانون سياسى لطائفة ، قد تكون استعمارية) وبين " الوطنية العرقية " (النابعة من الخصائص الاجتماعية الثقافية لطائفة) . ومن ثم فإن الارتباط بفرنسا الذى أعلنه الدعاة إلى المؤتمر الإسلامى عشية حملة تأييدهم لمشروع بلوم فيوليت[١] ، هذا المشروع تعرض

(١) مشروع قانون يقترح منح حق المواطنة الجزائرية لبعض فئات الجزائريين دون التخلى عن قانون الأحوال الشخصية والذى وضع فيه علماء الدين جزءاً من آمالهم .

لهجوم عنيف من جانب **مسالى حاج** الذى احتل منذ ذلك الحين مكان الصدارة فى الحركة الوطنية الجزائرية وهكذا فإن " الحركة الوطنية الإسلامية " بدأت تتخلى عن مكانتها منذ أواخر الثلاثينيات لحزب الشعب الجزائرى - الحركة من أجل الحريات الديمقراطية . الذى حرمها فيما بعد وبشكل نهائى ، من إدارة الحركة الوطنية .

هذه الحركة التى تكونت حتى ذلك الحين تحت رعاية نخبة البرجوازية التقليديين فى الحضر ، شهدت قاعدتها وقد تحولت لصالح البرجوازية الصغيرة (الموظفين، والعمال ، والطلاب) ، من بلورتاريا العامة فى الحضر .

ومن ثم تحولت النخبة الشعبية التى همّشها الاقتصاد الرأسى الاستعمارى شيئًا فشيئًا إلى طائفة الأعيان العاجزين عن الاعتماد على الجماهير الشعبية التى يخشون من عنفها كما يخشون من جهلها . ولما كانت حاملة لخطاب راديكالى يدعو إلى القطيعة مع فرنسا ، فقد همّشت علماء الدين ، الذين وجدوا أنفسهم فى النهاية مضطرين ، فى يناير ١٩٥٦ ، إلى اتباع نهج جبهة التحرير الوطنى .

وهكذا ، انتهى الأمر بالنسبة لأعضاء جمعية علماء الدين فى أى دور توجهى داخل الحركة الوطنية . وتحولت إدارة هذه الحركة إلى الأجيال الجديدة من المناضلين الذين كان من شأن جناحها اليسارى طبع النصوص التأسيسية للدولة المستقلة القادمة بطابعه ، كما شدد التذكير على " ظلمات" ورثة بن باديس .

ولكن إذا كان علماء الدين قد تركوا إدارة الحركة الوطنية تتحول إلى غيرهم ، فإن العديد من نظرياتهم قد كتب لها النجاح ، مما خلع على الحركة الوطنية الشعبية الجزائرية بعدًا سياسيًا دينيًا - عربيًا إسلاميًا ، مازجين بذلك الأهداف الاجتماعية بالثقافية والدينية .

ومنذ ذلك الحين أصبح علماء الدين " فى نظر البعض آباء الحركة الوطنية الجزائرية " وفى نظر البعض الآخر مجرد أصحاب مساهمة فى القضية الوطنية ومهتمين من قبل نصوصهم بالدفاع عن سياسة الاندماج وأخيراً ، وبالرغم من هذه الاتهامات ومن كونهم المحرضين الأساسيين على النضال الوطنى ، وجد علماء الدين دورهم فى التاريخ الوطنى الجزائرى يقوم بطرق متناقضة .

وقد عرفت المعركة تحولات جديدة على أثر تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو حزب يعلن انتماءه علناً لجمعية بن باديس . منذ ذلك التاريخ أصبح العلماء عرضة لسلسة من الهجوم المستمر ، بينما النصوص التى أفرزتها الجماعات السرية الإسلامية كانت تؤكد منذ ربيع ١٩٩٢ أنها تواصل " الجهاد المقدس " الذى يراه **عبد الحميد بن باديس** ضد المحتل الغاصب . وأخير ، وبعد حوالى ثلاثين عاماً من المنفى ، افتتح الرئيس **محمد بوضياف** عودته إلى البلاد بخطاب يدعو فيه الجزائريين إلى مواجهة بعض الحقائق التاريخية : نعم، لقد كذبنا عليهم طوال ثلاثين عاما ، كلا ، إن علماء الدين لم يقودوا حرب الاستقلال . وفى الوقت نفسه فقد أعلن **بن يوسف بن خدّه** الرئيس القديم للحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر . فى مقابلة صحفية مع الصحيفة الإسلامية " اليقظة " وفى مناسبة الاحتفال بذكرى الخامس من يوليو (الذى تزامن عام ١٩٩٢ مع فتح قضية قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ) أن " حظر تكوين الأحزاب الدينية (كان) تنكراً للإعلان الأول من نوفمبر ١٩٥٤ " .

جبهة التحرير الوطنى ، خلفاً للحركة الإصلاحية

كان النضال من أجل الاستقلال فى نظر البعض يسمى باسم الجهاد بهدف تأسيس دولة " إسلامية " ، أو فى نظر البعض الآخر ، باسم مفهوم فلسفى مأخوذ من الغرب، بهدف تأسيس دولة – وطن على غرار نموذج القوة الاستعمارية القديمة ، ومن ثم كان النضال من أجل الاستقلال يحمل فى نفسه بذور الخلاف الذى ظهر منذ انعقاد مؤتمر سومان فى أغسطس عام ١٩٥٦ .

وفى حين كان الجناح الماركسى فى جبهة التحرير الوطنى يؤكد توجيهه العلمانى، كان **أحمد بن بيلا** يندد بمحاولة إعادة النظر فى الطابع الإسلامى " فى المؤسسات السياسية المستقبلية ويعلن رفضه لعلمنة الدولة[١] .

وبوضعها فى مفترق الطرق بين الاشتراكية وبين التقاليد الإسلامية ، حددت جبهة التحرير الوطنى اتجاهها الإصلاحى . فمنذ إعلانها فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ، حددت

(١) بنيامين ستورا ، تاريخ حرب الجزائر (١٩٥٤ – ١٩٦٢) ، باريس ، لاديكوفيرت ، ١٩٩٣

هدفها بأنه " تحقيق وحدة الشمالى الإفريقى فى إطاره الطبيعى العربى الإسلامى " . مع ذلك ، جعل المجلس الوطنى لجمهور الجزائر من تطبيقه للمبادئ الإسلامية إحدى أولويات المستقبل . وحينما جعلت هذه الجبهة من نفسها المدافع عن الهوية الجزائرية ، سواء فى مفهومها الدينى واللغوى أو فى مغزاها الأخلاقى ، فإنها بالتالى تتبنى معظم الصفات الثقافية الخاصة بحركة الإصلاح التى تتعلق بحدود الوطن والهوية الوطنية .

ولكن التأثير الحاسم للإصلاح يكمن فى المزج الذى تدعو إليه حركة الإصلاح الراديكالية بين الوطن والجماعة وهو مزج تركيبى فى مفهوم الجزأرة . هذا الدمج كان السبب وراء إقصاء بعض المناضلين فى الائتلاف الفرنسى وحزب الشعب الجزائرى ، عشية الأزمة البربرية عام ١٩٤٩(١) .

كما كان السبب ، وراء عملية القمع التى وقعت حديثًا فى "ربيع البربر" عام ١٩٨٠ . فبدلاً من البعد العربى – البربرى للجزائر ، تضع أسطورة الجزأرة التوجه العربى الإسلامى المناقض لأى شكل من أشكال الخصوصية .

والواقع أن أيديولوجية جبهة التحرير الوطنى حاولت منذ الاستقلال " طبع الإسلام بطابع وطنى " تمامًا كما قامت بطبع الزراعة والصناعة بطابع وطنى باسم مناهضة "الغرب الصليبى". وهنا بالضبط يكمن غموض التشريع السياسى للإسلام فى الجزائر. إن الدين ، بوصفه عنصراً مشكلاً للاستراتيجية السياسية للنظام ، لقى التقدير والتبجيل ، ليس لما يحمله من قيم نوعيه ، وإنما لما يتيحه من بلورة الأيديولوجية الرسمية .

إن الإسلام ، وقد كان دائما يتمثل هوية الجزائر المحتلة ، لابد له أن يلعب الدور نفسه لإقرار شرعية حكام الجزائر المستقلة وتحريك الجماهير حول مشروع البناء الوطنى والعاملين عليه .

(١) فى عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩ قام أعضاء من حزب الائتلاف الفرنسى يدافعون عن الهوية البربرية ، وانتقدوا الاتجاه العربى الإسلامى للحزب . هؤلاء " البربر الماديون " كما أطلق عليهم فى ذلك الوقت ، تم استبعادهم باسم انقاذ الوحدة الوطنية .

تأثر العلماء

منذ عام ١٩٦٢ ، لم تتوقف جمعية علماء الدين وورثتها ، بالرغم من الانتقادات الموجهة إليهم ، عن المطالبة بنصيبهم فى تحقيق الاستقلال .

وفى عام ١٩٦٣ ، قام التوجه الإصلاحى للسلطة الجديدة ، بدعم من المعادين للماركسية فى بطانة بن بيلا(١) ، بتأسيس جمعية " القيم الإسلامية " بزعامة **الهاشمى تيجنى** ، وهو مثقف ثنائى اللغة من خريجى كلية العلوم الإنسانية بجماعة " بوردو " فى فرنسا . وعمل بالتدريس بجامعة الرباط وكان فى تلك الفترة أميناً عاماً لجامعة الجزائر . وتهدف الجمعية إلى الدفاع عن " القيم الإسلامية التى يهددها قرن ونصف من الاستعمار . وهى تعارض فى مصادرة جبهة التحرير الوطنى أن النضال من أجل التحرير " تحوّل " عن هدفه الأصلى وهو إقامة دولة إسلامية . وجاء عاما ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، اللذين ظهر خلالهما ميثاق الجزائر ، ليشهدا انتصار الجناح الماركسى فى جبهة التحرير الوطنى ، صحيح أنه انتصار مؤقت ، ولكنه غامض . ومن ثم شعر نخبة العريفون (ذو التكوين العربى) بالحاجة إلى معارضة " الاستيلاء" على الدولة من جانب نخبة ، تقنية ، تكمن شرعيتها فى تكوينها " الغربى " وبالذات " الفرنسى". وجعلوا يصفون الحكومة " بالكفر " وخصومهم بأنهم " أعداء الإسلام " . وعلى النقيض من الإصلاحيين المنتمين لـ بن باديس ، أضفت جمعية القيم مضموناً أيديولوجياً على العودة إلى مصادر الإسلام . وكان ما طالبت به الدولة هو إقامة مجتمع، واستخدام قوتها الرادعة فى هذا السبيل ؛ ذلك ما تضمنه خطاب زعمائها . وكانت جملة الاضطرابات التى نظمتها جمعية القيم من خلال مؤتمرها المنعقد فى الخامس من يناير عام ١٩٦٤ ، سبباً فى إقامة أمينها العام من منصبه فى جامعة الجزائر . فعلى نداءات " الله أكبر " حمل المجتمعون فى ذلك اليوم على البرامج الأجنبية " الفاسقة " التى يذيعها التليفزيون الوطنى ودعت إلى إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة. وفى النهاية تم حل الجمعية فى أغسطس عام ١٩٦٦ . على أثر المعارضات التى أصدرتها بمناسبة تنفيذ حكم الإعدام

(١) وبخاصة محمد خضير ، وكان أميناً عاماً للمكتب السياسى فى جبهة التحرير الوطنى ، وكذلك محمد صغير وعلى محساس .

فى مصر ، فى الداعية الإسلامى سيد قطب . وعلى الرغم من هذا الإجراء ، فقد استمر أعضاؤها فى معركتهم وهاهم طوال الستينيات فى قمة حركة النضال من أجل إقامة الشريعة الإسلامية . وكان سقوط الرئيس بن بيلا وتولى بومدين السلطة فى يونيو ١٩٧٥ فرصة لخروج الإصلاحيين من محنة المظهر . بل أفضل من ذلك ، فإن العلماء وأتباعهم راحوا يتولون المناصب الكبرى فى الدولة ويشغلون مكانة عليا فى مجال التربية . وأصبح استعمال التاريخ الهجرى فقط من أجل التعريب والنزعة الإسلامية ، وهو هدف جمعية القيم فى فترة بين الحربين العالميتين ، يمثل عقيدة " الإصلاحيين الجدد". ولكن ، إذا كان الهدف ، قبل كل شىء بالنسبة لمناضلى جمعية العلماء تحريك الموروث الثقافى لـ بن باديس، من أجل إذكاء ناره ، فإن الهدف بالنسبة لتلاميذهم ، وصل إلى حد استرجاع موروثة الرمزى من أجل تحقيق سيادتهم على الساحة السياسية .

هؤلاء الشبان المثقفون الناطقون بالعربية أو ثنائيو اللغة الذين تخرجوا فى المدارس التابعة لجمعية العلماء ، وأقاموا خلال الخمسينيات فى الجامعات الدينية فى الشرق العربى ، اجتهدوا فى احتكار موروث بن باديس ، لصالح حركتهم ، وذلك من أجل تحقيق شرعيتهم فى إطار المنافسة التى تضعهم فى مواجهة النخبة " المفرنسة " فى جبهة التحرير الوطنى .

ومن الجدير بالذكر أن انخراطهم فى حرب التحرير ، من ناحية، وتكوينهم العربى الذى يتواءم مع التوجه العربى الإسلامى للخطاب الرسمى ، جعلهم يشغلون مكانة مرموقة فى الدولة ، ومن ثم أصبحوا ينفردون بقطاعات حقيقية داخل الوزارات المعرّبة كالتعليم والشئون الدينية والعدل . باختصار ، فى جميع المؤسسات المكلفة بنشر التوجهات الكبرى للنظام .

وكان من شأن الوجود المكثف لهؤلاء " الإصلاحيين الجدد " فى هذه المؤسسات أن مكنهم من القيام بتسجيل تاريخ وطنى يخص حركة الإصلاح بالصفحات المشرفة .

كما أخذوا على عاتقهم الخطاب الجماعى الخاص بحركة التحرير الوطنى ، وقاموا بتغذية أسطورة الشعب الجزائرى الموحد وراء لواء الإسلام . وجاء الوفاق بين

حركة الإصلاح والحركة الشعبية حول قيم إسلامية بدت كأنها قلعة ضد العدوان الأجنبى ، وقاعدة لاستعادة الأصولية ، حاميه مجد الحضارة العربية الإسلامية(١) .

ووجد الاتجاهان الغالبان فى الحركة الوطنية نفسيهما يقومان تلقائيًا بتوحيد اهتماماتهما بشكل واضح من خلال " الثورة الثقافية "، التى تقوم على إثارة " الوطنية الإسلامية " . ولكن إذا كان الأمر بالنسبة للرئيس بومدين يتعلق قبل كل شىء بضمان الشرعية لاختياراته الاقتصادية (المتأثرة بالموروث الفرنسى ، وهى فوق ذلك اشتراكية) بتقويتها عن طريق السعى إلى الأصولية التى من شأنها مشايعة النظرية الخاصة بالتنمية الذاتية الجزائرية ، فإن الأمر فى جوهره بالنسبة " للإصلاحيين الجدد " يتعلق بإخضاع الدولة والمجتمع لعودة كاملة للإسلام .

وتحقق التعاون بين السلطة وبين الإصلاحيين الجدد بشكل جوهرى من خلال التعليم الذى أشرف عليه خلال تلك السنوات أحد رموز الحركة ، وهو أحمد طالب إبراهيمى . فمن خلال توليه لوزارة التربية الوطنية فى عام ١٩٦٥ ، وبعدها لوزارة الاستعلامات والثقافة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٧ لعب إبراهيمى دورًا حاسمًا فى نشر "تعليم أصولى" يهيئ لخريجيه شغل المناصب الكبيرة فى خدمة الدين وكذلك داخل التعليم الابتدائى والثانوى . فى الوقت نفسه قامت المساجد التى تشرف عليها الوزارة بنشر علوم القرآن ودروس محو الأمية . هذه الهيمنة من جانب علماء الدين على التربية ستصبح ذات أثر حاسم فى عملية تقوية تيار النزعة الإسلامية من حيث إنهم سوف يكونون أعدادًا ضخمة من الشباب مهيأة لعودة أسرع وأقوى للإسلام .

كذلك تأكدت هيمنة " الإصلاحيين الجدد " فى مجال التربية والعقيدة عن طريق قنوات الدعوة للثقافة الإسلامية وهى المراكز الثقافية وندوات الفكر الإسلامى .

ولكن سياسة التعريب ، قبل أى شىء آخر، هى التى كانت تمثل رأس الحربة بالنسبة لتلامذة جمعية بن باديس . فنتيجة لتأكيد الهوية العربية الإسلامية للجزائر

(١) لوك ويللى ، الإسلام والفكر المعاصر فى الجزائر ، جريدة الأصالة ، (١٩٧١ – ١٩٨١) ، باريس ، المركز القومى للبحوث العلمية ، ١٩٩١

عن طريق علماء الدين ، ثم عن طريق جبهة التحرير الوطنى ، سادت الدولة الجديدة المستقلة حملة تعريب كانت بمثابة استعادة للشخصية الجزائرية . وتولى قيادة عملية التعريب أهم العناصر حرصًا على عودة الإسلام داخل نطاق وزارة الشئون الدينية، ومن ثم لقيت عملية التعريب أكبر الاهتمام وأصبحت تمثل مبدأ مقدسًا لا يمكن التفريط فيه .

وجد الإقبال على النزعة الإسلامية من جانب القوى العامة تعبيراً عنه من ناحية أخرى فى تأسيس إسلام دولة ، يتولى مهمته " رجال دين " رسميون تخرجوا فى معاهد أنشئت لهذا الغرض ، وظيفتهم هى نشر وتبسيط أهداف النظام الكبرى . تجلى ذلك أيضًا فى أسلمة الجو العام تحت ضغط من وزارة العقيدة (التى تطبق الشرع) التى صادفت آمالها فى هذا الصدد ترجمة قانونية كلما شعرت السلطة بالحاجة إلى تأكيد شرعيتها الدينية .

هذا التوجه العربى الإسلامى المحافظ لم يحقق النجاح بشكل مطلق . فمنذ اندلاع الثورة الزراعية ، دعا بومدين الإسلام صراحة بأن يكون فى خدمة المشروع الثورى . وهذا الإجراء يتناقض مع الاتجاه الإسلامى للسلطة التى تقوم على تأسيس دولة " إسلامية حقًا " وفى المقام الأول . وهكذا وحينما ركز بومدين أولا على الثورة الثقافية والزراعية والصناعية ، وحينما رفع الاشتراكية إلى مصاف الإسلام ، أثار هذا الرئيس غضب الذين يرون ، داخل السلطة ، أن هيمنة القيم الإسلامية لا ينبغى أن تتعرض للتدمير . إن الثورة الزراعية لم تعزل عملية التعريب وحسب ، بل لقد ألغت التعليم الأصولى تمامًا فى عام ١٩٧٦ .

فقط ، حينما أدرك بومدين أن " حلفاءه الموضوعيين " فى حزب الطليعة الاشتراكية بدءوا يثيرون القلاقل ، وأن الثورة الزراعية ستختنق ، عاد من جديد إلى الاعتماد على الجناح الإسلامى فى جبهة التحرير الوطنى ليجعل منه المعادل للتأثير الماركسى ، وكذلك عادت عملية التعريب مرة أخرى لتصبح عامل تعبئة وتحريك . وظل كذلك فى حكم شاذلى الذى قام ، أكثر مما فعل بومدين ، بعملية تركيز وتجميع للدولة حول قيم إسلامية ، على حساب الاختيارات الاشتراكية .

الواقع أن رئاسة شاذلي تميزت بتنازلات متزايدة لصالح النظريات الإسلامية ، بصرف النظر عن القمع الذي ينزل بحركة تعد ، بحكم التزايد الهائل لأتباعها ، تهديداً للنظام .

ويسبب الضرر الذي أصاب سياسة التعريب ، نتيجة لأحداث " ربيع البربر " الذي يدعو إلى إعادة النظر في حدود الوطن كما عرفتها الأيديولوجية العربية الإسلامية، وجدت الدولة نفسها مدفوعة إلى تشجيع المعارضة الإسلامية على أمل الوقوف في وجه تيارات اليسار . ولكن ، وفي الوقت نفسه تقريبًا ، وجدت السلطة نفسها مضطرة لقمع بعض الأوساط الإسلامية التي تشجع على الاستيلاء على الحكم بالقوة. في عام ١٩٨٦ أعلن شاذلي تحذيراً إلى أولئك الذين يفكرون في استخدام المساجد "مراكزًا للأصولية" . ومن ثم لجأت السلطة إلى الإسلام الرسمي وطالبته بكسر شوكة المعارضة الإسلامية المهتمة بالتشجيع لإسلام مزيف . وهنا أبدى العلماء الطاعنون في السن استعدادهم لمد يد العون للدولة ، غير مهتمين بفتح الباب لمن يزاحمهم على أرضهم ، وسرعان ما نددوا بالمحاولة التي يقوم بها تلاميذهم في الحركة الإسلامية لاحتكار الدين ؛ بل لقد بلغ بهم الأمر إلى درجة أنهم نسبوا نجاحهم إلى التدخل الأسطوري ليد ... أجنبية !

وهكذا ، وبهذه السياسة التي تقوم على الترغيب والترهيب ؛ وتشجيع الحركة الإسلامية تارة وقمعها تارة أخرى ، فإن الرئيس شاذلي قد أكسب هذه الحركة بروزاً وظهوراً جعل منها القوة المعارضة الأساسية. كما أن الضمانات الأيديولوجية والقانونية (قانون الأسرة لعام ١٩٨٤) التي قدمها شاذلي كان من شأنها أن ضمنت للمعارضة الإسلامية الانفراد بالمعارضة السياسية .

وكان لتقديم خليفة بومدين لبعض التنازلات لقادة الحركة الإسلامية في مقابل تأييدهم لشرعية السلطة ، صدى كبيراً في الخطة الخمسية (١٩٨١ - ١٩٨٤) فقد اشتملت هذه الخطة على إنشاء ثلاثة معاهد إسلامية ، وبناء مائة وستين مسجداً جديداً وعدد من مدارس تحفيظ القرآن وتوفير خمسة آلاف درجة لمدرسي القرآن وعلومه . كما تم الإسراع بإنشاء هيئة رسمية للعاملين في مجال الدعوة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى ، أدى نقص " الدكاترة " في العلوم الإسلامية ، الذي جعل الرئيس بومدين في الماضي يستقدم بعض الأساتذة الشرقيين ، هذا النقص جعل

السلطة تقرر فى عام ١٩٨١ استقدام داعية إسلامى مصرى وهو الشيخ محمد الغزالى من أجل تقديم ضمان دينى للدولة ، وكذلك لمواجهة وجود الإسلاميين . لذلك فإن الشيخ الغزالى ، الذى كان عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، قام بمهمته بكل حذق ومهارة ، وذلك بتوفير الضمانات لكلا الجانبين .

وهكذا فإن التأثير الهائل الذى يمارسه " الإصلاحيون الجدد " فى ظل رئاسة شاذلى ، لا يتجلى فقط فى نشر التعليم الدينى على جميع المستويات فى مجالى التربية والتكوين ، وإنما تجلى هذا التأثير أيضاً فى إطلاق حملات جديدة ضد " فساد الأخلاق " . إن التخلى عن التوجه الاشتراكى وغياب الجناح اليسارى من النظام السابق أتاح فرصة زواج الإكراه الذى تم عقده بين التقدميين الثوريين و "مؤسسى الدولة " ، وأكسب الفريق الثانى كل قوة من أجل فرض المفاهيم الخاصة بهم على قمة الدولة . ومن ثم شوهد ، منذ ذلك التاريخ ، تقارب أيديولوجى بين " مؤسسى الدولة " وبين نخب الإسلاميين الجديدة التى أدى تصاعدها فى القوة إلى النيل من الاحتكار الذى كان يمارسه حتى ذلك الحين " مؤسسو الدولة " .

وموضوع العلاقات بين الإسلام والوطن أصبح موجوداً فى قلب كل أنواع الجدل التى حفلت بها رئاسة شاذلى . فهؤلاء مؤرخو النظام الرسميون ، فى إعادة طرحهم للإشكالية الخاصة بجذور وأهداف حرب التحرير ، لا يكفون ، خلال الثمانينيات ، عن تقييم البعد الإسلامى للمعركة التى بدأها الأمير عبد القادر ثم أستأنفها بن باديس باسم " الجهاد المقدس " . وجاءت فرصة عودة الأمام خمينى فى وقتها أولاً للتذكير بالثورة الجزائرية التى يعتبرها قادة الحكم رائدة فى هذا الصدد ، ثانيًا للتأكيد بأن "نموذج " الثورة الجزائرية ، الخالص من كل تأثر خارجى ، كان مكرسًا للم شمل العالم الإسلامى حوله . وكانت سنوات ١٩٨٤ حتى ١٩٨٦ ، أكبر مثال على ذلك . فقد أشبعت الصحف الرسمية قراءها بالموضوعات المخصصة للأسس الإسلامية للوطن ، والدور الاجتماعى الضرورى للدين . كما فتحت أعمدتها بانتظام لأكثر المتحمسين من ممثلى " حركة الإصلاح الجديد " .

النزعة الإسلامية فى الخطاب الوطنى

كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨ فرصة لنخبة الشبان الإسلاميين للتشكيك فى إخلاص قادة الدولة للمبادئ المطروحة فى إعلان نوفمبر ١٩٥٤ . كما استمسك نخبة الشبان الإسلاميين بالاستحواذ على الخطاب الإسلامى الوطنى ورموزه .

كذلك فإن التشاحن الاجتماعى فى الجزائر يجرى دائمًا داخل الإطار الثقافى . فبينما المتاضلون الإسلاميون الذين أفرزتهم " البرجوازية التقليدية " ينـددون بانتماء " برجوازية الدولة " إلى " المدرسة الأولى " ويتهمونها بالتفريط فى مصالح الجزائر لصالح " الاستعمار الغربى " ، فإن " برجوازية الدولة " تشن الهجوم على الإسلاميين واصفة إياهـم بالعمـلاء أو المرتـزقـة الذين يعمـلون لحسـاب إيـران والسـودان، بل ... وإسرائيل .

هذه الإشارة الدائمة إلى وجود عوامل خارجية وعلاقات متوهمة أو حقيقية مع الخارج ، من أجل التقليل من شأن الخصوم ، يمثل صفة مشتركة بين الجهاز التقنى للدولة – التى تؤسس سلطتها على معارضة الخارج – وبين التقنية الإسلامية التى تشعر هى أيضا بحاجتها لتأكيد " جزأرتها " .

فى لقاء صحفى نشر فى صحيفة النهار فى السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٩٢ ، هاجم **رياح كبير** ، الناطق بلسان الجهة الإسلامية للإنقاذ إنشاء المجلس الاستشارى الوطنى قائلاً : إن إنشاء المجلس الاستشارى الوطنى يبرهن على أن قيامه يدخل فى إطار مشروع لتغريب الجزائر ، مناقض للخط العربى الإسلامى وبالتالى الوطنى . إن المواجهة مستمرة بين الاختياريين الحضاريين . " الطابور الخامس " للقوة الاستعمارية القديمة . تلك هى النخبة " المغربة " والتى كانت تستهدف منذ ١٩٦٢ العمل على تهيئة الظروف لدخول الاستعمار من جديد .

وإذا كان قادة الانقلاب الذى وقع فى يناير ١٩٢٢ هم بشكل جزئى من المستعفين من الخدمة فى الجيش الفرنسى ، ثم التحقوا فيما بعد بجيش الحدود الذى كان يقوده بومدين ، ففى ذلك تأكيد لهذه النظرية : " إن وصول شاذلى للسلطة كان بمساعدة نفر من جبهة التحرير الوطنى انضموا إلى الكفاح المسلح فى عام ١٩٥٨ بأمر من "ديجول"

لكي يصبحوا عونًا لفرنسا بعد الاستقلال [...] هؤلاء الأشخاص هم الذين قاموا بالانقلاب ضد الشرعية الدستورية " (المنجد ، العدد ٧٣ ، ١٨ يناير ١٩٩٢) . إن الموضوع يحيل بشكل أعمق إلى حالة "التبعية" التى يعيشها المجتمع الجزائرى المضطر إلى " الإذعان للضغوط المالية التى تمارسها القوة الاستعمارية السالفة " التى تقوم " برجوازية الدولة " عن طريقها بالاستمرار فى تنمية الكثير من العلاقات ، هذه البرجوازية التى نعرف ، أو نرتاب، فى أنها وضعت أموالها بشكل مكثف فى بنوك أوروبية أو فى شراء الشقق البلجيكية والباريسية الفاخرة .

باختصار ، فإن اهتمام الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالارتباط بالخط الوطنى ، يدل على أن الأيديولوجية الإسلامية بدلاً من أن تطوى صفحة الاستعمار ، تبقى عليها مفتوحة . إن الجزائر ، بعد ثلاثين عامًا من الاستقلال لم تتمكن من كبح جماح شياطينها التى تضفى على الحركة الإسلامية الجزائرية بعداً وطنيًا ليس له نظير فى أى مكان وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الجدل السياسى حول القضية الوطنية ما زال مطروحًا .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحدود السياسية للوطن دائمًا وأبداً موضوع مناورات كانت دائمًا تؤجل من حلها حلاً جذريًا .

وإذا كانت الحركة الوطنية فى الماضى تدور فى حلقة مفرغة فيما يختص بطرد المستعمر الغاصب أكثر من كونها المحرض على هدف جماعى يجمع عليه أبناء الوطن ، فإن هذه الحركة قد فقدت شيئًا جوهريًا . فلم تجد الأيديولوجية الإسلامية صعوبة فى السيطرة على الأساطير المؤسسة للتاريخ الوطنى تنهل من مصادرها شرعية الحكام . فى هذا المفهوم ينبغى إدراك المغزى من وراء إنشاء جامعة إسلامية لأبناء الشهداء فى أكتوبر عام ١٩٩٠ هدفها منازعة السلطة التعبير عن الحركة الوطنية ، وفى ذات الوقت استحواذ الحزب على إحدى أكبر القوى الضاغطة (لوبى) الجزائرية . وكان العداء الذى تبديه النخبة الإسلامية لأى شكل من أشكال العلمانية الخاصة بالحركة الوطنية وراء تقريبها عشية الانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ من البعثتين فى جبهة التحرير الوطنى .

ومع حرب الخليج التى كشفت لهم عن عمق الارتباط الوطنى الماثل فى قاعدتهم، كف الإسلاميون الجزائريون عن تعليق قطيعة عام ١٩٦٢ على الرغم من الاستمرار فى الحرب التى بدأت عام ١٩٥٤ . ففى الثامن عشر من يناير ١٩٩١ ، بينما حرب الخليج ما تزال فى بدايتها ، قام على بن حاج وهو يرتدى الزى العسكرى بقيادة مظاهرة أمام وزراء الدفاع ، وقام بتسليم وزير الدفاع خالد نزار الذى كان بالمناسبة يرتدى الزى المدنى ، كما سلم وزير الداخلية ، مذكرة يندد فيها " بالنظم التى تقوم بشراء السلاح من أجل الحرب ثم تستخدمه ضد شعوبها " . كما طالب بفتح معسكرات التدريب وتوزيع السلاح على المتطوعين المستعدين للوقوف بجانب العراق ، والعمل فوراً على حل المجلس الشعبى الوطنى . فى هذه المناسبة حملت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بشكل مباشر على الجيش الذى أكدت أنه غير قادر على حماية أمن البلاد . إذن ، لقد اختار قادة الحزب الإسلامى التضحية بالعلاقات المالية التى كانوا يحافظون عليها مع الممول السعودى لأرصدتهم ، أمام حمأة الاندفاع الحماسى الوطنى . وبينما تجاهلت جبهة التحرير الوطنى عام ١٩٨٩ الاحتفال بذكرى الثورة ، إذا بها تقيم احتفالاً كبيراً بمناسبة الأول من نوفمبر ١٩٩١ . وباسم الوفاء لذكرى موتى نوفمبر ١٩٥٤ ويونيو ١٩٩١ ، جمع الحزب فى ذلك اليوم بين خمسمائة ألف ومليون متظاهر . لقد أراد الحزب حرمان القادة السياسيين الذين يرميهم بالتبعية لفرنسا ، من الاستئثار بالتعبير عن التزامهم الوطنى ، كما عمد إلى المزج بين الإسلام والوطن مواصلا أسطورة العروبة والإسلام القديمة .

عباس مدنى - بين «الإصلاح الجديد» والنزعة الإسلامية :

مع عودة العفو عن علماء الدين فى أواخر حكم بومدين وتدعيم مكانتهم فى حكم شاذلى ، أصبحت السلطة تبجل الحفاظ على صرح " اللغة الوطنية " التى عادت لها مكانتها واعتبارها ، وظلت المناصب المتصلة بالتبادلات الخارجية مقصورة على نخبة الناطقين بالفرنسية (فرنكوفون) باعتبارهم حملة المؤهلات والخبرة والحداثة. ومن ثم عمد بعض " الإصلاحيين الجدد " الناطقين بالعربية (العربفون) (أو من ثنائيى اللغة) إلى النفور من النظام الذى ازداد الارتياب فيه ، وحاولوا أن يكونوا لأنفسهم قاعدة

خاصة من شباب المناضلين الناطقين بالعربية أو من " ذوى الثقافة العربية " داخل المعارضة الإسلامية الناشئة .

وهذا بوجه خاص شأن عباس مدنى الذى كان انتماؤه لجيل حرب الاستقلال من ناحية، وتكوينه الجامعى من ناحية أخرى ، قد وضعاه فى مكان وسط بين " حركة الإصلاح الجديد " وحركة النزعة الإسلامية .

ولد **عباس مدنى** فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٣١ فى مدينة سيدى عقبة (من مدن الجنوب الشرقى للجزائر وبالقرب من بسكرة) وهو ابن أحد الأئمة الذى تعلم على يديه منذ نعومة أظفاره العلوم القرآنية والتردد على مساجد وزوايا المنطقة .

وفى عام ١٩٤١ ، انتقل إلى بسكرة حيث التحق بإحدى المدارس الدينية التابعة لجمعية علماء الدين ، وفى الوقت نفسه بإحدى المدارس الفرنسية حتى فصل منها بعد عامين من الدراسة .

بعد المدرسة التحق بحزب الشعب الجزائرى ثم بالمنظمة الخاصة (الفرع العسكرى للحركة من أجل شعار الحريات الديمقراطية) .

وبعد أن ناضل فى إطار اللجنة الثورية من أجل الوحدة والعمل ، فى الجزائر العاصمة، ثم فى منطقة بسكرة . شارك فى ثورة الأول من نوفمبر ١٩٥٤ وتم القبض عليه فى إثر محاولة للاعتداء على المبانى الخاصة بإذاعة الجزائر ؛ وقضى فترة الحرب كلها فى السجن ، وأصبح فى عام ١٩٦٢ معلماً فى إحدى مدارس الجزائر العاصمة . كان عداؤه للتوجه الاشتراكى والعلمانى فى السنوات الأولى من الاستقلال ، وراء اشتراكه فى نضال جمعية القيم الإسلامية ، حيث ندد، مع محمد خضر ، " بالضلالات " التى ترتكبها السلطة . كذلك كان ارتباطه العميق بمدرسة علماء الدين وأيضا بمدرسة حزب الشعب الجزائرى – الحركة من أجل الحريات الديمقراطية ، التى رأينا آنفا مدى أصولها الدينية ، وراء اعتقاده بأنه لا وطنية إلا فى التوجه إلى إقامة دولة إسلامية يقوم ذوو الثقافة العربية فى داخلها بالدور الرئيسى .

كانت تجربته مع الحركة الوطنية الجزائرية تشكل ، باعترافه ، النموذج الأساسى لفكره وتوجهاته . غير أن الصعود المفاجئ لنخبة من خريجى " المدرسة الفرنسية " ، شغوفة بالقراءات الغربية قد أقنع عباس مدنى أن الاستقلال قد تم على حساب مجموعات كاملة فى حركة وطنية جزائرية ، هى حاملة لمشروع إسلامى فى المقام الأول .

فى عام ١٩٦٢ ، كان فى الواحدة والثلاثين من عمره ، فالتحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب ، ثم سجل للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة (ماجستير) فى علم النفس التربوى بجامعة الجزائر ، وعين مرشداً فى إحدى المدارس الأولية بالعاصمة . بعد ذلك حصل على منحة من الدولة للإقامة فى لندن من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٧ للحصول على الدكتوراه فى التربية المقارنة حول موضوع نظم التعليم الفرنسية والإنجليزية والجزائرية دافع فيها عن التعليم الذى يستقى جذوره من التقاليد الإسلامية ولكنه يقتبس من الغرب خبراته فى الطرق والمناهج العلمية . ولدى عودته إلى الجزائر عين أستاذاً فى علم النفس التربوى بكلية العلوم الإنسانية فى "بوزاريه " بالجزائر العاصمة . وبعد عشرين سنة قضاها عضواً فى جبهة التحرير الوطنى ، وفى العشرين من مايو عام ١٩٦٩ فاز فى الانتخابات الإقليمية نائباً لولاية الجزائر .

وطوال مدة نيابته التى استمرت حتى عام ١٩٧٤ ، كان مكلفًا بمتابعة تطبيق الإصلاح الزارعى ، فى حين كان الإسلاميون فى هذه الفترة نفسها يعارضون هذا الإصلاح بالذات .

وفى أوائل الثمانينيات تعرف عباس مدنى على على بن حاج وبدأ وظيفته كداعية إسلامى . وفى البداية كان أسلوبه فى الدعوة جامعيا مما تعثر فهمه على الطوائف الشعبية من جمهوره . لكنه بدءًا من عام ١٩٨٢ ، جعل يصحح هذا المسار . وإذا كان قد اتخذ الزى السلفى بالتخلى عن بذلته وارتدى الجندورة البيضاء التى تزيد مظهره لينًا وطيبة ، فإن هدفه لم يتغير من جراء ذلك : فينبغى قبل كل شىء العمل على تكوين نخبة داخل الأجيال الصاعدة . ولما كان عباس مدنى يجمع بين شخصية المثقف "التقليدى" وعضوية الإنتليجينسا (طبقة المثقفين) الجديدة ، فى موقف وسط بين حركة

إصلاح الدولة وحركة النزعة الإسلامية المعارضة ، أراد أن يقوم بالدور الائتلافى (التحالفى) الذى قام به مسالى حاج فى عصره . والمقارنة بين الرجلين لا تقضى عند هذا الحد . بل غذاها مدنى من جانبه ، بقول أحد المثقفين القريبين من الحركة الإسلامية : " مدنى ديكتاتور صغير . ينبغى أن تراه فى حياته الخاصة كيف يتكلم . إنه متسلط . يقول كبار السن إنه يذكرهم بمسالى حاج. لقد كان كذلك . وقد ثار الجميع ضده . والرجال الذين قاموا بالثورة لم يكونوا "مساليين". إن استغلال مدنى لانتمائه المزدوج إلى الجيل القديم من المناضلين الوطنيين الإصلاحيين الجدد، وإلى عالم المعرفة الجامعية العالمية ، مكنه أن يفرض نفسه باعتباره أحد وجوه المعارضة الإسلامية .

(٤)

النزعة الإسلامية ضد السلطة

في ظل إسلام رسمي فقد هيبته في اضطراد مستمر قويت شوكة إسلام معارض، لا يضيق بالتقاليد ، وإنما يأخذ منها بالحد الأدنى ، وفيما تبقى فإنه يتعامل وفقًا لتأويلاته الخاصة .

التيارات التي انتهى بها المطاف إلى الالتقاء لتسهم جميعها في ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت في الأصل من التباين والاختلاف بحيث كانت تنتمي إلى أوساط اجتماعية وثقافية وجغرافية غير متجانسة . ولكن في جانب كبير من الحركة يطغى تأثير شخصية فريدة ، ألا وهي شخصية مالك بن نبي .

مالك بن نبي ، رائد النزعة الإسلامية «المجزأرة» :

كانت الكلية المركزية بجامعة الجزائر ، وهي مهد المعارضة الإسلامية في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٨٠ ، مسرحًا للعديد من المواجهات بين الطلبة الإسلاميين والطلبة اليساريين . وفي عام ١٩٦٨ ، افتتح طلاب مالك بن نبي مسجداً في مباني الكلية القديمة .

ولد مالك بن نبي[١] في عام ١٩٠٥ ، في مدينة قسطنطينه في أسرة كانت متيسرة الحال فيما مضى . وكانت الحرب العالمية الأولى نذيراً بانهيار الأسر القسطنطينية القديمة لصالح طبقة من التجار الذين أثروا عن طريق المضاربات .

(١) حول ذكريات شباب مالك بن نبي ، نحيل إلى كتابه بعنوان "مذكرات شاهد على العصر" /الجزائر ، دار النشر الوطنية الجزائرية .

وهذا هو جد بن نبى الذى كان ميسور الحال فى الماضى ، يجد نفسه مضطراً للعمل فى بيع الدخان فى كشك صغير. وفى ١٩٢٠ التحق بن نبى الفتى بالصفوف التكميلية بإحدى المدارس الفرنسية ، وكذلك وفى الوقت نفسه، بمدرسة قسطنطينة العربية . وفى بادئ الأمر ، عمل بن نبى فى المجال الذى كان والداه يرجوانه له ، وهو مجال القضاء الإسلامى ، الذى شغل فيه وظيفة مساعد . ولم يصرفه عمله فى القضاء عن التعمق فى قراءة كتب الإصلاحيين الجدد الذين بدأت مؤلفاتهم تنتشر فى الأوساط المدرسية ، مما أثار عند بن نبى اهتماماً بالغاً بقضية العالم الإسلامى من حيث التدهور الذى أصابه والتجديد المنشود له ، فى ذلك الوقت الذى كان فيه خريجو المدارس العربية من طبقة البرجوازيين فى مدينة قسطنطينه يتسكعون فى الشوارع. وقد تأثر بهم بن نبى كما تأثر بالحركة الوطنية فى الوطن العربى وفى تركيا أيضاً ، التى كان صداها يدوى بين تونس وإسطنبول. وقد افتتن بن نبى بالمبدأ المذهبى الذى يعتمد عليه الإصلاحيون الجدد الذى يتلخص فى الآية الكريمة التى تقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ . [سورة الرعد، الآية ١١]

ولقد بلغ من تأثره بهذه الآية حداً جعل منها شعاره طوال حياته . ومنذ عام ١٩٣٩ ، وهو تاريخ فشل المؤتمر الإسلامى ، ابتعد بن نبى عن جمعية علماء المسلمين التى ندد بما يغلب عليها من " انتهازية دينية " كذلك حمل بن نبى على عجز الإصلاحيين الجدد (مثل الوطنيين ونخبة المحدثين) بنهج ثقافى ، وهو الشرط الملح " لتجديد " الحضارة الإسلامية . ورأى أن الجزائر بعد أن تحررت من " المرابطين " ، لم تعد بحاجة إلى التردّى فى طقوس " البولوتيكا " (هكذا يطلق الجزائريون على "السياسة المسيّسة" وإنما الأحرى بها أن تنصرف إلى عملية تجديد وإحياء للنفوس فى أعمق أعماقها . كان احتكاك بن نبى بالعمال المهاجرين الذين قابلهم فى مارسليا – حيث أقام فترة قصيرة فى عام ١٩٢٥ . ثم فى عام ١٩٣٧ – الفرصة التى بدأ فيها يتساءل عن الشروط الواجب توافرها من أجل نهضة الحضارة الإسلامية ، كانت اللامبالاة التى تبديها النخبة الجزائرية المفتونة بالأيديولوجيات " المتحضرة " المزعومة ، حيال مصير هؤلاء العمال يزيد من حدة بغضه للبرجوازية " المغرّبة " ، واقتنع بضرورة العودة إلى

القيم الإسلامية من أجل إنقاذ المجتمع الجزائرى من " الخطر الاستعمارى " . وعلى أثر عودته إلى باريس فى عام ١٩٣٠ ، تابع بن نبى دراسته الجامعية التى توجها فى عام ١٩٣٥ بالحصول على دبلوم فى الهندسة الكهربائية . وكانت فترة الحرب العالمية الثانية التى قضاها فى مدينة درو Dreux (التى كان موريس فيوليت حاكم الجزائر السابق . عمدة لها) فرصة أتاحت له تنفيذ مشروعاته الأدبية . ففى عام ١٩٤٦ ظهر له كتاب : الظاهرة القرآنية ، تلاه بعد عامين كتاب : شروط النهضة .

وفى القاهرة التى التجأ إليها بين ١٩٥٦ و ١٩٦٣ واصل تحرير مؤلفه الذى ظهرت أهم عناوينه باللغة الفرنسية . أسَّس بن نبى منهجه على مفهوم "الاستعمارية " الذى يطبع المجتمع الإسلامى ، " الذى أفسده الطغاة الذين استولوا على السلطة بعد الخلفاء الأربعة "، وذلك المجتمع " الذى تخلى عن مهمته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" . ويدافع بن نبى عن المشرق الإسلامى " المستَعْمَر " و الساخط على الغرب " المادى المستَعْمِر " . فبالنسبة له ، وقد كلفه ذلك عداوة الإسلاميين فى الشرق الأوسط لا يأتى الشر من الغرب بقدر ما يأتى من الشرق و انقياده للاستعمار . وهنا ، دعا بن نبى إلى إعادة تسليح معنوى جماعى يحمل الصحوة الحضارية ، وهو المنهج الذى يذكر بمنهج " إرنست رينان" الذى دعا إليه الفرنسيين صبيحة هزيمة عام ١٨٧٠ . كان بن نبى شديد الانجذاب نحو الدعوة الوهابية السعودية التى يرى فيها الإنجاز للمجهود الروحى والمادى الذى يرجوه للجزائر والمسلمين فى مصر. ومع ذلك ، ففى عام ١٩٥٤ ، قطع صلته بجمعية الإخوان المسلمين المصرية التى أخذ عليها تحولها إلى " أداة سياسية، خالية من الطابع الحضارى الذى كان ينتظره منها فى البداية " واستثمارها للدين من أجل "تحقيق أهداف سياسية عاجلة" . ولدى عودته إلى الجزائر عام ١٩٦٣ ، عين بن نبى مديراً للتعليم العالى ، وندد بالتلكؤ فى تحرير البلاد. فبعد تحرير الأرض ، ينبغى العمل على تحرير ما هو أهم وأخطر ، ألا وهو تحرير النفوس. وفى عام ١٩٦٦ ، ظهر على الملأ لأول مرة ، وذلك حينما قام بإلقاء درس ذى مغزى سياسى فى مسجد الجزائر الكبير . ومنذ ذلك الوقت حدث استقلال تم الحصول عليه " بالتخفيض " ، بضمان استمرار الاستعمار الذى لم " يغير سوى المظهر " .

وعلى أثر هزيمة ١٩٦٧ ، اقتنع بن نبى بعدم جدوى الأيديولوجيات "السلفية" أو الوطنية ، وبضرورة طرح أيديولوجياته الشخصية على نخبة المستقبل فى البلاد. وعلى ذلك ،

فقد توقف عن نشاطاته الوظيفية عام ١٩٦٧ لكي يكرس حياته ، حتى موته فى عام ١٩٧٣ ، لحلقات الدرس والندوات التى كان يعقدها كل أسبوع فى منزله . وكان يحضر حلقاته طلاب المدارس الثانوية والجامعات الذين انخرطوا فيما بعد فى النضال الإسلامى . كان بن نبى يعلمهم أن الإسلام يمثل السلاح الرئيسى الذى تحتاج إليه الجزائر لكى تعوض تخلفها التقنى وتواجه " المادية الغربية " . وإذا كان بن نبى لم يدع إلى إقامة دولة دينية ، فقد رأى أن العودة إلى القيم الإسلامية " الحقيقية " ، هى المحرك للانتفاضة الثقافية والمعنوية التى يرجوها للبلاد . كذلك غرس فى عقول تلاميذه عداءً للسامية لم يتخلصوا منه أبداً .

مايو ١٩٦٨ ؟ مؤامرة يهودية تروتسكية ، فى رأى بن نبى ، حيكت من أجل حزب ديجول وجعله يدفع ثمن مواقفه المؤيدة للشعب الفلسطينى !

إن موروث بن نبى ، ذلك المفكر الجديد والذى كان يعرف نفسه بأنه " ثورى سياسيًا ومحافظ نفسانيًا " هذا الموروث من مؤلفات ونظريات لم يجد له صدى إلا عند دعاة الجزأرة من الجبهة الإسلامية للإنقاذ . ولعل ذلك يفسره عداء بن نبى لجمعية علماء الدين، ثم جمعية الإخوان المسلمين ، ثم قربه من الضباط الأحرار ومن عبد الناصر وبومدين وإعجابه بالقذّافى ، ومن ثم كان تأثيره الضعيف على السلفيين فى الجزائر .

ولكن ، يبدو كذلك أن الإهمال الذى أصاب مؤلفاته يرجع إلى عامل لغوى . فالواقع أنه كان يكتب ويتكلم معظم الوقت بالفرنسية ، فى حين أن قادة الحركة الإسلامية فى الجزائر اليوم وكذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ بنوع خاص ، باستثناء حاملى الشهادات العلمية ، يتكلمون العربية بشكل رئيسى .

مولد أسطورة : الجزأرة

كان مسجد الكلية الرئيسية بجامعة الجزائر عام ١٩٦٨ ، ملتقى العديد من زعماء الحركة الإسلامية فى المستقبل ، ولم يكونوا فى ذلك الوقت يرتدون "الجندورة " وإنما كانوا يرتدون زى "القطعتين" كما يحلو لهم أن يطلقوا على الزى فى الأوساط الطلابية الجزائرية . وأمام المثالب الناشئة من نقص طاقات القبول فى الجامعة ، وبالذات عدم

وجود فرص العمل بعدها ، لحق بهم الطلاب العربفـون أو ذوو الثقـافة العـربية ، وفى عام ١٩٧٣ وقع أول حادث ، صدام بين الطلبة الإسلاميين والطلبة اليساريين ، وكان ذلك على أثر حريق فى المسجد .

وعلى أثر مواجهات أخرى بين الطلبة البربر أو اليساريين والطلبة الإسلاميين ، انتهت بمقتل أحد الطلاب وهو **كامل أمزال** فى حرم جامعة **بن أكنون** فى العاصمة، قررت السلطات إغلاق مسجد الكلية الرئيسية . فقام عباس مدنى والشيخ سحنون والشيخ سلطانى بتوقيع العريضة من أربع عشرة نقطة ، وكان من بين ما طالبوا به: تطهير سلطات الدولة من " العناصر المعادية للإسلام لحساب الاستعمار" ، تطبيق الشريعة ، وخاصة فى المجال الاقتصادى ومراعاة قواعد عدم الاختلاط . وفى الثانى عشر من نوفمبر التالى ، كان هناك حوالى خمسة آلاف يستمعون إلى عباس مدنى وهو يندد بالنظام . وبعد مظاهرة الثانى عشر من نوفمبر عقد اجتماع مصغر جمع حول على بن حاج وعباس مدنى عناصر الجزأرة الرئيسيين ، وهو الاسم الذى أطلقه **محفوظ نحناح** من الإخوان المسلمين على هذا الاتجاه الإسلامى الوطنى .

وهو لفظ يستعمل لأغراض جدلية من جانب الخصوم الذين لا يتورعون عن وصفها بأنها طائفة من المبتدئين ذوى الفروع المتعددة وعلى علاقات غامضة مع السلطة . والجزأرة فى الواقع جماعة بلا هيئة تتكون من مجموعة من خريجى الجامعة من ذوى الثقافة الفرنسية من حاملى دبلوم التعليم العلمى ، أصلهم من مدينة تلمسان . ولعل طابع الجزأرة السرى والاختيارى هو الذى جلب عليها عدواه جانب كبير من بقية الحركة الإسلامية التى تسعى إلى تشبيهها بإحدى الفرق الماسونيه . وإذا كانت الجزأرة تثير الكثير من اللغط والمشاعر والتهويمات ، فإن مرجعه أيضاً يعود إلى أن عدداً من قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ارتبطوا بها عن طريق الخطأ ومن ثم فهم متهمون بإقحام جماعة ثقافية داخل إدارة الحزب هدفها الاستيلاء على السلطة على حساب بقية الأعضاء . إن التيار بصفة جوهرية فرنكوفونى وعلمى ، وهو يحتاج إلى جانب عربفونى ودينى . وهاهو ذا **محمد سعيد** العربفونى الحاصل على دبلوم فى الآداب عام ١٩٧٦ ، بالإضافة إلى ثقافة دينية عالية ، يسد هذا النقص ويصبح الشخص المطلوب . ولقد عرفت الجزأرة تشكيلاتها الأولى بين عامى ١٩٨٢ - ١٩٨٤ ،

وهى السنوات التى كانت تعارض فيها التأثير "العالمى" الذى يمارسه محفوظ نحناح ، زعيم الإخوان المسلمين الجزائريين، وبصفة خاصة منذ ١٩٨٤ ، على أثر إطلاق سراح محمد سعيد (الذى أُلقى القبض عليه فى نوفمبر ١٩٨٢) حينئذ لم تجد الجزأرة صعوبة فى فرض نفسها بين الأوساط الجماعية . وباستيلائها على الكلية الرئيسية بالتعاون مع مدنى ، ونشرت فروعها بين المعلمين والطلاب . وتهدف هذه الجماعة المرتبطة برباط وثيق " بالخصوصية الجزائرية" إلى بلورة خطاب وطنى ومستقل عن الخبرات والتجارب الأجنبية .

ومن الجدير بالذكر ، أن الموقعين على عريضة نوفمبر ١٩٨٢ تم القبض عليهم بعد نشر هذه العريضة مع العديد من الطلاب " الجزأريين " . وإذا كان الشيخ سحنون والشيخ سلطانى قد وُضِعَا تحت الإقامة الجبرية لكبر سنهما ، فإن مدنى لم يفلت من السجن . وفى خضم هذه المعمعة ، توجد لعبة لا تخفى على أحد تتمثل فى المعركة على الزعامة . فهناك محفوظ نحناح الخارج من خمس سنوات قضاها فى السجن بسبب قيامه بنشر بوابة إلكترونية بالمنشار تعبيراً عن معارضته لميثاق ١٩٧٦ . غير أن مجموعة من الجزأريين يحاولون منعه من تحقيق أى نوع من الزعامة على حركة جامعيه غيورة على الاستقلال الوطنى . ومن ثم فهى لا يمكن أن تفوض أمر مصيرها إلى زعيم " يتلقى أوامره من الخارج " لذلك فإن الجزأرة تعلن بكل قوة انتسابها لجمعية علماء الدين بزعامة بن باديس وتختار لها أبًا روحياً هو الشيخ سحنون .

أما الشيخ أحمد سحنون ، فقد ولد عام ١٩٠٧ . وتمكن منذ صغره من التفقه فى علوم الدين مما جعل منه أحد الأعضاء المؤثرين فى جمعية علماء الدين . وبالرغم من دخوله السجن مرات عديدة لتلفظه عبارات معادية للاستعمار من فوق المنبر فى مسجده فى سانت أوجين (حاليا بولوغيين) ، لم يكف الرجل منذ الاستقلال عن التنديد بالتوجهات الاشتراكية للسلطة الجديدة . واستقال من وظيفته كإمام فى مسجد تابع لوزارة الشئون الدينية فى عام ١٩٦٨ . ومنذ ذلك التاريخ جعل من نفسه بوقًا يشارك أيضًا فى تكوينهم ويمارس عليهم تأثيراً أدبيًا عاليًا . وبداية بمسجد دار الأرقم فى العاصمة حيث يلقى خطبه بالتناوب مع عبد اللطيف سلطانى وهو نموذج آخر فى الإصلاح الإسلامى الجديد ، يقوم أحمد سحنون بالتدريس لمئات الشبان ،

أصبح بعضهم فى رئاسة الجبهة الإسلامية للإنقاذ . السلطات الجزائرية ، حددت إقامته على أثر أحداث الكلية الرئيسية عام ١٩٨٢ . كذلك فقد كان سحنون المحرض على أزمة ١٩٨٨ ، وفى فبراير عام ١٩٨٩ ، أسس رابطة الدعوة الإسلامية ، وهدفها التوحيد بين مختلف جماعات الحركة الإسلامية .

وفى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٩٠ ، وفى الذكرى السنوية لأحداث عام ١٩٨٢ ، ضمت الجزأرة إليها هيئة جديدة هى " الجمعية الإسلامية للبناء الحضارى " التى قام عباس مدنى بإلقاء خطاب حار تحية لقيامها .

مناضلو الشرق :

تعد حركة النضال الإسلامى فى شرق الجزائر أقل عنفًا منها فى العاصمة ، غير أنها منذ السبعينيات أصبحت تتضمن بعض أوجه الشبه لما يعبر عنه شباب الجزائريين فى العاصمة . وعموم التجربة هذه قد لعبت دوراً هائلاً فى تثبيت أقدام جيل واع بنفسه على نحو عميق ، وجُلّ ذوى الخبرة فيه سنجدهم جنبًا إلى جنب فى صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

ومدينة قسطنطينة ، مدينة ريفية من الصعب ألا يعرف فيها المرء ، وخاصة إذا كان مناضلاً من مناضلى الدعوة . فى هذه المدينة . توطدت علاقات الأخوة والصداقة وتكونت الروابط الوثيقة. فهذا **عبد الله جاب الله** طالب فى الحقوق ، "أخ مسلم مستقل" كما يحب أن يعرف نفسه . وقد بدأ فى تشكيل جماعة صغيرة سرية من الطلبة هى "الجماعة الإسلامية" سوف يناضل فى صفوفها العديد من زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى المستقبل : **رياح كبير ، وعبد القادر بوخمخام وعلى جدى وعبد القادر حاشانى** .

أما حاشانى الذى سيصبح عضواً مؤسسًا فى الجبهة ومسئولاً عن المكتب التنفيذى الوطنى للحزب على أثر القبض على عباس مدنى وعلى بن حاج ، فقد ولد عام ١٩٥٦ فى سكيكدا . وهو ابن إبراهيم حاشانى العقيد فى جيش التحرير الوطنى ، وشقيق بوباكور حاشانى الذى قتل عام ١٩٦٣ خلال " حرب الرمال الصحراء "

ضد مراكش (المغرب) (وقد كتب أبوه ديوان شعر يمدح فيه شجاعته ويعبر عن ألمه لفقد " أفضل أبنائه ") وقد بدأ يناضل فى صفوف الحركة الإسلامية بجامعة قسطنطينة . وكان متخصصاً فى هندسة البتروكيماويات ، وعمل تسع سنوات فى هذا التخصص قبل أن يتولى التدريس بالمعهد الجزائرى للبترول فى بوميردس . وفى عام ١٩٨٠ شغل منصب مهندس فى سكيكدا وكلفته جماعة الجامعة حينئذ بتنظيم بعض الشبكات فى ولاية سكيكدا .

على النقيض من الأجيال السابقة ، كان هؤلاء المناضلون على دراية تامة بالقضايا الثقافية التى يضطرب بها العالم . وكانت إقامة معارض الكتاب الإسلامى الأولى فرصة لاحتكاكهم بالكتاب الإسلاميين فى المشرق .

ومع ثقتهم بأن ثمة خطراً يتهددهم ، هو الشيوعية ، قرر هؤلاء المناضلون فى مطلع عام ١٩٨٠ ، فى إثر عودتهم إلى مدنهم بعد انتهاء دراستهم ، تشكيل منظمة أصبحت " منظمة النهضة " عام ١٩٩٠ ، وعينوا رئيساً لها عبد الله جاب الله .

ومن الجدير بالذكر أن الأحداث التى وقعت فى العاصمة عام ١٩٨٢ كان لها صدى كبير فى قسطنطينة . وفى تلك المناسبة، قام عبد الله جاب الله بتلاوة وثيقة عباس مدنى المؤلفة من أربع عشرة نقطة من فوق منبر مسجد الجامعة ، وقام بتوزيعها بمختلف أماكن العبادة فى الضواحى المحيطة . ولكن فى عام ١٩٨٧ ، تفجرت أزمة داخل إدارة حركة جاب الله . إن صراعات الأشخاص والخلافات حول توجه الحركة هى من سمات تاريخ المنظمات السرية التى يقوم بإدارتها مناضلون تحت سن الثلاثين لا تقف طموحاتهم عند حد .

عصر الوعاظ :

إذا كانت مظاهرة نوفمبر ١٩٨٢ هى شهادة الميلاد الشكلية للجزأرة ، فإنها تمثل أيضاً ، لنخبة الشبان الدارسين ، نهاية الاحتكار الذى يمارسونه فى مجال التعبير الإسلامى . وبينما كان المناضلون الأوائل وهم فى معظم الأحوال من الفرنكوفون (ذوى الثقافة الفرنسية) قد سافروا لإكمال دراستهم فى فرنسا أو إنجلترا أو الولايات المتحدة ،

وبينما توفى بن نبى فى عام ١٩٧٣ ، تولى لولاء النضال الإسلامى العريفون (أصحاب الثقافة العربية) الذين حلوا محل الفرنكوفون فى الكليات وبدءوا ينتشرون فى الأحياء الشعبية وضواحى العاصمة . وبذلك تحول مركز جاذبية الحركة الإسلامية .

واعتبر المناضلون الجدد أنفسهم أصحاب رسالة هى : نشر الإسلام الذى أهمله، علماء الدين الرسميون . وامتزجت الحركة الإسلامية بالدين الذى تدافع عنه . ومن ثم نجد جذور هذه الحركة فى " عدم قيام الدولة بواجبها نحو الإسلام فهى منذ عام ١٩٦٢ لا تهتم به كما ينبغى " ذلك ما جاء على لسان **أحمد ميرانى** ، أحد خطباء مدينة القصبة الذى أصبح مسئولاً عن لجنة الشئون الاجتماعية فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . إن " الخطأ " يقع على كوادر وزارة الشئون الدينية . ومن ثم فهو يركز نقده(*) فى محيط الوعظ ووعاظ " الإصلاحيين الجدد " : " إن تدريس الإسلام لا يلقى العناية الواجبة والمناسبة لحاجة المجتمع فى مجال التربية الإسلامية ... لكى نصبح كوادر فى المجتمع ، لابد من الإلمام بعلوم الإسلام " (لقاء مع أحمد ميرانى فى الجزائر العاصمة من يناير ١٩٩٢ حتى فبراير ١٩٩٣) .

وهكذا نضع يدنا على قلب الإشكالية الإسلامية فى الجزائر : من الذى يرتفع إلى مكانة " الكوادر فى الوطن " فى بلد يتنافس فيه شكلان اجتماعيان متميزان ؟ إن التقسيم الإجتماعى للعمل يقضى بأن يتولى نخبة الفرنكوفون فى الحزب الواحد المناصب الاقتصادية والسياسية المهمة ، وكان من الطبيعى أن يستعين المثقفون العريفون ذوو التكوين التقليدى ، بعلماء دين من ذوى التكوين " التقليدى " من حيث الشرعية .

وبينما قام غالبية أعضاء جمعية علماء الدين بمساندة الانقلاب الذى قام به بومدين وانضموا إلى جهاز الدولة ، فى محاولة لنشر أفكارهم ، إذا بفريق من الإصلاحيين الجدد المتشددين المؤمنين بأن حصة الدين التى يقدمها الإصلاحيين الجدد للسلطة ، لا قيمة لها ، يأخذون على عاتقهم نشر الدعوة التى تقول بأن الدولة " كافرة " وبالتقاء حركة الإصلاح الجديد والحركة الإسلامية الوليدة ، المتمثلة فى علماء الدين الذين لا يدورون فى فلك الدولة ويؤمنون بأنه لن يكون لهم نصيب فى ذلك بسبب "طغيان" الفرانكوفون ، ما دامت معايير التوظيف الحكومى هى المعرفة " الحديثة "

و "النشاط الاشتراكى" ، ومن ثم فقد راح علماء الدين هؤلاء يندون باختيارات الدولة . وأبرزوا إسهامها فى تسرب " الممارسات الغربية الفاسدة " وأنكروا على القادة فقدانهم للصفات الأخلاقية اللازمة لقيادة مصائر الوطن كما عارضوا الشكل الإسلامى للصيغة السياسية التى تعلنها الدولة . وشددوا فى مطالبتهم بالالـتزام بتطبيق الشـــريعة . ذلك هو موقف كل من الشيخ أحمد سحنون والشيخ سلطانى والشيخ صحراوى .

أما عبد اللطيف سلطانى المولود فى عام ١٩٠٢ فى مدينة القنطرة ، فهو أحد الوجوه البارزة فى الحركة الاشتراكية فى جهاز الدولة . فى عام ١٩٢٩ ، وبعد أن قضى فى جامعة الزيتونة بتونس سبع سنوات ، حصل على الدبلوم العالى . ورفض أن يتعلم اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الكفار ، ثم لم يلبث أن أصبح عضواً بارزاً فى جمعية علماء الدين التى كلفته بالدعوة لحركة الإصلاح الجديدة فى قسطنطينه . ، وعينته فيها عام ١٩٤٦ مراقباً إقليمياً ، ثم ، وفى عام ١٩٥٠ ، رقيباً بمعهد بن باديس فى قسطنطينة . بعد ذلك أصبح أميناً لصندوق الجمعية ومديرا لمركزها الرئيسى فى العاصمة عام ١٩٥١ . ثم عين إماما لمسجد النور فى الجزائر العاصمة، وذلك حتى عام ١٩٦٠ . وبعد أن عين رئيساً لمسجد كتشاوا فى عام ١٩٦٢ ، فصل من منصبه فى مارس عام ١٩٦٥ لاعتراضه على المشروع الحكومى الذى يقضى بمشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية والسياسية . وحينما عاد إلى وظيفته على أثر الانقلاب الذى قام به بومدين ، عزل مرة أخرى لاتهامه بالتلفظ بأقوال خارجة . ولما أصبح واعظا فى أحد مساجد القصبة ، اضطر للتخلى عن وظيفته لامتناعه عن قراءة خطبة قام بتحريرها الموظفون فى وزارة الشئون الدينية. وحتى عام ١٩٧١ ، وهو تاريخ انتقاله إلى المعاش ، كرس حياته للتدريس فى إحدى المدارس الثانوية ، مع إلقاء الخطب فى المساجد " الحرة " فى قوبا وشوفاللى. وهو كمعارض متشدد ، كتب مؤلفات جعلت منه واحداً من أبرز الكتاب المؤثرين فى الحركة الإسلامية الجزائرية . فى كتابه بعنوان " المزدكية أساس الاشتراكية"(١) ، وفى كتابه الآخر الأكثر جرأة بعنوان " سهام الإسلام " عمد سلطانى

(١) المزدكية نوع من البدع الإلحادية ظهرت فى فارس فى القرن الخامس الميلادى وكانت وراء العديد من الثورات .

إلى تفنيد الأسس التى تقوم عليها شرعية السلطة . كما عارض ، مع سحنون ، الميثاق ودستور عام ١٩٧٦ . كما شبه اشتراكية بومدين بالمزدكية واتهم النظام باستيراد مبادئ غريبة عن الإسلام ، كما أعلن أن الجزائريين الذين ماتوا فى حرب الاستقلال ماتوا من أجل تجريب نموذج سياسى " مستورد " فى الجزائر ، وهاجم القواعد الأيديولوجية والاقتصادية للثورة الجزائرية .

كان الهدف الأساسى من الإصلاح الزراعى فى تقدير الطبقة الحاكمة الجديدة ، هو تصفية طبقة الفلاحين التقليدية والحيلولة دون أن يقوم المجتمع الريفى بتكوين طبقة مستقلة من شأنها أن تعيد النظر فى ارتقائها إلى السلطة .

وطبقة علماء الدين "التقليديين" كانت تتكون تاريخيًا من عناصر من البرجوازية الحضرية وأيضا العقارية ومن ثم فإن معارضة رجال الدين هؤلاء للإصلاح الزراعى تدل على التنافس بين نظامين للسلطة والشرعية متعارضين يزعمان حق الرقابة الاجتماعية على المجتمع الريفى . وبعد أن ندد علماء الدين المستقلون بالأضرار التى لحقت الملكية الخاصة ، أصبحت البرجوازية العقارية تميل أكثر فأكثر إلى إنفاق "زكاتها" على المساجد الحرة والجمعيات الخيرية التى تديرها الحركة الإسلامية . وكان من شأن موقف الشيخ سلطانى أنه أكسبه تعاطف المهاجرين القرويين الذين اضطروا فجأة إلى الانتقال إلى الأحياء الشعبية فى التجمعات السكانية الحضرية . وفى أواخر عام ١٩٧٠ ، وبخاصة فى أوائل الثمانينيات ، كان أبناء القرويين من ضحايا الثورة الزراعية هم الذين حملوا لواء المعارضة الدينية .

لشدة بغضه لرجال الدين الرسميين فى جهاز النظام ، عمد سلطانى إلى أن يوجه إليهم اتهامًا صريحًا فى أحد فصول كتابه " المزدكية أساس الاشتراكية " بعنوان "العلماء ضمير المجتمع" حيث أخذ عليهم فشلهم فى مهمتهم النقدية للسلطة . وحينما حددت إقامته على أثر أحداث الكلية الرئيسية بجامعة الجزائر عام ١٩٨٢ ، والعريضة التى وقعها مع سحنون ومدنى ، توفى سلطانى فى أبريل ١٩٨٤ ، وكانت جنازته التى ضمت أكثر من عشرين ألفا من أبرز الأحداث فى الحركة الإسلامية فى الثمانينيات .

ومن بين الشيوخ المتشددين أيضًا نجد الشيخ **عبد الباقى صحراوى** ، وقد مارس هو أيضًا تأثيراً بعيداً على الأجيال الشابة وكان فى عام ١٩٨٩ أحد مؤسسى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . ولد عام ١٩٠٨ فى قسطنطينة . وفى سن العاشرة التحق بالمدرسة الإسلامية فى بسكرة ثم بالمدرسة الابتدائية الفرنسية التى تخرج فيها عام ١٩٢٥ . وبين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ أتم دراسته الثانوية فى المدرسة الثانوية بقسطنطينة وفى عام ١٩٣٠ ، انتقل إلى الجزائر العاصمة . ومنذ عام ١٩٣١ بدأ يناضل فى المدارس الإسلامية الأهلية التابعة لجمعية علماء الدين التى أصبح أحد أعضائها البارزين وقام فيها بتدريس العربية طيلة أربعة عشر عامًا . فى ١٩٣٩ ، التحق بالفرقة السابعة للرماة الجزائريين فى الجيش الفرنسى حيث كان بدرجة صف ضابط. اشترك فى حملة تونس قبل أن يعود إلى الجزائر حيث واصل نشاطاته الإصلاحية فى الاتحاد الديمقراطى للإعلان الجزائرى بجوار فراصات عباس .

خلال حرب الاستقلال ، كان صحراوى ينتقل بين العاصمة وباريس حيث أصبح، من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٢ ، أمينًا لمكتب شمال إفريقيا للقوة العمالية . وعلى أثر الاستقلال عاد إلى الجزائر حيث قام بتدريس العربية حتى تقاعده فى عام ١٩٧٧ . وخلال تلك الأعوام كان إمامًا مع أحمد سحنون لمسجد سانت أوجين ومن عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ اشترك فى النضال مع المعارضة الإسلامية التى أصبح واحداً من أبرز قادتها . وحينما تم القبض عليه فى " قضية بويالى " واعترف بأنه قدم إليه " النصيحة " مثل أمام محكمة أمن الدولة بتهمة " تكوين منظمة سرية " وعدم الإبلاغ عن المجرمين استوجب الحكم عليه بالسجن حتى عام ١٩٨٣ . خلال تلك الفترة كان الشيخ يشارك فى النضال ضد إجراءات الإصلاح الزراعى التى أضرت بالملاك الريفيين من رجال الدين التقليديين .

كان الشيخ يعد نفسه ضحية النخبة التقنية والفرنكوفونية ، لذلك فقد كان يشكك فى وطنيتهم : " حينما تجد شخصًا يدعو إلى الاشتراكية ولم يقرأ شيئًا فى اللغة العربية، فقد جاءه ذلك من الروس أو الفرنسيين " .

ومن الجدير بالذكر، أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ضمت إليها الشيخ صحراوى لتدعيم الجانب الدينى والتاريخى فى صفوفها، وقام الشيخ بإلقاء الكلمة التى يعلن فيها

عن ميلاد الحزب وذلك فى مسجد السنة بباب الواد فى مارس ١٩٨٩ . ولدى عودته إلى فرنسا عام ١٩٨٩ ، تولى وظيفة الإمام فى مسجد خالد بن الوليد فى المقاطعة الثامنة عشرة بباريس. وبسبب معارضته للإضراب العام الذى دعا إليه مدنى فى يونيو ١٩٩٠ ، تم استبعاده بالتدريج من اجتماعات الإدارة فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . واعتماداً على القوة التى يضمنها له سنه وكونه المؤسس التاريخى للحزب، حاول بعد إلغاء انتخابات الجزائر ، أن يفرض نفسه زعيمًا لفرع المعارضة الإسلامية فى فرنسا . وأيد النضال المسلح ، مع إعلان احترامه لعدالة الجمهورية الفرنسية . وكان يعارض إقامة " جبهة ثانية " فى أوروبا ، أدان محاولات الاغتيال التى ورطت فرنسا أكثر وأكثر فى الصراع الجزائرى . ولعل هذه السياسية كانت وراء اغتياله فى باريس فى يوليو ١٩٩٥ .

إن أجيال المناضلين من الشباب الجزائرى المسلم يرون ، أيًا كان الأمر فى "أسلافهم الأتقياء " ومنهم صحراوى ، روادهم فى معركتهم . ومن ثم فإن هذه الشخصيات الرمزية تعد منذ تلك الحين " آباء" الحركة الإسلامية الجزائرية . يرجع ذلك أيضًا إلى أنهم بارتباطهم بالإصلاحيين الجدد من ناحية وقادة المعارضة الإسلامية ، فهم يكونون همزة الوصل بين علماء جمعية الشيخ بن باديس ومناضلى الحركة الإسلامية الوليدة المجتمعين على هدف راديكالى حول مشروع التعريب وحول الإخلاص لمبادئ السلفية .

أصول السلفية :

تضم السلفية مجموعة من العناصر المأخوذة عن مؤلفات ابن تيميه – الذى تأثر به الحنابلة الجدد والوهابيون وعناصر مأخوذة من " الإصلاحيين الجدد " فى القرن التاسع عشر ، وكذلك مؤلفات سيد قطب ، بالإضافة إلى ذلك تعتمد السلفية الجزائرية على إعادة قراءة سياسية ودينية لعصر الرسول ﷺ . والحقيقة أن النسب الذى يزعمه السلفيون الجدد بين ابن تيميه وبين على بن باديس من الصعب إثباته . فهم فى واقع الأمر يقتبسون من جميع التقاليد . ومع ذلك فهم " يقطعون الجسور مع موروث

الإصلاحيين الجدد الذين يتهمونهم بالتواطؤ مع الفكر الغربى وبتشويه مبادئ الإسلام بهدف تكيفها مع متطالبات العصر " .

والحركة الإصلاحية الجديدة تدعو إلى التقليد الحرفى لحركات الرسول ﷺ فى الوقت الذى تحاول فيه أن تعيد الاعتبار لصورة العالم السلفى . فإطلاق اللحية وارتداء الجلباب واستعمال السواك وتقديم اليمين عند دخول المسجد أو المنزل ، وكلها رموز تضمن لهم السيادة السلفية التى ينازعهم عليها غيرهم من وجوه الجزائر الحضرية . واعتماداً على الدعم الموجه بالمقام الأول من الإخوان المسلمين ويقوم على " برنامج عملى " أكثر من الركون إلى التفكير الفلسفى ، كانت النخبة المكونة تكويناً تقليدياً ، وكذلك خريجو التعليم المهمش الذين يهدفون إلى إقامة المجتمع الإسلامى على أساس من الشريعة ، هم الذين يديرون الحركة السلفية الجديدة فى جوهرها ، وذلك تجنباً للتأثيرات المأخوذة من الغرب .

لتحقيق ذلك ، فهم يرون أن على الجماعة الإسلامية اللجوء إلى " الاجتهاد " بإشراف علماء دين مؤهلين لهذا الغرض ويجعلون من أنفسهم حراساً على العقيدة والسنة . وتدعو النظرية السلفية الجديدة لضرورة تنقية العقيدة مما شابها وشرعية النخبة الشابة من عامة الشعب الذين يهتدون إلى خطر المؤسسة الدينية الرسمية وظهور طبقات جديدة من المثقفين ثقافة دنيوية . ومن ثم فهم يعارضون النخبة "المغرّبة" وعلماء الحركة الإصلاحية الجديدة . ومن ثم فإن رفضهم للتقاليد يأتى مصحوباً برفض آخر للأفكار السياسية والفلسفية الخاصة بالتقنية الغربية ، مما يقودهم إلى صياغة مشروعاتهم السياسية فى صيغ إسلامية فى جوهرها . فمن الناحية السياسية، كان من الطبيعى أن يسعى السلفيون الجدد إلى إقامة دولة إسلامية على غرار التعريف الذى أورده الباكستانى المودودى والمصرى سيد قطب ، وإعادة نظام الخلافة ، بوصفه الضمان للحاق الإسلام بالعصر ، بل ولتفوقه على الغرب . ومن ثم يدعون إلى إقامة حكومة تعتمد على الشورى والإجماع الذى يضمن للعلماء السلفيين التفوق على السلطة التنفيذية التى فوضها الله إلى الخلفاء . وبذلك فهم يرفضون النظم السياسية الحالية وفى مقدمتها الشيوعية التى يشبهون بها النظام الجزائرى . كما يطالبون بإقامة عدالة اجتماعية تعتمد على احترام تعاليم القرآن التى ينبغى أن تحكم الجماعة . ومن الجدير بالذكر ،

أن السلفيين الجدد بما لديهم من مساجد وجمعيات خيريه، هم الذين رفعوا لواء الحركة الإسلامية حتى أصبحت منذ عام ١٩٨٨ عنصراً أساسيًا فى الحياة السياسية الجزائرية .

«ملحمة» بويالى :

بعد أن قطع مصطفى بويالى المناضل القديم فى الولاية الرابعة صلته بالحركة الإسلامية ، التى كانت تعتمد حتى ذلك الحين على طريق الدعوة بشكل جوهرى ، انخرط الرجل بكل قوته فى حركة مسلحة ضد " الدولة الكافرة " باسم " الجهاد " .

ولد مصطفى بويالى فى السابع والعشرين من يناير عام ١٩٤٠ فى " دراريا " فى أسرة من أصل قبائلى . وهو مجاهد قديم . خاب أمله فى الاستقلال الذى اعتقد أنه تحقق باسم الجهاد من أجل إقامة دولة إسلامية ، وشعر أنه مهمش من دولة يهيمن عليها " جنود الساعة الحادية عشرة " من " جيش الحدود " على حساب مناضلى الداخل . عمد بويالى إلى معارضة ميثاق تريبولى حصيلة زمرة أحمد بن بيلا الماركسية . وإذا بمشهد تقسيم المناصب الأوروبية الشاغرة بين " مناضلين " متأخرين، أو ليس لهم من النضال سوى الاسم ، يقضى على كل أمل عند بويالى ويجعله مقتنعا بوجوب قطع صلته بهذا " النظام " .

ولأول مرة فى عام ١٩٦٣ ، يعلن معارضته للنظام بالانضمام إلى " جبهة القوى الاجتماعية " . وفى أوساط جبهة التحرير الوطنى التى كان مسئولاً محليًا فيها لفترة، التقى بمناضلين آخرين من الداخل كانوا مثله يحلمون بدولة إسلامية . غير أن انقلاب ١٩٦٥ جاء إعلانًا بالانتصار النهائى " لجيش الحدود " وحدا به إلى الالتجاء إلى بعض الدوائر التى تدعو إلى إسلام معارض وشعبى يقوم على مرجعية الحركة التأسيسية التى ترجع إلى أول نوفمبر ١٩٥٤ . ورفض بويالى الاعتراف بالنصوص التأسيسية لجمهورية تستوحى فلسفتها من الاشتراكية ، ومن ثم كان عداؤه الشديد للميثاق الوطنى المعلن عام ١٩٧٦ ، وبالتالى فقد طالب بتطبيق الشريعة تطبيقًا كاملاً . وفى عام ١٩٧٧ ، اضطر لترك إدارة فرع جبهة التحرير الوطنى فى شيراجا، والتحق بالعمل

بإحدى الشركات العامة وهى الشركة الوطنية للكهرباء ، حيث تولى مهمة الأمن فيها . ثم أقام فيها مصلى قبل أن يصبح رئيسا للجنة مسجد العشور . كانت الخطب التى يلقيها بويالى تفتن جمهور المستمعين الذين خرجوا على نطاق السرية التى فرضت عليهم فى البداية بسبب عمليات القمع السياسى ، مقتنعين بضرورة العمل المسلح . ومنذ عام ١٩٧٩ ، عمدت جماعة مسجد العشور إلى جمع وشراء السلاح . وكانت سلسلة من أحداث العنف التى استهلت بها ملحمة بويالى .

حول مسجد السلام فى سيدى بالعباس ، قام الشيخ عثمان منذ عام ١٩٧٩ بتكوين جماعة . وحدث أن فجر جماعة من المجاهدين متجراً للخمور فى الواد . وفى شهر أكتوبر التالى كانت لاغوات مسرحاً لمصادمات دامية بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين . هذه الجماعات المتأثرة بمؤلفات سيد قطب والمعارضة لتوجهات الإخوان المسلمين فى شخص محفوظ نحناح الذى كانوا يتهمونه بالتعاون مع السلطة، عمدت إلى الانتشار فى مركز غرب البلاد حيث بدءوا يدعون إلى " الجهاد فى سبيل الله". فى تلك الأثناء كان الاتحاد السوفيتى قد قام بغزو أفغانستان وسافر أوائل المتطوعين إلى "بشاور" . ولم يتأخر الرد على الحركة الإسلامية فى مجملها، فبدأ بجماعة بالعباس الذى مثل أمام محكمة أمن الدولة عام ١٩٨١ . ونجح مصطفى بويالى فى إقامة اتحاد بين مختلف الجماعات فى غرب الجزائر وفى العاصمة وكان فى تلك الفترة يرأس "جماعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" وحاول تشكيل حركة إسلامية جزائرية يكون أميراً لها ، ويكون هدفها مكافحة " المصائب الاجتماعية " وفى مقدمتها الإسراف .

لم يكن الهدف بعد هو الاستيلاء على السلطة بالقوة ، ولكن مجرد الضغط على الدولة لدفعها إلى القيام بمشروع للتهذيب السياسى والاجتماعى . من هذا المنظور نظم بويالى هجمات ضد بعض محلات بيع المشروبات الروحية أدت إلى القبض على بعض رفاقه. ومع ذلك فلم يتوصل إلى توحيد حركة إسلامية تتخللها تناقضات داخلية عميقة. وإذا كان محفوظ نحناح وآخرون وعدوه بالمساعدة ، فقد رفضوا تدعيم مشروعه بتنظيم مسيرة بمناسبة الفاتح من مايو ١٩٨١ . كان بويالى يخطط لاستراتيجية تستهدف الاستيلاء على الحكم بالقوة .

وكان على أمير مسجد العشور أن يتحمل مضايقات الشرطة والأمن العسكرى وزياراتهما المتكررة . وإذا كان قد تمكن فترة من الزمن من خداعهما بمساعدة بعض رفاق السلاح القدامى فى جبهة التحرير الوطنى ، فقد ثبت عجز هؤلاء عن حمايته . ففى عام ١٩٨١ تم القبض عليه ، ثم أطلق سراحه .

وفى عام ١٩٨٢ انتقل بويالى للعمل السرى بشكل نهائى ، بعد أن حاولت قوات الأمن القبض عليه وقتلت أخاه مختار . وأصبح مصطفى بويالى عدو الدولة رقم واحد . ولجأ إلى الاختفاء فى أحراش بليدا والأربع حيث قاد منها بعض العمليات المسلحة بهدف تزويد أنصاره ببعض الوسائل التى يحتاجونها فى حالة استيلائهم على السلطة .

كانت أول مواجهة دائمة بين المجموعة والشرطة أثناء حالات منع التجول فى بين أكنون فى شهر نوفمبر عام ١٩٨٢ . قام مصطفى بويالى بقتل أحد رجال الشرطة . بعد ذلك تم ضرب نفر من المجموعة ، وتأكدت السلطات أن بويالى يقود تنظيماً سرياً يهدف إلى " النيل من أمن الدولة " . أما الجماعة التى أصبحت منذ شهر يوليو ١٩٨٢ تدعى الحركة الجزائرية الإسلامية المسلحة واختارت بويالى أميراً لها فى شهر أغسطس التالى ، فقد كانت فى الحقيقة تتكون من العديد من الدوائر المتورطة بشكل أو بآخر فى العمليات المسلحة . أما الفرع السياسى فكان يضم المناضلين الذين لا يستعملون السلاح ، ولكن يزودون الحركة بالجانب الدينى والأيديولوجى وكان هذا الفرع مكلفاً بتنبيه الرأى العام العالمى عن طريق إرسال تحذيرات إلى هيئات التمثيل السياسى وبنوع خاص سفارة الاتحاد السوفيتى الذى " يطالبونه بالتخلى عن الأراضى الجزائرية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية الجزائرية كما فعل مع أفغانستان " أما الفرع العسكرى الذى يسميه بويالى " المتطوعون فى سبيل الله "والمشكل من مجموعة العاصمة الساحل ، ومجموعة ميتيجا ، فكان يضم النواة الرئيسة المحيطة برئيسها والمكونة من عشرة أمراء معظمهم من أقارب بويالى وكل منهم يحكم منطقة ، بينما كانت هناك دائرة أوسع تضم الأنصار الذى يقدمون الدعم والتمويل للنواة الأساسية . وبعد أن اعترف بشرعية نشاطه كل من الشيوخ عبد الباقى صحراوى وعبد اللطيف سلطانى وعلى بن حاج ، راحت الجماعة تمسح مدن ميتيجا بلا رادع .

وفى مارس ١٩٨٥ ، وعلى أثر مشروع اغتيال رئيس الوزراء أحمد عبد الغنى ، واختطاف الأمين العام لجبهة التحرير الوطنى شريف مسعديه والهجوم بالقنابل على فندق أوراسى ، ومقر الاتحاد النسائى الجزائرى ، ومطار هوارى بومدين ، ودار القضاء بالعاصمة ، تم تقديم عقداء بويالى الأوائل أمام محكمة أمن الدولة مع مائة وثمانية وخمسين متهما آخرين . وصدر الحكم بإدانة ثلاثين ، منهم بويالى نفسه الذى حكم عليه بالسجن المؤبد .

وسرعان ما أعادت الجماعة تنظيم صفوفها بأنصار جدد واستأنفت أنشطتها التى بلغت ذروتها فى الواحد والعشرين من أغسطس ١٩٨٥ بالاستيلاء على رواتب العمال فى إحدى الشركات العامة فى عين نجمة ، وفى السابع والعشرين من الشهر التالى ، بالهجوم على مدرسة الشرطة فى سمعه (تم الاستيلاء على مائة وعشرين قطعة سلاح وقتل أحد رجال الشرطة) والتى شارك فيها مساعدا بويالى ، وهما عبد القادر شيبوتى (وهو تاجر من مواليد ١٩٥٦) ومنصورى مليانى (سائق يعمل فى شركة وطنية من مواليد ١٩٤٥) .

ولما تبين فشل السلطة أمام هذه " الحفنة من الرجال " ، لم تتردد السلطة فى اللجوء إلى الوساطة . فقام وزير الشئون الدينية بمقابلة بويالى بلا فائدة . ولما فشلت الاتصالات مع رئيس الشرطة خضيرى، كلف الجنرال شيلوفى بمهمة المفاوضات. غير أن قضية بويالى أصبحت موضوع منافسة كبيرة بين مختلف أجهزة الأمن . وفى حين أعلن شيلوفى أنه حاول إقامة الجسور لاتفاق مستقبلى ، اتهم الأمن العسكرى بأنه " تدخل بغير علمه " بقتل بويالى فى الثالث من فبراير ١٩٨٧ . وتم القبض على أواخر المتشددين فى الحركة بعد عدة أسابيع ، وتم محاكمتهم أمام محكمة أمن الدولة فى يونيو التالى . وصدرت الأحكام بإعدام أربعة، وعلى مائة وثلاثة وثمانين بالسجن مدداً تتراوح بين العام والمؤبد .

لقد أصبح بويالى " بطلاً " رومنتيكيًا . فحتى إذا كان بعض الدعاة مثل عباس مدني يدينون أعماله ، فإنه يستحوذ على إعجاب عدد كبير من شباب الإسلاميين مثل على بن حاج . إن نجاحه فى تحدى الدولة طيلة ما يقرب من الخمس سنوات ثم سقوطه فى ساحة الشرف ، جعل منه " الأخ الشهيد " الذى يجمع على احترامه سائر

الإسلاميون الجزائريون . ومع ذلك ، فقد كانت تجربة بوبالى وراء انقسام الإسلاميين الجزائريين ، على شاكلة إخوانهم الكبار فى مصر على أثر مقتل سيد قطب ، وذلك فيما يتعلق بالوسائل العملية فى الاستيلاء على السلطة . ففى حين يستمسك رفاق مصطفى بوبالى القدامى بضرورة استعمال العنف لضرب النظام وإقامة دولة إسلامية مكانه ، فإن شباب المناضلين من خريجى الجامعات يفضلون استراتيجية متدرجة تستهدف عدم الاصطدام بجيش هو دائمًا على أهبة الاستعداد لقمع أى شكل من أشكال المعارضة بكل قوة وعنف .

(٥)

أزمة الحزب الواحد

وميلاد قوة سياسية جديدة : الجبهة الإسلامية للإنقاذ

تم تفكك الإدارة فى السلطة الحاكمة بشكل بطىء ، بدأ بمناسبة تعيين شاذلى خلفًا للرئيس بومدين ، مما أدى فى أكتوبر ١٩٨٨ وعلى أثر بعض المظاهرات ، إلى صدمات عاصفة على مستوى قمة الدولة . وقد جاء ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى هذه الظروف .

شقاقات داخل النظام :

لم يكن تشكيل تآلف المستعربين " داخل إطار الحزب متزامنًا مع تولى العقيد شاذلى للحكم . وإنما بدأ مع إطلاق الثورة الزراعية وتكون الاتجاه اليسارى . بعد ذلك قوى هذا التشكيل على أثر إلغاء التعليم الأصولى " ووقف عمليه التعريب " الذى قرره بومدين عام ١٩٧٦ – ١٩٧٧ بمناسبة الجدال حول الميثاق الوطنى . هذا الجدال الذى استبعد " الإصلاحيين الجدد " كشف عن الغموض والالتباسات الخاصة بالوضع السياسى للإسلام فى الجزائر ، من حيث إنه يلح على ضرورة تهذيب الحياة العامة عن طريق العودة إلى الأصولية الإسلامية مع استبعاد أشد أنصار الأصولية تزمتًا . فى ذلك الحين بدأ الحديث عن " انحراف " جبهة التحرير الوطنى عن مبادئها المعلنة فى الأول من نوفمبر ١٩٥٤ . (أى " إقامة دولة جزائرية ديمقراطية ذات سيادة فى إطار المبادئ الإسلامية ") . والحقيقة أن وقف التعريب " حرم الإصلاحيين الجدد" من مجال تحركهم الرئيسى . ولكن المعارضة الإسلامية اتخذت نهجًا ومضمونًا دينيًا ابتداءً من التجديدات التى حدثت داخل الحزب على أثر تعيين خلف لهوارى بومدين . وظهرت

بالتالى توجهات إسلامية داخل تشكيلات جبهة التحرير الوطنى الجديدة ، وبنسبة أقل ، داخل صفوف الجيش ، بعض كبار الضباط من ذوى التكوين العربفون والدراسة فى جامعات وأكاديميات الشرق الأوسط (وبخاصة العراقية منها) خلال الخمسينيات عمدوا إلى معارضة التقنين الفرنكوفونى داعين إلى " حركة بعثية " خالية من المضمون "العلمانى " . ومارس بعضهم تأثيراً حقيقياً على الأجيال الصاعدة من العسكريين العربفون الذين تضرروا فى مجال ترقياتهم بسبب وجود ضباط فرنكوفون داخل إدارة الجيش .

وأصبح هناك اتجاهان يتنازعان خلافة الرئيس بومدين . اتجاه " بعثى " اشتراكى أوسطى يدعمه فى ذات الوقت حزب الطليعة الاشتراكى وبعض الوطنيين الإسلاميين ويمثله محمد صلاح ياحياوى (عقيد قديم ذو تكوين إصلاحى جديد قام بإدارة أكاديمية تشرشل العسكرية فى أوائل الثمانينيات) واتجاه يجند نوعًا من "الانفتاح" السياسى والاقتصادى ، يمثله عبد العزيز بوتفليقة الباقى الوحيد من جماعة واجدا Oujda التى أوصلت بومدين إلى السلطة . فى تلك الأثناء ، وبمناسبة المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطنى فى يناير ١٩٧٩ ، قرر الجيش التصويت لصالح العقيد شاذلى بن جديد (أقدم ضابط فى أعلى رتبة) مما أدى ، أثناء المؤتمر غير العادى عام ١٩٨٠ ، إلى استبعاد كبار المؤيدين لبومدين . منذ ذلك التاريخ انخرطت الرياسة فى سياسة انفتاح اقتصادى مع التحقيق مع " بارونات " النظام المتهمين بمسئوليتهم عن وضع الأزمة وتكوين ثروات طائلة فى القطاع الخاص بفضل معارفهم واتصالاتهم فى القطاع العام .

أما العربفون أعداء الإصلاح الاقتصادى الذى قام به التقنيون الفرنكوفونيون المحيطون بالرئيس شاذلى ، فقد راحوا يتقربون علنًا من قادة النزعة الإسلامية فى المجتمع والنظام .

أتيحت لهم أول فرصة بمناسبة قانون الأسرة وقانون الأحوال الشخصية . فحينما عرض المشروع للمناقشة على مجلس الشعب الوطنى فى سبتمبر ١٩٨١ ، أعطى المجال لمطالبات فى صالح تطبيق الشريعة ، مما دفع شاذلى إلى سحب المشروع

فى يناير ١٩٨٢ . كان مقتنعًا بأنه إذا قدم المشروع للمناقشة فى جلسات الحزب البرلمانية ، فإنه سيعزل أنصار النزعة الإسلامية الأشداء ، لذلك فقد أرجأ المشروع للدراسة . ومن سخريات القدر أن المعارضة الإسلامية - التى اعتقد شاذلى أنه قد أمنها بتصرفه - لم تكف عن جعل القانون الجديد أحد أهدافها الرئيسية ! ومنذ ذلك الحين، وقد أدلت الثورة الإيرانية بدلوها، أصبح موضع إقامة الدولة الإسلامية يزداد إلحاحًا داخل إطار الحزب نفسه . فبعض أعضاء اللجنة المكلفة بالإعداد لمؤتمر جبهة التحرير الوطنى عام ١٩٨٦ برئاسة أحمد طالب إبراهيمى ، طالبوا بإقامة دولة إسلامية ، مما أدى إلى استبعاد بعضهم ، ومنهم الجنرال الهاشمى هجرس ، من صفوف الحزب .

فى عام ١٩٨٨ ، جاء ترشيح الرئيس شاذلى لفترة رئاسية ثالثة عاملاً على زيادة حدة الصراع القائم منذ ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، بين "الإصلاحيين الجدد" و " المحافظين " داخل الحزب . كانت الرئاسة تسعى من جانبها إلى استمرار سياسة الانفتاح الاقتصادى وتحتاج من أجل ذلك إلى جبهة تحرير وطنى مجددة عن طريق تعاون عناصر تنتمى إلى جيل التقنين الجديد . وكان بعض " بارونات " الحزب على استعداد لعمل أى شىء من أجل المحافظة على مصالحهم الاقتصادية ، من خلال احتفاظهم بالاحتكار الذى يمارسونه على التجارة الخارجية ذلك الموضوع الذى كان ينوى " الإصلاحيون الجدد " طرحه للمناقشة . وكان " المحافظون " زيادة على ذلك، لا يرتاحون لترقى نخبة من التقنيين الموظفين بغير الطريق التقليدى ، أى جدال سياسى معارض غير وارد ، فلم يكن هناك بد من أجل حل الخصام من أزمة داخل النظام . لذلك فقد عمد المحافظون فى جبهة التحرير الوطنى بالتعاون مع جانب من قوات الأمن ، فى خريف ١٩٨٨ ، إلى تشجيع الإضرابات الكثيرة فى القطاع العام .

فى هذه الظروف ، وبعد أن انتشرت الشائعات (وهى منسقة مع خصوم الرئيس، بتورط أسرته فى قضايا الفساد) ، قام الرئيس شاذلى بإلقاء خطابه التليفزيونى فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٨ . وقد حمل ، فى هذه المناسبة ، على أولئك الذى يعرقلون من داخل الحزب الإصلاحات الاقتصادية كما هاجم الفساد وإهمال الإدارة العليا والحزب

الواحد . وانتشـرت الإضـرابات وشائعـات الإضـراب العام فى قمة أزمة اجتماعية لا تنتظر سوى الانفجار . وأخيراً اندلعت الثورة ليلة الخامس من أكتوبر. أما الرئاسة (وعلى رأسـها الأمين العـام الجنرال لاربى بالخـير) فـقد اختـارت فى بداية الأمـر عدم التدخل وترك الأمـور (هذا إذا لم تكن قد قامت بتشجيع المتمردين) وذلك لاستدراج الجيش للتدخل ، على أن تقـوم بعـد ذلك بالرقـابة والانتـقـاد . وقد انتـهـز شـاذلى هذه الفرصة التى أتاحتها له " الأحداث " فقام فى العاشر من أكتوبر التالى بالإعلان عن القيام بإصلاحات سياسية تخضـع للاستطلاع الشعبى .

وفى التاسع والعشرين من أكتوبر تم فصل محمد شريف مساعديه ومدير الأمن الحربى الجنرال لإلحاح آيات . وفى الثـانى والعـشرين من ديسـمـبر ، أعيـد انتخاب شاذلى للمرة الثالثة رئيساً للجمهورية ، وفى الثالث والعشرين من فبراير تم التصديق على دستور جديد بطريق الاستفتاء وبذلك يبدأ عصر تعدد الأحزاب .

ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ :

كان شاذلى يفضل أن تكون المعارضة التى تواجهه معارضة ، إسلامية معروفة بأنها " غير شرعية " فى نظر أصحاب الدعم المادى الغربيين ، وبالتالى من الممكن قمـعـهـا مع الوقت – فى حين أن مما يسـبب له الحـرج أن يتـرك الحـبل على الغـارب لمعارضة ديمقراطية تتمتع بتعاطف الرأى العام العالمى – ومن ثم فقد قام بتشجيع إقامة أحزاب معارضة إسلامية . ففى العاشر من أكتوبر ، استقبل وفداً إسلامياً يتألف من على بن حاج ومحفوظ نحناح وأحمد سحنون ، قاموا بتقديم قائمة بطلباتهم إليه . وكنوع من التكريم ، فقد أتاحت هذه المقابلة للزعماء الإسلاميين فرصة اكتساب شرعية سياسية على حساب جميع المعارضين الجزائريين ، وشغل دور الوسطاء الوحيدين بين السلطات العامة والشعب . واستغلالاً لإجراءات الانفتاح السياسى التى سرت صبيحة الانتفاضات ، تستطيع الحركة الإسلامية بسط شبكة أعمال الخير التى تتبعها كما تريد . ونظراً لقدمها ومرونة تراكيبها ، تتمكن بسرعة من تكوين منظمة تدعمها .

فى الثامن عشر من فبراير ١٩٨٩ أعلن نفر من زعماء الحركة الإسلامية عن تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى العاشر من مارس التالى ، أعلن عن ميلاد الحزب . أما طلب الموافقة على الجبهة المقدم فى الثانى والعشرين من أغسطس ١٩٨٩ ، فقد قبل فى السادس من سبتمبر التالى[١] طبقًا لبنود قانون الجمعيات ذات الصبغة السياسية المقترع عليه فى الخامس من يوليو ١٩٨٩ من جانب مجلس الشعب الوطنى . والأعضاء المؤسسون للجبهة الإسلامية للإنقاذ هم : عباس مدنى وعلى بن حاج وعلى جدى وأحمد ميرنى وعبد الرازق رجم وكمال جيمازى وعشور ربيحى وبن عزوز زبده ومحمد لربى معريش وعبد الله هموش ومختار إبراهيمى وأحسن نواى . وسعيد مخلوفى وعثمان عيسانى ومحمد كرار ، وهم يمثلون مجموع الأجيال والاتجاهات والاعتبارات الجغرافية . هذا البعد الأخير فى تناسق الحزب سيتحقق أيضا فى تشكيل لجانه الإدارية . فمن بين الخمس والثلاثين عضواً الذين يمثلون مجلس الشورى ، تسعة عشر عضوا من منطقه الوسط وتسعة من الغرب وسبعة من الشرق .

كل شيء فى أواخر عام ١٩٨٩ كان يبتسم للرئيس شاذلى . فالجيش انسحب رسميًا فى الرابع من مارس من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى . ولكن الذى كان يدور فى عقل القيادة العليا ، هو الاحتفاظ بالجيش بمنأى عن " عملية تطبيق الديمقراطية " لا يريد أن يتحمل نتيجتها فى حالة فشلها . ولم يكن ذلك يدور فى خلد شاذلى الذى شرع فى تقليص نفوذ جبهة التحرير الوطنى عن طريق تنظيم انتخابات محلية وتشريعية . هذه الأخيرة تسمح له بتجميل صورته وتأكيد سلطته عن طريق توسيع قاعدة طبقة النظام بالنخبة الإسلامية الجديدة . غير أن أحداث حرب الخليج وإضراب مايو – يونيو ١٩٩١ أكدا محدودية الاستراتيجية الرئاسية . فهذه الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا تهاجم الرئيس وحده وإنما أيضًا الجيش . وبذلك تهدم طموحات "الانفتاح المراقب" الذى انتهجه الرئيس[٢] . وإذا كان لابد من انتظار يناير ١٩٩٢ لكى يتدخل الجيش ، فذلك قبل أن يقع الانقلاب الذى يطيح بشاذلى .

(١) فى حين أن مثل هذا الطلب الذى تقدم به "اتحاد المغرب العربى" رفضته حكومة المغرب التى لم تعترف بالحركات الإسلامية .

(٢) لمزيد من المعلومات اقرأ : ريمى ليفو ، السيف والعمامة . مستقبل المغرب، باريس ، فرنسوا بوران ، ١٩٩٣

الباب الثانى

اختيار الشرعية

﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل ، آية ٣٤]

(١)

الغواية المزدوجة لنخب الإسلاميين

منذ أزمة الخليج ، تبين عجز النخبة الإدارية للحزب الإسلامى عن السيطرة على التوترات المصاحبة للطبيعة المزدوجة للجبهة الإسلامية للإنقاذ . إن شعور الاحترام والاندماج الدستورى عند زعماء الحزب وبخاصة باشتراك الجبهة فى الانتخابات البلدية فى يونيو ١٩٩٠ ، والانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، كان يصطدم فى واقع الأمر بالقطيعة التى تطالب بها القاعدة . إن جزءاً من هذه القاعدة بتشجيع من بعض المرءوسين فى الحزب من المهمشين بسبب استراتيجية الانتخابات ، عمد إلى تزويد الجماعات المسلحة بكتائبها الأولى . فبدلاً من صوت الانتخابات الذى "يكممه" الجيش ، حل صوت السلاح الذى أصبح فى نظر الفئات الراديكالية المتشددة الإسلامية يمثل " شرعية " جديدة ، الاستراتيجية التى بدأها مصطفى بويالى .

الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مواجهة السلطة بين التساهل والتشدد :

إذا كان الأمر فى نظر عدد من مؤسسى الحزب عند إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يعدو فى البداية سوى تكوين منظمة شرعية تتميز من هذه الناحية ، عن بقية الجماعات الإسلامية السابقة ، فإن الوضع يختلف بالنسبة لعباس مدنى ، الذى أعلنها قائلاً : " لقد رأينا ، أنه لكى نواجه ازدياد حدة الأزمة الحالية ، لا ينبغى أن نفصل بين الجانب الثقافى وبين الجوانب الأخرى الاقتصادية والسياسية مما يقنعنا بأن رجل الدعوة الذى لا يهتم بالقضية السياسية والقضية الاقتصادية مصيره الفشل فى مهمته [...] إذن ، يصبح من الواضح أن الدعوة الإسلامية لا يمكن لها ، منذ أحداث أكتوبر ، أن تظل

بمنأى عن السياسة والاقتصاد ، وإلا ساء وضعها "[1] . إذن هناك مفهومان متعارضان فيما يتعلق بعمل الحزب . فبعض المؤسسين يرون أن مجلس الشورى ينبغي أن يعمل طبقًا للمبادئ التقليدية للإجماع والشورى . وإذا كان عباس مدنى هو المتحدث الرسمى ، وورد اسمه فى طلب الموافقة باعتباره رئيسًا للحزب فإن العديد من الأعضاء لا يرون فى ذلك سوى مجرد اختيار أحدهم ليتكلم باسم المجموعة . غير أن عباس مدنى ، رغبة فى تطعيم الجبهة بوسائل عمل حديثة وكذلك رغبة فى خدمة طموحاته الرئاسية ، أقدم على التصّرف بشيء من الحرية مع القواعد المنظمة للحزب . هذا التصّرف كان لابد أن يصطدم بالاختيار الخطابى لرفاقه خاصة وأنه جعل من التعبئة الشعبية "الذراع المسلّحة " لطموحاته .

ومن أجل إشباع مشروعاته الرئاسية ، كان عباس مدنى محتاجًا فى واقع الأمر ، لحزب قوى . فعمد إلى تحويل الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى " شوكة ضاغطة " تقض مضاجع الدولة ومن يمثلونها . كان هدفه الرئيسى هو الاستيلاء على جميع المستويات والرتب السياسية التى تؤدى إلى الدولة : أولاً البلديات ، ومجلس الشعب الوطنى (المنتخب قبل أكتوبر ١٩٨٨) – الذى لم يكف منذ فوزه فى الانتخابات فى يونيو ١٩٩٠ ، عن مطالبة الرئيس شاذلى بحله ، وأخيرًا الرئاسة .

ومنذ عام ١٩٩٠ ورئيس الجمهورية فى مواجهة معارضة متصاعدة داخل نفس الحزب الوحيد السابق ، ولكنه لما كان يريد أن يتجنب تدخل الجيش ، فقد كان يتعامل بحكمة مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وفى مقابل ذلك تبنت الجبهة استراتيجية تقضى بقبول التساهلات المقدمة من السلطة ، وفى الوقت نفسه ، بالضغط عليها من أجل الحصول على تنازلات أخرى . واستطاعت الجبهة أن تحصل من شاذلى على وعد بأن يعلن فى العشرين من يوليو ١٩٩٠ إجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها فى الثلث الأول من العام التالى .

إلا أن أزمة الخليج قضت على الاتفاق المؤقت المنعقد فى صمت بين السلطة وبين الإسلاميين بعدم الاعتداء ، فهذه هى الجبهة الإسلامية للإنقاذ أمام وجود قاعدة مؤيدة للعراق ، تجد نفسها مضطرة لنهج سياسة أكثر عنفًا نحو السلطة . ولم يمنع ذلك

(١) مقابلة مع عباس مدنى ، نشرت فى صحيفة آفاق فى الثالث من يناير ١٩٩٠

الرئيس شاذلى ورئيس وزرائه مولود حمروش مرة أخرى من محاولة تقديم ضمانات للجبهة الإسلامية للإنقاذ من أجل استئناف السيطرة على جبهة التحرير الوطنى والتعهد ، من أجل ذلك ، بإقامة الانتخابات التى تطالب بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ منذ عدة شهور .

وبالتوازى مع نشاطه الدستورى ، قام رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ ببذل الجهد، مستخدماً التفاهم تارة والتهديد تارة أخرى ، التفاوض والتآمر ، بالإضافة إلى العنف. وكلها وسائل كانت تشكل فى ذلك الوقت الملامح التكتيكية فى استراتيجية أوسع من أجل الاستيلاء على السلطة ، مع الأخذ فى الاعتبار حجم الضغوط التى على الساحة .

غير أن مهام بن حاج كرئيس للحزب لم تمنعه من الاستمرار فى تفضيل الجهاد كوسيلة للاستيلاء على السلطة . فقد ظل طيلة الفترة الشرعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بين الوفاء لاختياراته الأولى واحترام ضرورات الوقت الراهن .

فى الثالث من سبتمبر ١٩٩١ ، أى بعد شهرين من القبض عليه ، أصدر بن حاج "رسالة من وراء القضبان " بعنوان : " الصاعدة الفتيّة من وراء السجون العسكرية " يعرض فيها الدروس المستفادة من خبرته فى رئاسة الحزب ، وبخاصة فترة "الإضراب السياسى " فى مايو ١٩٩١ . وهو فى الواقع يدعو إلى الجهاد المقدس ، ويعود فى ذلك إلى تجربة الإخوان المسلمين ، وبالذات سيد قطب . ويعتبر أن ما تعرض له الحزب من مصائب إنما هى من قبيل الابتلاءات والاختبارات .

فبعد النصر الذى تحقق فى الانتخابات فى يونيو ١٩٩٠ ، أراد الله أن يمتحن الجبهة الاسلامية للإنقاذ بالقمع الذى تعرضت له فى يونيو ١٩٩١ . وعرّج بن حاج على الشهادة فى سبيل الله وذكر الآية الكريمة التى تقول " ﴿ ولا تحسبن الذى قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ . وحذر بن حاج الأمة من " العلماء المزيفين الذين لا يفهمون المعنى الصحيح من آيات القرآن والسنة ، ويظنون أن قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تكون مطلوبة إذا كان الوضع يتطلب اتقاء الفتنة ، متعللين فى ذلك بالآية الكريمة ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ .

وفى يناير عام ١٩٩٢ عاد بن حاج ونشر " فتوى شرعية " موجهة إلى القضاء العالى واللجنة العليا للدولة بعنوان " فصل الكلام فى مواجهة ظلم الحكام " . مذكراً أن " النضال ضد النظام العسكرى والمادى المتعاون مع الاستعمار هو فريضة مقدسة على جميع المؤمنين الالتزام بها" . من أجل الدفاع عن " حرية اختيار الجزائريين " وهو بذلك يشير إلى الانتصار الذى تحقق فى انتخابات ديسمبر سنة ١٩٩٢ . وأعلن أنه لو كان مطلق السراح لعمل جنديا تحت إمرة عبد القادر شيبوتى (أحد قادة الجماعات المسلحة فى ذلك الوقت) ثم تعرض لفلسفته فى ممارسة السلطة وتنظيم السلطات فى الدولة الإسلامية .

وفى الفصل الثانى من الرسالة تعرض بن حاج لقواعد النظام السياسى فى الإسلام فى اختيار الحكومة . وعدّد صفات الدولة الإسلامية التى تعتمد فى شرعيتها أولاً على مبدأ الشورى ، التى يعد التعدى عليها موجباً لعقوبة القتل الذى يستحقه "حكام البلاد العربية الذين استولوا على السلطة أحياناً بالمكر والدهاء ، وبالقوة فى أغلب الأحيان" . وانتهى بن حاج إلى الإشارة إلى النظام السياسى الجزائرى حيث الإدارات مراقبة ، وحرية الصحافة غائبة ، وتصفية الخصوم السياسيين عن طريق ترويج الشائعات شىء عادى .

وواضح أن البعد شاسع بين هذه التحليلات وبين أحاديث عباس مدنى الذى يحاول دائمًا أن يطمئن الرأى العام عن نوايا الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى حالة استيلاء الحزب على السلطة .

ومع ذلك فإن التقشف الذى كان يدعو إليه بن حاج يتعارض مع البذخ والرفاهية عند مدنى . فبينما يعلن مدنى عن مظاهر الثراء الذى يعود إلى ما يتلقاه الحزب من دعم مادى من المساندين له ، ينتقل بن حاج فى سيارة قديمة بالرغم من محاولة خلصائه أن يوفروا له سيارة حديثة . والحقيقة أن الرجلين كان يحاول كل منهما أن يقوم بالدور المنوط به والذى يتواءم مع اتجاهاته وميوله ، فبينما يقوم مدنى بدور الملطف بما فى ذلك مع العالم الخارجى ، يقوم بن حاج بإثارة الجماهير وبخاصة فى موضوع استقلال المجتمع الجزائرى عن الخارج . وهذا ما تجلى بوضوح خلال حرب الخليج .

حرب الخليج :

حينما اندلعت حرب الخليج فى السابع عشر من يناير ١٩٩١ ، بدأت مباراة (برادى فير) ، (رست) تجرى بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبين السلطة . فالحزب الإسلامى أدرك أن وضعه غير المريح حيال الصراع يضعف موقفه كثيراً. لذلك فقد دعت الجبهة إلى مقاطعة البضائع التى تنتجها دول التحالف (إعلان فى السابع عشر من يناير ١٩٩١) وطالب مناضلوها بالقيام بالتدريبات العسكرية والاستعداد لعمليات الإنقاذ والتبرع بالدم . وكان موضوع التبرع بالدم مادة لجدال عاصف بين الجبهة وبين الصليب الأحمر الجزائرى الذى اتهمه عباس مدنى ، بغير حق ، بأنه نقل إلى فرنسا كميات الدم التى جمعها من أجل العراق ... ومن ناحية أخرى ، فقد اتهمت الجبهة الإسلامية الحكومة الجزائرية ببث البرامج التليفزيونية " غير اللائقة بالظروف " وتصدير البترول والغاز " إلى البلاد المتواطئة فى الاعتداء على الأمة الإسلامية " (إعلان الثامن عشر من يناير ١٩٩١) .

كان ثمة ثلاثة توجهات متعارضة داخل إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ : فإذا كان بعض الأعضاء يميلون إلى إعلان حياد حذر ، فقد كان الآخرون ، على النقيض من ذلك ، مصرين على مساندة العراق ، كما ينادى بذلك غالبية الرأى العام الجزائرى الذى يرى فى صدام حسين صورة جديدة من صلاح الدين يتقدم للاستيلاء على بيت المقدس ؛ أما الفريق الثالث ، الذى كان حريصاً على عدم فقدان العون السعودى ، فقد كان ينادى بإدانة الغزو العراقى من جانب صدام الذى وصف بأنه " هدام " . أما عباس مدنى فقد أعلن فى بداية الصراع موقفاً معارضاً للعراق . ففى حديث صحفى له مع جريدة " المسلمون " أعلن قائلاً : صدام حسين طاغية ، وعلية أن ينسحب من الكويت . ونحن نرفض الربط بين احتلال الكويت وبين القضية الفلسطينية ومع ذلك، فقد ظهر فريق من إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ أعلن الاستعداد للقيام بدور الوساطة فى الصراع وتعهد بمساندة العراق بعد نزول القوات الأمريكية فى السعودية .

واضطر عباس مدنى ، الذى جاءت تصريحاته المناهضة للعراق لتضعه فى موقف حرج مع القاعدة السياسية فى الحزب ، إلى تغيير موقفه بالتدريج وخاصة عندما أعلن

قرار مجلس الأمن فى الأمم المتحدة رقم ٦٧٨ تفويض دول التحالف باللجوء إلى القوة لتحرير الكويت . وتلقى الجزائر بذعر شديد خبر القصف الأمريكى للعراق الذى وصفته الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأنه " جريمة ضد الأمة الإسلامية جمعاء " .

وفى اليوم الثامن عشر من يناير ١٩٩١ ، ارتدى على بن حاج الزى العسكرى وذهب إلى وزارة الدفاع وسلم وزير الداخلية عريضة يهاجم فيها " النظم التى تشترى السلاح لكى تحارب الشعوب " وطالب بفتح معسكرات التدريب وتوزيع السلاح على المتطوعين للدفاع عن العراق ، وكذلك حل مجلس الشعب الوطنى على الفور . وبذلك نجد موقفًا راديكاليًا فى خطاب الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى تهاجم السلطة مباشرة وتعلن عدم شرعيتها، وتحمل على الجيش الذى تؤكد أنه عاجز عن تأمين سلامة البلاد . وسرعان ما جاء رد الرئيس شاذلى من خلال خطاب أمام البرلمان فى الثالث والعشرين من يناير ١٩٩١ ، يندد فيه بتصرفات الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى اليوم الحادى والثلاثين نظمت الجبهة مسيرة ثانية – ردًا على الخطاب الذى أذاعه التليفزيون للرئيس شاذلى ، وهاجم فيه أولئك " الذين ينالون من سيادة الجزائر " . وخلال المسيرة ، سمعت الهتافات التى تقول . شاذلى عدو الله ! وتدعو إلى إقامة دولة إسلامية .

ولم يحصل قرار مساندة العراق على موافقة أغلبية أعضاء مجلس الشورى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وكذلك بالنسبة لإرسال متطوعين جزائريين إلى العراق . وسافر عباس مدنى وعلى بن حاج منذ الأيام الأولى للأزمة إلى السعودية ثم إلى العراق ، ويبدو أن على بن حاج فى تلك الأثناء أوقف قرار إرسال المتطوعين . وبصفة عامة، فإذا كان بعض المتطوعين قد سافروا إلى حدود العراق استعداداً للتدخل ، فعندما انتهى تدريبهم ، كانت الحرب قد وضعت أوزارها .

الإضراب المقدس ، مايو ويونيو ١٩٩١

يأخذ " المؤسسون التاريخيون " للجبهة الإسلامية للإنقاذ على عباس مدنى أنه يريد أن يضم إلى اللجان الإدارية للحزب عناصر شابة من المتعلمين ممن يعتنقون نظرياته وأراءه . وقد بدأ التوتر الأول فى يونيو ١٩٩٠ خلال المؤتمر الثانى للدعوة

(نُظِّمَ تحت رعاية الرابطة) . وكانت سنة ١٩٩٠ قد بدأت بعلاقات ساخنة بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبين الجزأرة. ففى فبراير قام الشيخ سحنون ، رئيس فرع الرابطة ، وهى جمعية فى أغلبها " جزأرية " بإعلان بيان يدعو فيه الجبهة إلى إلغاء المسيرة التى حددت لها يوم العشرين من أبريل . وفى يونيو تحسن المناخ . وبحثًا عن دماء جديدة من الدعاة من ذوى الخبرة السياسية ، وكذلك لديهم الاستعداد للوفاء لشخصه وفلسفته ، عمد عباس مدنى إلى طلب توسيع مجلس الشورى فى جميع توجهات الرابطة . فرفض كل من عبد الله جاب الله ومحفوظ نحناح . أما محمد سعيد فقد قبل مع توجيه النقد العلنى لطريقه العمل " الفوضوى " فى الحزب ، وكذلك فقدانه لبعد النظر والتطلعات المستقبلية . هذه الجرأة من جانب محمد سعيد أثارت ضده عباس مدنى ، ولكن ذلك لم يمنعه من الاشتراك فى لجان الحزب الإدارية . لكن الصعوبات جاءت من ناحية أخرى . فقد تقدم تسعة أعضاء من مجلس الشورى ، يمثلون أغلبية المكتب التنفيذى للجبهة الإسلامية واعترضوا على دخول الجزأريين .

وكان إضراب يونيو ١٩٩١ ، الذى لم يكن الجزأريّون مبرّئين منه ، شرارة الأزمة التى تستعر منذ شهور . أما التسعة المعترضون ، فقد اتهموا مدنى بأنه يريد أن يمهّد الطريق للجزأرة . ورأى " المنشقون " ، فضلاً عن ذلك ، أن الالتجاء إلى الإضراب الذى كان هدفه الرئيسى ، فى نظرهم ، تدعيم طموحات مدنى الشخصية، يهدد فى حالة المواجهة مع السلطة ، بتدمير شعور التعاطف الذى تكنه الجماهير للحزب .

فى هذه الظروف ، لم يكن خلاص مدنى ليتحقق إلا فى ظل الدعوة إلى انتخابات رئاسية قبل الموعد ، وهو القرار الذى أصرّ على انتزاعه بأى ثمن من الرئيس شاذلى .

وتحدد يوم الثالث والعشرين من مايو موعداً للإضراب العام ، بعد اجتماع عاصف لمجلس الشورى ، ولم يسمح لرئيس الحزب إلا بثلاثة أيام إضراب .

واعتماداً على المبدأ - الخطأ - بأنه بعد محنة أكتوبر ١٩٨٨ ، لا يمكن للجيش أن يسمح بفتح النار مرة أخرى على الجماهير ، كانت الخطة بسيطة : تأكيد تصميم الحزب واختبار ردود فعل العسكريين ليتبيّن إلى أى مدى يمكن الذهاب بعيداً . كان هناك فريق من قوات الأمن يشجع مدنى فى هذا الطريق ، مزينًا له أن الرئاسة

باتت قريبة منه ، وهم بذلك يدفعونه إلى الخطأ ، وفى الوقت نفسه تجريد صلاحيات رئيس الوزراء .

وظهر الإضراب فى شكل العصيان المدنى مما أدى إلى مصادمات بين المتظاهرين الإسلاميين وقوات النظام . وإذا كان الإضراب لم يجد صدى فى بادئ الأمر فى صفوف العمال ، فإن تعطيل الأعمال لم يلبث أن أصاب بالشلل جانبًا من النشاط الاقتصادى فى العاصمة الجزائرية . وبينما زعماء الحزب يكررون الدعوة إلى الهدوء ، وبينما مدنى يحاول كبح جماح المناضلين الشبان ، اتجهت المظاهرات وجهة أخرى وجعلت من الجزائر العاصمة ساحة معركة . فقد تدفق على ميدان الشهداء جماهير من البسطاء الهائجين دفاعًا عن الدولة الإسلامية . وبدا أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ أصبحت مسيطرة على المدينة ، فى حين أن السلطة أعطت الشعور بأنها أصبحت شاغرة على حين فجأة . وبدأت الوساطات الطيبة . وقامت الرئاسة والحكومة والجيش بإرسال مبعوثيهم من أجل التفاوض والاتفاق على خروج " مشرّف " لمختلف أطراف الحكومة .

وفى التاسع والعشرين من مايو التالى استقبل مولود حمروش كلاً من عباس مدنى وعلى بن حاج اللذين طالبا ، بالإضافة إلى إلغاء قانون الانتخابات ، بعقد انتخابات رئاسية مبكرة فى أقرب فرصة ممكنة . وتم الاتفاق شفاهةً على السماح لمناضلى الحزب الإسلامى باحتلال أربعة ميادين عامة فى العاصمة . وفى الوقت نفسه ، بدأت تسمع أصوات أقدام فرق الجيش ، ولم يغب ذلك عن مدنى الذى هدد الجيش ، فى حالة حدوث انقلاب ، أن يعلن الجهاد . وجاء دور عبد العزيز بلخادم رئيس الاتجاه الإسلامى فى مجلس الشعب الوطنى ، بالقيام بدور الوساطة بين رئاسة الجمهورية والجبهة الإسلامية للإنقاذ . وتم عزل مولود حمروش ليلة الرابع من يونيو وتعيين سيدى أحمد غوز . وأعلنت حالة الطوارئ .

وبدأت قوات النظام تتدخل بعنف من أجل تفريق المتظاهرين . وعاشت العاصمة ليلة عصيبة . وسقط العديد من القتلى والجرحى . ولم تستلم ميادين الشهداء وأوّل مايو إلا بعد مقاومات شرسة . وانتصر الجيش . وتلاحقت الأحداث واتخذت وجهة فى منتهى العنف .

وطبقًا لبيان رسمى أسفرت المصادمات عن ٨٤ قتيلا و ٤٠٠ جريح . أما الجمعية الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان ، فقد أحصت ٥٠٠ قتيل . وقام مدنى وأعضاء مجلس الشورى المخلصون له بتحرير بيان من اثنتين وعشرين نقطة يتضمن مراحل التمرد العام. فبعد فشل سياسة التفاهم ، تحول مدنى ورفاقه إلى استراتيجية العنف ، ودعوا المتظاهرين إلى خرق قرار وقف إطلاق النار وتنظيم صفوفهم فى الأحياء من أجل مقاومة قوات النظام ، وإقامة متاريس على الطرق ومداخل مدينة ، والاعتراض بالقوة على القبض على المناضلين . كما طلب منهم فى حالة القبض على إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، باختطاف شخصيات مهمة وتشكيل جماعات تقوم بمهاجمة " النقاط الاستراتيجية للعدو" ، ثم الالتجاء إلى الأقاليم المحيطة والتحصّن فى الأحراش . وفى السابع من يونيو ، توصل رئيس الوزراء الجديد إلى اتفاق مع عباس مدنى وعلى بن حاج يقضى بأنه فى مقابل الوعد بإقامة انتخابات تشريعية " نظيفة وشريفة " وتنظيم انتخابات رئاسية قبل الموعد ، يدعو الزعيمان إلى وقف الإضراب . وأدرك مدنى بعد ذلك أنه خدع وأن قوات الأمن لن تفتح له أبواب الرئاسة ، وهدد بالدعوة إلى الجهاد . ودعا على بن حاج إلى خرق وقف إطلاق النار . وسقط الجرحى الذين تدفقوا على المستشفيات . وفى الخامس والعشرين من يونيو وفى بث مباشر للتليفزيون ، أعلن ثلاثة من إدارة الحزب إدانتهم لتصرفات رئيسهم . هذه " الإهانة " أودت باثنين منهم إلى الإقصاء عن الحزب . أما الثالث فقد تجمدت نشاطاته فى مؤتمر الباتنه . وفى الثامن والعشرين من يونيو ، وبتشجيع من القاعدة ، أعلن مدنى إنذارًا إلى الجيش بالجلاء عن المدن فى ظرف أربع وعشرين ساعة . وانتهت المهلة ، فأعلن الجهاد . وفى النهاية ، وفى ظروف غامضة ، تم القبض على بن حاج وعباس مدنى مع خمسة أعضاء آخرين من مجلس الشورى .

ويرى البعض أن أحداث مايو ويونيو ١٩٩١ ماهى إلا تجربة (بروفة) عامة لانقلاب يناير ١٩٩٢ . فإذا كان القصد منها هو دفع الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الوقوع فى الخطأ لقمعها بعد ذلك ، فقد كان من المفيد أيضًا التخلص من رئيس وزراء مزعج ورئيس دولة ثبت أنه عاجز عن التعامل مع " التهديد الإسلامى " .

مؤتمر باتنه (٢٥ - ٢٦ يوليو ١٩٩١)

«ثورة مآذن»

حينما أصبح عبد القادر حاشانى مسئولاً عن لجنة الشئون السياسة فى الحزب ، بعد القبض على مدنى وعلى بن حاج ، قرر فى مطلع شهر يوليو ١٩٩١ الدعوة إلى مؤتمر وطنى بهدف دعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ بإجراء مؤقت والعمل على ألا يقع الحزب فى أيدى ذوى الاتجاه المعادى لمدنى .

وفى إعلان موقع من اللجنة السياسية للمكتب التنفيذى الوطنى بتاريخ ٢ يوليو ١٩٩١ ، أكد حاشانى أنه مع محمد سعيد مستودع توجيهات عباس مدنى قبل القبض عليه . وطبقًا لتعليمات مدنى ، فإن على الجبهة مواصلة عملها وهو المنافسة السياسية " بطريقة شرعية وعلنية " . بالإضافة إلى ذلك يرجو مدنى فى " وصيته " أنه فى حالة القبض على الرئيس أو قتله ، فإن على رؤساء المكاتب التنفيذية الإقليمية وأعضاء مجلس الشورى (الأوفياء منهم) أن يجتمعوا لاختيار إدارة جديدة. وقد ألقى الموقعون بمسئولية أحداث مايو ويونيو كاملة على النظام الذى يحذرونه من " مواصلة القمع الذى سيجعلنا عاجزين عن ضبط النفس وكتم غضب تخشى نتائجه على البلاد " .

وفى الثالث من يوليو ، وفى مسجد وادى قريش طمأن محمد سعيد القاعدة التى ظلت وفيّةً "لخط" مدنى ، بأن كل شىء فى الجبهة سوف يستمر كما كان فى الماضى . وتحدد السابع من يوليو موعداً لعقد مؤتمر الباتنه .

وفى نفس اليوم السابع من يوليو ، وبعد القبض على محمد سعيد ، تولى عبد القادر حاشانى مهمة تطهير الحزب . ورغم حداثة معرفة القاعدة به فقد أصبح مألوفًا لها ، كما أصبح المسئول الوحيد عن التفاوض مع السلطات .

فى العشرين من يوليو ١٩٩١ حمل حاشانى على موقف النظام الذى " لم يتردد فى نشر بذور التفرقة والشقاق بين من تبقى من إدارة الجبهة " . والتلميح واضح ، ويقصد أعضاء مجلس الشورى الذين استسلموا لفتنة تصفية الحسابات تحت أنظار السلطات وبموافقتها . والحقيقة أن سعيد جيشى ("مؤسس تاريخى" والمعارض الأساسى لمدنى)

حاول أن يجمع المنشقين أو الخارجين فى المجلس الاستشارى المعادين لعباس مدنى ، الأمر الذى أفقدهم أسهمًا أكثر فى نظر المناضلين . ودعا حاشانى إلى تأكيد " الثقة " فى أعضاء مجلس الشورى الوطنى وأعضاء المكاتب الإقليمية الذين سيجتمعون فى الخامس والعشرين من يوليو فى باتنه .

وتمكن حاشانى بمهارته السياسية من تسوية بعض المشكلات فى الجبهة والتوفيق بين بعض الأعضاء . وبعد التغلب على هذه المشكلات ، أصبح كل شىء جاهزًا لانعقاد المؤتمر . وتم تعيين حاشانى متحدثًا بلسان الجبهة .

وبصفة عامة فتح مؤتمر باتنه مرحلة جديدة فى تاريخ الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهى الإجماع على تأييد عباس مدنى بالرغم من سجنه ، وذلك بفضل مجموعة من الحرس الشبان ، " أطفال السياسية " كما سيسميهم أحد المؤسسين التاريخيين ، والذين سوف يعبرون عن طموحاتهم السياسية بكل حرية من الآن فصاعداً .

طريق صناديق الانتخابات :

ولكن لابد من جعل الحزب يقبل المشاركة فى الانتخابات التشريعية المقرر عقدها فى أواخر ديسمبر ١٩٩١ . وقرار المشاركة فى الانتخابات لم يحصل على إجماع الإدارة فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى لجأ بعض أعضائها إلى المقاطعة .

وقام رئيس الوزراء الجديد سيدى أحمد غوزالى ، بدعوة الأحزاب السياسية للقاء يعقد يومى الثلاثين والحادى والثلاثين من يوليو ١٩٩١ ، بهدف الإعداد للانتخابات التشريعية .

هذا اللقاء كان يرمى فى تفكير الحكومة إلى التقليل من تأثير الجبهة الإسلامية للإنقاذ وذلك عن طريق اللعب بالانشقاقات التى حدثت فيها خلال الأعوام الماضية . وقامت إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى أسفر عنها مؤتمر باتنه بتنظيم اجتماع فى التاسع والعشرين من يوليو للنظر فى جدوى المشاركة أو عدم المشاركة فى اللقاء . البعض رأى الامتناع بسبب القبض على قادة الجبهة فى حين رأى الآخرون أن الإدارة التى أسفر عنها اجتماع " بليدا " هى المؤهلة وحدها لتمثيل الحزب . بينما اقترح فريق

ثالث حضور اللقاء دون الكلام . ثم الانسحاب . وفى النهاية أيد مجلس الشورى قرار المقاطعة . وبالرغم من هذا القرار ، فقد ذهب بعض المنشقين بصفة شخصية إلى اللقاء .

وعشية اللقاء الثانى بين الحكومة والأحزاب فى الثانى والثالث والعشرين من أغسطس ، تعرضت وحدة الجبهة الإسلامية للإنقاذ للاختبار مرة أخرى . فبينما رأت الإدارة الجديدة عدم المشاركة ، فإن أبو بكر بلقايد ، الوزير المفوض فى علاقات مجلس الشعب الوطنى والأحزاب ، أعلن بعد استقباله لبعض الأعضاء المؤسسين للجبهة ، أن الحزب قرر المشاركة بشكل أو بآخر فى اللقاء .

وتم عقد لقاء ثالث بمبادرة من وزير الداخلية فى أكتوبر عام ١٩٩١ . وكان عبد القادر حاشانى قد تم القبض عليه ، ولذلك قررت إدارة الجبهة عدم المشاركة .

وقد حاول أعضاء مجلس الشورى المستبعدين استئناف المبادرة بين يونيو ويوليو ١٩٩١، ولكن بدون جدوى . غير أن هذه السياسة تحطمت تمامًا بعد القبض على عبد القادر حاشانى وأسرع رباح كبير الذى خلفه ، بعقد مؤتمر ثان للبلديات الإسلامية . وعقد المؤتمر فى الثانى والثالث من أكتوبر ١٩٩١ . ومنذ أول اجتماع للجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد رفع حالة الطوارئ ، فى الرابع من أكتوبر ، انهالت القاعدة عليهم بالصياح والهتاف : " الخونة ! الخونة !" . وتبخرت آخر آمال المنشقين حينما تمكن نائب رئيس المكتب التنفيذى بعد بضعة أيام من المفاوضات ، من الحصول من العديد منهم على وعد بالمصالحة والعودة إلى صفوف الجبهة .

واستحكمت القطيعة حلقاتها نهائيًا مع اقتراب المشاورات الانتخابية التى أيّدت دخول نخبة التقنيين للحزب . وفى التاسع عشر من ديسمبر . قام " المؤسسون التاريخيون " بنشر إعلان يدعون فيه إلى مقاطعة الانتخابات التشريعية ، ويدعون المؤمنين إلى الأخذ برأى علماء الدين " حتى لا يتغلب الجانب السياسى على الجانب الدينى " .

وعندما تم إطلاق سراح عبد القادر حاشانى فى أواخر أكتوبر ١٩٩١ ، بعد شهر فقط من الحجز ، حاول الرجل التوفيق بين مختلف الاتجاهات منعًا لأية أزمة أخرى

يمكن أن تضعف الجبهة الإسلامية للإنقاذ أثناء الانتخابات التشريعية . لذلك اجتهد أن تكون قراراته بموافقة الجميع . دليل ذلك الطريقة التى حسم بها الجدل حول مشاركة الجبهة فى عملية الانتخابات . والحقيقة أن اقتراب الانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، والسيطرة المزعومة للجزأرة على إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان موضوع معارضة مفتوحة . لأنه إذا كان الجزأريون يؤيدون المشاركة ، فإن "المؤسسين التاريخيين " ، على النقيض من ذلك ، يميلون إلى المقاطعة . خاصة وأنهم يأخذون على الإدارة أنها استبعدتهم من القوائم الانتخابية لصالح " التقنيين " . وفى النهاية ، تمكن عبد القادر حاشانى من الحصول على موافقة الجميع ، بالرغم من وجود قاعدة مناضلة طالبت فى الاجتماعات : " بدولة إسلامية بلا تصويت " ، ولم يكن ذلك قبل الضغط على السلطة لإطلاق سراح القادة المسجونين .

فى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٩١ ، قرر مجلس الشورى الاشتراك فى الانتخابات التشريعية ، وقبل أيام من بداية الانتخابات ، تلقى حاشانى تأكيدات من الرئاسة تقول: " نعم ، سنحترم نزاهة الانتخابات ؛ ولكن ، لن يتنازل شاذلى عن ترشيح نفسه". واعتماداً على ثقتهم بأنفسهم التى بلغت حد السذاجة ، تعهد حاشانى ورفاقه بعدم المطالبة بانتخابات رئاسية مبكرة بشرط التصديق على امتياز مرشحيهم بعد الاقتراع . لن تتاح الفرصة للرئيس شاذلى ! ... لقد عزل الجنرالات الرئيس شاذلى عن قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو العزل الذى يفسر الحرج الذى وقعت فيه إدارة الحزب على أثر الانقلاب .

وفى السادس والعشرين من ديسمبر بلغت الأصوات التى حصلّها الحزب ثلاثة ملايين ومائتين ، أى بنسبة سبعة وأربعين فى المائة من الأصوات المشاركة فى الانتخابات ، وهو بذلك يقترب من الأغلبية المطلقة بحصوله على مائة وثمانية وثمانين مقعداً من بين الثلاثمائة والثلاثين مقعداً . وبدأت إدارة الحزب تطمئن الرأى العام الوطنى والعالمى عن نواياها المستقبلية ، وذلك بالرغم من التصريحات المثيرة التى كان يعلنها محمد سعيد يدعو فيها الجزائريين والجزائريات إلى " الاستعداد لتغيير عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بالملبس والمأكل " .

وفى الثانى عشر من يناير ، التقت إدارة الحزب الشابة بعبد العزيز بلخادم رئيس التوجه البربرى فى جبهة التحرير الوطنى الذى أبلغ حاشانى ورفاقه بحل مجلس الشعب الوطنى . وتبخرت آمال الذين كانوا يعتقدون أنهم سيصلون بسلام إلى رأس الدولة . ولم تسفر عن شيء محاولة عبد القادر حاشانى الالتقاء بكل من حسين على أحمد (جبهة القوى الاجتماعية) وعبد الحميد مهرى (جبهة التحرير الوطنى) بهدف تجنب لجوء الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى العنف . ولم يدم طويلاً الحذر الذى أبدته إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ صبيحة الانقلاب الذى وقع فى الحادى عشر من يناير . ففى السابع عشر من يناير أذيع بيان يدعو الجيش لحماية " المشروع الإسلامى " وهذا يعنى بالنسبة لعبد القادر حاشانى أن يودع السجن مرة أخرى . وكان من الطبيعى أن يرأس رباح كبير الحزب وأصبح المتحدث بلسانه . ولكن رئاسته لم تدم طويلاً ، حيث تم القبض عليه هو أيضًا فى مطلع فبراير .

كان القبض على حاشانى وكبير مبعث سعادة لخصومهما فى الحزب الذين كانوا يعارضون اختيارهما وتصرفاتهما . لكنه أيضًا أرضى " صقور " السلطة الذين وجدوا الفرصة مناسبة للتخلص من الفئة التى من المحتمل أن تتولى السلطة محلهم ، وذلك بالتخلص " شرعيًا " من المعارضة الإسلامية .

(٢)

التيوقراطيون (الحكومة الإلهية) أو ثورة التطهير

بعض الكوادر فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ منها ما ينتمى إلى قطاعات تقليدية أو بعض فئات مهمشة من المجتمع كانوا يشعرون بحقد دفين نحو " التقنيين " الذين حصلوا على نصيبهم فى الترقى الوظيفى فى الوقت الذى كان الحزب يسعى فيه إلى الاستيلاء على السلطة عن طريق الانتخابات . وهم إذ يرفعون لواء شرعية حصلوا عليها فى الغالب داخل سجون الدولة ، حتى لو لم يكونوا جميعًا أهملوا دراستهم الجامعية ، إلا أنهم يعبرون عن حركة إسلامية عامية أو سوقية مؤمنة بضرورة إقامة الحكومة التيوقراطية . وفى رأيهم أن المقدرة على سياسة الناس تقاس بدرجة الإخلاص للجماعة ، أكثر مما تقاس بالمؤهلات والاستعدادات التقنية الخاصة .

والتيوقراطية ودعاة الحكومة الإلهية فى الجزائر يصفهم بعض التقنيين بأنهم حلف المعدمين وهم يستخدمون عناصر ، هى فى الواقع غير متجانسة ، إلا أن ما يربط بينها هو الريبة المشتركة وعدم الثقة فى النخبة التقنية التى تمكنت شيئًا فشيئًا من السيطرة على جهاز الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وهى لا تنفك تغذى حقدها على هذه الطبقة لتواطئها المستتر مع النظام الذى اهتم منذ عام ١٩٨٨ بتوسيع قاعدته بنخبة المهمشين من خريجى المعاهد . والتيوقراطيون ، إذ يتألفون من " مؤسسين تاريخيين " للحزب ، وفى الوقت نفسه طائفة من الجيل الجديد من المناضلين ، فهم يشكلون " طليعة " نذرت حياتها لإقامة دولة إسلامية يكونون حراسًا عليها .

«المؤسسون التاريخيون» للحزب :

أكبرهم سنًا يتميزون بأنهم ولدوا بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ وينتمون بالتالى إلى الجيل نفسه فى جبهة التحرير الوطنى ، الذين شاركوا فى إقامة الدولة - الوطن الجديدة . وهم إذ يفتقرون إلى ما يؤهلهم للدخول فى جهاز الدولة الذى تحتكره نخبة " المتغرّبين " المطعّمين بعلماء الدين الرسميين ، يندّدون دومًا بالطابع الأجنبى المستورد الذى يغلب على المؤسسات والقوانين ، ويدعون إلى تطبيق كامل للشريعة الإسلامية .

وهم إذ تأثروا بالحركة الاشتراكية على المستوى السياسى فى إطار وطنيةٍ يرون أنها حادت عن هدفها الأساسى ، فقد بادر المؤسسون التاريخيون فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ مبكرًا بتنظيم مقاومتهم للنظام الجديد . وإذا كانوا لا يعارضون وجود الدولة - الوطن فى ذاتها ، فهم فى المقابل يحملون على إطارها التاريخى واختياراتها الاشتراكية . من ذلك أن أحدهم ، وهو أحمد ميرنى ، يرى أنه لكى "نفهم الحركة الإسلامية " ينبغى أن نتذكر أن " الشعب الجزائرى مسلم وأن الحركة الإسلامية ظهرت عام ١٩٣١ مع بن باديس ، ثم اختفت عام ١٩٥٤ ، والتحقت بجبهة التحرير الوطنى ، ثم ظهرت عام ١٩٦٣ بإنشاء جمعية القيم ، لأن الجزائر قامت بثورتها لكى تصل إلى دولة جزائرية تقوم على الإسلام " . ومع ذلك فإن " الدولة الجزائرية بعد الاستقلال أصبحت عاجزة عن القيام بهذه المهمة ، وذلك بسبب الإهمال الذى أصاب الإسلام . إن الدولة لم تعمل شيئًا لكى تعلم الشعب الجزائرى تعليمًا اسلاميًا" ، ومن ثم كان " ظهور أناس يعرفون العلوم ويريدون أن يعلموا الناس ما هو الإسلام "(١) . لذلك فهم يتوجهون بمطالبهم إلى الدولة التى كانوا ينتظرون منها أن تعلم الناس قيم الإسلام ، وأن تتخلى عن " البلاعين المستوردين " وهما الشيوعية والعلمانية . وعلى شاكلة وعاظ جمعية الإخوان المسلمين المصرية ، جعلوا من الخطبة الأداة المثلى للبناء الأخلاقى للناس .

وإذا كان بعضهم قد اقتصر على الخطبة والعمل الاجتماعى ، فقد حاول البعض الآخر القيام بأعمال أكثر راديكالية . لذلك فقد انضموا إلى قادة الجيل الجديد ،

(١) مقابلات صحفية فى الجزائر العاصمة بين يناير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٣

مما يفسر أنه منذ إلغاء عملية الانتخاب حاولوا التوسط بين النظام وبين الجماعات المسلحة . وإن مساعيهم فى هذا الصدد لتدل على اهتمامهم الدائم بانتحالهم صفة علماء الدين . وبهذه الصفة دأبوا عدة مرات على إصدار بيانات ونداءات من أجل المصالحة الوطنية .

أدت العجلة التى يتحرك بها عباس مدنى فى سباقه للاستيلاء على السلطة ، بأى شكل ، إلى الاصطدام بالاختيارات الخطبية والتدرجية ، ومن ثم كان صدامهم قبل مؤتمر باتنه ، ثم أثناء المؤتمر ، بالحرس الشبان وإقصائهم من جانب الحزب .

ويعد أحمد ميرنى ممثلاً لهذا الجيل بفضل الطريقة التى مزج بها بين العمل الخطابى والعمل الاجتماعى ، وكذلك المسئوليات التى مارسها زمنًا فى قيادة الحركة الإسلامية للإنقاذ . وينتمى أحمد ميرنى إلى الجيل الأول من الوعاظ السلفيين المؤسسين للحزب الإسلامى . كان أجداد ميرنى الأربعة من القبائل فى مدينة ياكورين (مقاطعة تيزى – أوزو) حيث ولد عام ١٩٤٨ . كانت نشأته البربرية وراء اعتزازه بنفسه الذى جعل منه مدافعا صعب المراس عن " الأمازية " . غادر مسقط رأسه عام ١٩٥١ إلى العاصمة الجزائر ليشب فيها ، وحيث كان أبوه يعمل فى تجارة الفواكه والخضراوات . وكان قد استقر بها قبل الحرب العالمية الثانية . وحتى عام ١٩٥١ ، كانت أمه تنتقل كثيراً بين العاصمة وبين ياكورين . وقررت العائلة فى تلك الفترة الاستقرار فى العاصمة . وكبرت الأسرة وأصبحت تضم ثمانية أبناء كانوا يلعبون فى حارات تلملى . غير أن القصبة بأزقتها هى التى كانت مصدر سعادة أحمد ميرنى . وإذا كان يحدد أصله بمدينة ياكورين ، فإن القصبة فى الجزائر العاصمة هى التى أحسنت استقباله بحيث أصبح وإلى الأبد ، أحد أبنائها . من سن الخامسة حتى العاشرة كان يتردد على المدرسة الإسلامية فى الحى ، حيث كان يدرس القرآن وعلوم العربية من الخامسة حتى الثامنة مساءً بما فى ذلك يوم الأحد. ومن سن العاشرة حتى العشرين ، لم يتلق أحمد أى تربية إسلامية خاصة ، وانقطع عن المسجد كرغبة والده إلا فى القليل النادر . ولم يعد إليه إلا فى سن العشرين . يقول فى ذلك معتذراً : " كانت تلك فترة المراهقة . كنت كغيرى من الشبان ، أدور فى دوامة الشباب . أرتكب

الحماقات التى يرتكبها أمثالى . وعلى حين فجأة ، عدت إلى رشدى ، وقلت فى نفسى . إن هذا الطريق لا يفيد وينبغى أن أغيرّه . وعاهدت نفسى على إقامة الصلاة "[1] .

وأصبح أحمد ميرنى مزودًا بحصيلة ضخمة من علوم الدين من دروس المساء فى المساجد الأهلية . وفى عام ١٩٧٢ ، ألقى أول دروسه فى مسجد وادى قريش فى القصبة . وفى العام نفسه لقى أحمد ، مع صديق له تاجر فى الحى ، بعض الحجاج القادمين من المغرب وباكستان وسوريا . وتعلما منهم سنة الرسول (ﷺ) والتوحيد . وخرج أحمد وصديقه مع هؤلاء الحجاج وتنقلوا فى المساجد وعادوا من جولتهم مقتنعين بأن الخروج للتبليغ قد ولد فى الجزائر[2] . ومع ذلك فإن تمسك أحمد ميرنى بالتبليغ لم يتجاوز عام ١٩٧٥/١٩٧٦ حيث حدثت القطيعة التى لم يكن من الممكن تجنبها .

يقول أحمد ميرنى : " كنت فى الدروس التى أقوم بإلقائها أوجه النقد للسياسة ، ولم يكن ذلك يروق لجماعة التبليغ . فخيرونى ، فتركت جماعتهم وانفصلنا " .

هذه المحنة تفسر ضعف عدد المقبلين على التبليغ فى الجزائر . ومنذ عام ١٩٧٠ وعلى أثر ظهور جماعات من الشباب مزودة بحصيلة من علوم الدين (صحيح أنها قليلة ، لكنهم يرون أنها كافية لمطالبة النظام بتطبيق كامل للشريعة) ، تم تهميش جماعة التبليغ المتمسكة بالانصراف عن السياسية وعدم الخوض فيها .

فيما يختص بالدراسة ، لم يكن أحمد من المتفوقين . وقد ظل يذهب إلى المدرسة حتى السنة الرابعة المتوسطة . ثم انصرف عن الدراسة فى سن الثامنة عشرة . وفى عام ١٩٦٧ بحث عن وظيفة وعمل فى الشركة الوطنية للنقل . وسرعان ما تركها كما ترك ثمانى شركات أخرى عمل فيها بالتوالى بعد ذلك . ولما كان أحمد من ذوى الثقافة العربية ويتحدث بالفرنسية كما يتحدثها أبناء جيله أصبح فى عام ١٩٨٥ يشغل أحد

(١) مقابلات صحفية فى الجزائر العاصمة بين يناير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٣

(٢) الخروج هو إحدى ممارسات جماعات التبليغ . وهى عبارة عن "خروج" أو تجوال يطول أو يقصر ، يتخلص خلاله المريد من مشاغله المادية ليكرس حياته تمامًا للعقيدة والدعوة لها . وقد تم حل هذا التنظيم صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢

الكوادر فى معهد باستور بالجزائر العاصمة . لكنه ترك هذه الوظيفة التى لم يعد نشاطه السياسى يسمح بشغلها بسبب الضغوط التى تمارس على صاحب المعهد وعمليات القبض التى كان يتعرض لها دائمًا . وبذلك لم يعد أمامه مستقبل فى القطاع العام ، فانصرف إلى التجارة ، وسرعان ما أصبح من كبار تجار المجوهرات فى القصبة ، مما ساعده على إنشاء جمعية لتجار المجوهرات الذين كان عدد منهم يقوم بتمويل الأنشطة الدينية فى الحى ويمولون ، فيما بعد ، الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وقد ترك له عمله الجديد الوقت الكافى للانشغال بالسياسة . وبالتعاون مع نور الدين بولقوب ، (أحد مؤسسى الجبهة فى المستقبل) ، ومنصورى ميليانى ، (أحد المجاهدين القدماء والذى كان يعمل ميكانيكيًا) أسس أحمد ميرنى جمعية سرية باسم " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " وقد اكشفت الجمعية وتم القبض على العديد من أعضائها منهم ميليانى . وبعد إطلاق سراحه انضم ميليانى إلى جماعة مصطفى بويالى . أما أحمد ميرنى فقد سافر إلى مكة والمدينة والتحق بالجامعة الإسلامية التى درس فيها عامًا واحداً . ولدى عودته كان بومدين قد مات ، وبدأ الرئيس شاذلى حكمه بشىء من التريث . وقام أصدقاء ميرنى القدماء بالاتصال به ، لكنه رفض الانضمام للمشروع المسلح الذى كان يعد له بويالى ، وهو يقول فى ذلك : " لا ينبغى أن أظل مكتوف اليدين ، ولكن كان لابد من إعطاء الأولوية للدعوة فالدعوة أجدى وأنفع من الكلاشينكوف " .

وسعيًا وراء الانضمام " لعائلة " سياسية جديدة ، تردد ميرنى على عباس مدنى الذى لقيه فى أحد الاحتفالات فى القصبة عام ١٩٨٠ . وعلى أثر أحداث نوفمبر ١٩٨٢ ، ألقى القبض عليهما معًا . وبعد أن أطلق سراحه بعد تسعة أيام كرس وقته للخطابة ، ومع ذلك فقد تم القبض عليه واحتجز لمدة ثمانية أيام عام ١٩٨٣ لأنه ترجم إلى الفرنسية ووزع بيان نوفمبر ١٩٨٢ المكون من أربع عشرة نقطة ، ثم تم القبض عليه مرة أخرى لمدة أطول عام ١٩٨٤ ثم فى عام ١٩٨٥ بسبب إلقائه " خطبًا ضارة " – حيث تنبأ بأنه بالرغم من عمليات القبض والاحتجاز ، فإن الإسلام سينتصر فى النهاية – وأخيراً قبض عليه واحتجز عام ١٩٨٦ من الأمن العسكرى بتهمة تكوين جمعيات غير قانونية

والاعتداء على أمن الـدولة . في ذلك العـام ، قامت انتفـاضـات في حي القصبـة ، وتأكد لجهاز الأمن أن الأمر لا يخرج عن عمل إحدى المنظمات التخريبية. وخلال فترات الإفراج عنه ، كان أحمد ميرنى يقوم بتحريك الجمعية الخيرية التى كان قد أنشـأها عام ١٩٧٦ .

وبذلك أصبح أحد الوجوه البارزة فى حى القصبة . ومكنته شهرته من التعاون مع التجار وصغار الصناع فى جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها وحقق سمعة طيبة فى مجال عمل الخير .

كذلك مارس أحمد ميرنى عمليات التطبيب والعلاج بالقرآن . وكان يعالج بعض الممسوسين واشتهر بذلك بين العامة . ولما كان ميسور الحال ، فقد كان يفعل ذلك لوجه الله .

على أثر أحداث أكتوبر ١٩٨٨ ، شارك أحمد ميرنى جنبًا إلى جنب مع عباس مدنى فى إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وأصبح المسئول عن لجنة الشئون الاجتماعية فى الحزب الجديد .

فى عام ١٩٩١ ، وبعد أن هاجم عباس مدنى فى التليفزيون ، فصل ميرنى من الحزب . ومنذ ذلك الحين وهو يدلى بالأقوال الصحفية التى يحمل فيها على " الأطفال " الذى استولوا على الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وهو يرى أنه بعد انقلاب يناير ١٩٩٢ ، لا يمكن للجبهة أن تنقذ نفسها إلا بتجديد إدارتها لتصبح فى "أيدى رجال أكفاء شرفاء ، يتمتعون بخبرة سياسية ودينية ، لكى يقدموا صورة مشرفة عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ " .

وأثناء ربيع ١٩٩٢ ، عيّن أخيرًا " مستشارًا للشئون الدينية والاجتماعية والسياسية". فى وزارة سيدى أحمد غوزالى ، وهى المهام التى ظل يمارسها رسميًا حتى عينه رئيس الوزراء ، على أثر اغتيال محمد بوضياف ، سفيرًا للجزائر فى باريس .

«تيوقراطية» ثورية

إن الدور السياسى لمجموع " أنصار التيوقراطية " يحيلنا إلى موضوع المكانة المخصصة للنخبة التقليدية ، وموضوع الدور المتطور لشباب نخبة الفرنكوفون داخل النظام الإنتاجى فى الجزائر المستقلة .

إن عبارة " أنصار التيوقراطية أو التيوقراطيون " تقودنا إلى التساؤل : هل فى الإسلام بطبيعته حكومة إلهية ؟ إن هذه العبارة تطلق عادة على بعض رجال الدين الدنيويين أو العلمانيين الذى يستهدفون احتكار تنظيم شئون الآخرة وكذلك جانبًا من شئون الدنيا .

وبينما " التقنيون " يميزون بين " الوطنية السياسية " التى هى شغلهم الشاغل وبين " الوطنية الأخلاقية " التى هى اختصاص " أنصار الحكومة التيوقراطية " ، الذين يعارضون مثل هذا الفصل ، فهم يرفضون المبدأ المستورد من الغرب والذى يقول بـ " الدولة – الوطن " ويجعلون مكانه " الأمه " حيث المواطن هو مجرد مؤمن ، وحيث الدولة تستمد شرعيتها من خضوعها وطاعتها للتوجيهات الإلهية وقدرتها على ضمان الاحترام لهذه التوجيهات من قبل المجتمع .

ومن هنا ، كان حرصهم على الإشراف على الأنشطة الدنيوية أو بمعنى آخر مراقبة التصرفات الحكومية التى يديرها " التقنيون " . وبذلك يلحون على وجوب قيام الحكام باستشارة علماء الدين . وبصفة عامة ، بينما أنصار الحكومة التيوقراطية يرجعون كل شىء إلى الدين ويتهمون " التقنيين " بأنهم أهل سياسة ، فإن التقنيين يأخذون على الفريق الأول جهلهم بأمور السياسية . ومن ثم يأخذ محمد كرار على الجزأريين أنهم قوم يشعرون بنوع من التفوق المرضى فى حين أن السلفية تهتم بالجوانب الروحية فى الأشياء . وقد زادت حدة الخلاف بين الفريقين بمناسبة انتخابات يونيو ١٩٩٠ . وبذلك وجدت لجنة الإعداد للانتخابات البلدية والإقلمية نفسها أمام فريقين متعارضين . فالأول يريد أن يقصر الترشيح على المناضلين القدامى ، أما الآخر فيريد أن يفتح الباب لترشيح حملة الشهادات من خريجى التعليم العلمى ، الأمر الذى كان يخشاه الهاشمى سحنون لأنه قد " يسمح بتسرب عناصر انتهازية قد لا تعترف بزعامة الجبهة ولا تؤمن ببرنامجها " .

بعد أن كانوا " مسالمين " خلال السنوات التى كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ تشغل فيها الساحة السياسية الدينية بصورة متوازنة ، دأب أنصار الحكومة التيوقراطية بعد ذلك على الاستحواز على خطاب الإسلام السياسى الجزائرى . وقد كان إلغاء إجراءات الانتخابات فى يناير ١٩٩٢ ، بمثابة إضافة شرعية جديدة على استراتيجية مصطفى بوبالى المسلحة . فقد رأى بعض رفاقه عام ١٩٨٩ ، أن عامل القوة ليس فى صالح الإسلاميين ، لذلك فمن الأوفق تنظيم نوع من الجبهة الشعبية تضم جميع الاتجاهات . ومع اقتناعهم بأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعمل على ترسيخ الحركة الإسلامية فى صميم الجسم الاجتماعى تحسبًا لأى مواجهة مع النظام فتتمكن الجبهة من الوصول إلى السلطة عن طريق ثورة شعبية ، كان صدامهم مع " التقنيين " الذين يساومون بقوتهم فى التوسط فى مقابل الحصول على مواقع ذات نفوذ فى قلب الجهاز الحاكم . من هنا جاء رفضهم لمشاركة الحزب فى انتخابات يونيو ١٩٩٠ . وكان حرصهم على تجنب إحداث فتنة فى صفوف الحركة دافعًا على تحفظهم الذى سيظل يلازمهم حتى يناير ١٩٩٢ . وكان عجز الاستراتيجية الدستورية فى التغلب على نظام يخفى تسلطه تحت ستار ديمقراطية هى فى الحقيقة تعمل لصالح أقليه مرتبطة بالحزب الواحد القديم ، هو الحافز لهم على المشاركة فى الكفاح المسلح .

(٣)

" التقنيون " أو النزعة الإسلامية العصرية

كان التقنيون فى الأصل من الخريجين الأوائل فى المدارس الحديثة بعد الاستقلال، وكانوا قد تمكنوا شيئًا فشيئًا من الوصول إلى قمة الإدارة فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لذلك فقد كانوا يزاحمون بطموحهم كلاً من نخبة الدولة وزعماء الحركة الإسلامية الشعبية التى كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ هى المعبر عنهم . ومن ثم فقد كان التقنيون يطالبون فى الوقت نفسه ، بشرعية " تقنية " وبشرعية دينية ، كما أنهم يعبرون عن مطالب فريق من الطبقات المتوسطة المهمشة .

يرجع دخول التقنيين المجال السياسى إلى عام ١٩٧٠ ، حينما كان النظام يمارس رقابة صارمة ومحكمة على الجامعات. وأمام اضطرارهم إلى العمل فى السر ، عرضوا أنفسهم للإشاعات التى كان يروجها عنهم النظام وأولياؤه فى الجامعات من أجل نشر الفرقة بين صفوفهم ، ذلك النظام الذى كان يريد التخلص من خصومة السياسيين باتهامهم بأنهم " عملاء مأجورن " وبنشر إشاعات تنال من سمعتهم عند العامة ... والحقيقة أن هذا العمل صفة مشتركة عند جميع السياسيين الجزائريين دون استثناء .

وبصرف النظر عن تكوينهم الدنيوى ، فإن هؤلاء المناضلين حصلوا على معظم زادهم من العلوم الدينية من كثرة ترددهم على المساجد الجامعية . غير أن تخصصهم فى فروع العلوم البحتة والتجريبية هو السبب فى ضحالة معلوماتهم المتصلة بالحركة الفكرية. وكانوا بصفتهم المتحدث بلسان جيل من المقهورين لم يقدم له الحزب الواحد سوى حب التآمر ، لذلك فقد كان ما لديهم من معلومات عن بقية العالم لا يعدو معلومات ريفية ساذجة .

وجدير بالذكر أن " التقنيين " ، من خلال معركتهم ضد " الشيوعيين " من أعضاء جبهة التحرير الوطني أو المدافعين عن قضية البربر ، يواصلون نضالهم الذى بدأ منذ عصر الاحتلال الفرنسي على أيدى أسلافهم من الإصلاحيين الجدد ، وهم يرددون خطابهم المتشدد . ومن الطبيعى أن الجامعات هى الساحات التى تقع فيها المصادمات بين " الشيوعيين " نذُر الثورة الزراعية فى المستقبل - والإسلاميين أبطال عملية التعريب والمتصدين لكل مظاهر التسيب الاجتماعى وفساد العادات والتقاليد ، تلك المظاهر التى يشجع عليها الفريق الأول .

أمين ، أو استعادة الهوية

ينتمى أمين إلى شباب المناضلين الإسلاميين الذين تحلقوا فى السبعينيات حول مالك بن نبى ، وهو خريج المدارس الفرنسية لكنه ثنائى اللغة بكفاءة عالية ، فهو على النقيض من معظم أفراد الجيل التالى، فتمكن من الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية. كان لفترة من الزمن قريبًا من اتجاه الجزأريين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . لكنه ابتعد عنهم ورفض أن يرشح نفسه فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩١ تحت لواء الحزب . ومن ناحية أخرى فإن معتقداته الأيديولوجية لم تكن أقل قوة فقد كان اتجاهه السياسى هو إقامة الدولة الإسلامية .

أما والداه ، فقد كانا من القبائل واستقرا فى العاصمة فى العشرينيات . كان جده لأبيه يجمع بين الحضر والريف ، حيث كان يتنقل بين ستيف والعاصمة سعيًا وراء تجارته ، واستقر فى العاصمة نهائيا عام ١٩٢١ . حينما كان ابنه ، وهو والد أمين ، فى الثانية عشرة من عمره . أما جده لأمه ، فكان يعمل فى صناعة الحلويات فى القبائل ، ثم هاجر إلى قسطنطينة ، وذلك قبل أن يستقر نهائيًا فى العاصمة .

كانت أصول أمين القبائلية تشعره دائمًا بأنه "معوَّق" ففى البيت كانوا يتكلمون اللهجة التامزية . أما أمين فقد كان يتحدث اللهجة العربية الجزائرية . وكان يشعر بشىء من الخجل إذا ذكّره أحد بأصله ويقول فى ذلك : " حينما كنا صغاراً ، كنا معقدين . لأن القبائلى كان لا ينظر إليه نظرة ارتياح فى العاصمة . وأعتقد أن ذلك

كان بسبب "جمعية العلماء" . لأنها جمعية لم يكن فيها سوى العرب . مع أنه كان من بينهم شيخ جليل – مات في تركيا – وكان من المنطقة التي كانت منها أمي ، هو الشيخ فضيل القارتيلاني "[1] .

في سن الرابعة والنصف أرسله أبوه لدراسة القرآن في مدرسه تحفيظ القرآن في سانتوجين حيث كان يقوم بالتدريس الشيخ سحنون .

ولقد ظلت صورة القبض على الشيخ بواسطة القوات الفرنسية محفورة في ذاكرة الطفل. ظل يدرس في هذه المدرسة ثلاث سنوات ، لكنه استمر بعد ذلك يتردد على المدرسة وانتظم حتى عام ١٩٦٣ في تلاوة القرآن ، وكان يؤم الناس في الصلاة. وكان أمين يفاخر بأنه يحفظ عن ظهر قلب معظم القرآن على النقيض من غالبية المناضلين الحاليين في " الجبهة الإسلامية للإنقاذ " .

وكانت أسرة أمين محافظة على العبادات الإسلامية أبًا عن جد . وقد علمه أبوه حب الدين وكذلك فعل مع إخوته الثلاثة : " كان أبي متدينًا ، ولكنه كان معتدلاً ، لم يكن متعصبًا . كان يمارس إسلام العلماء . كنا نسميهم السلفيين . وقد ناضلوا كثيراً ضد الدراويش وضد الخرافات . كذلك فقد قدموا للثورة الجزائرية فرعها المقدس . كانوا مواكبين للعصر وكان أبي يرتدي البذلة ويوم الأحد كان يرتدي رباط العنق . وكان يذهب إلى المسجد بالبذلة " .

وانتقل الارتباط بالحركة الإصلاحية من جيل إلى جيل . كذلك فإن أمين ينتقد الهجوم على جمعية العلماء منذ الاستقلال : " الناس من جيلي ، يلومون على هؤلاء القوم أنهم لم يتبعوا الثورة منذ اندلاعها . لقد انتظروا سنتين . مما جعل الناس يتساءلون " .

ومع تقديره لعلماء الدين واعترافه بغزارة علمهم الذي لا ينافسهم فيه أحد ، يرى أمين أن بن باديس ورفاقه ليسوا مبرئين من النقد ، وذلك بسبب عجزهم عن استيعاب أمور السياسة . وفي رأيه أن هذه هي حال غالبية علماء الدين ، وهو يوجه هذا النقد إلى المؤسسين التاريخيين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، باستثناء عباس مدني .

(١) لقاء في الجزائر العاصمة وفرنسا بين يناير ١٩٩٢ ونوفمبر ١٩٩٤

التحق أمين بالمدرسة الأهلية التى كانت تديرها جمعية علماء الدين فى نحو السابعة عشرة من عمره ، وتعلم التاريخ والجغرافيا والنحو والشعر . ويتحدث أمين عن الفرنسيين الذين كانوا يتابعون " دراسة أبناء العرب عن قرب بواسطة الجزويت" كما يتحدث عن الراهبات الفرنسيات اللاتى كن يزرن الأسر العربية فى البيوت ويقدمن المساعدات. ومع استمراره فى حفظ القرآن الذى حفظ منه ثلاثين سورة عن ظهر قلب ، كان أمين متفوقًا فى دراسته ، إذ كان من بين الخمسة الأوائل فى فرقته.

وكان والد أمين يتمتع ببعض الامتيازات ويتقاضى معاشًا بوصفه من المصابين فى الحرب العالمية الثانية ، وكافأه الفرنسيون نظير خدماته ، فأعطوه بيتًا له حديقة، باعه وفتح محلاً للبقالة . ولم يحاول أن يفعل كغيرة الذين كانوا يتاجرون فى السلع النادرة ، بل كان يوزع الدقيق والسكر والجاز على المعوزين فى باب الواد ، مما أكسبه احترام الجميع وبخاصة مناضلى جبهة التحرير الوطنى التى كان عضوا فيها . وفى عام ١٩٦١ تم القبض على الرجل الذى أودع السجن ولم يطلق سراحه إلا فى العام التالى . وتحت وطأة سرطان الرئة ، مات والد أمين فى عام ١٩٧١ .

وبالرغم من تأخر أمين فى دراسته عامين ، إلا أنه تابعها حتى الباكالوريا كما التحق بالمدرسة الفرنسية . ومع انتظامه فى الصلاة ، كان يتردد على المراقص ويستمع فى بيته لإسطوانات الأغانى الفرنسية التى كاد يهديها له مدرسوه الفرنسيون. وهكذا جمع أمين بين الثقافتين .

ولكن أمين كان يحزن من مشهد أبناء أعضاء جبهة التحرير الوطنى الذين كانوا ينطلقون فى سياراتهم الفارهة يقودها سائقون خصوصيون ، مما استجلب عليهم حقد زملائهم فى الأحياء الفقيرة . وسرعان ما تكون رد الفعل عن أمين : "على الفور ، كونت جماعة لمقاومتهم . كنت أجد ذلك ظلمًا أثناء الحرب ، كانوا يقولون لنا إن الفرنسيين يستغلون الجزائريين ، وأنهم يعيشون فى مستوى معيشة أرقى من الجزائريين ... وها نحن نجد أنفسنا وسط جزائريين يعيشون فى مستوى معيشة أرقى بكثير من الفرنسيين . الفرنسيون لا يأتون جميعًا فى سيارات إلى المدارس . ونحن ظللنا فى الحى الذى ولدنا فيه . أما رؤساء جبهة التحرير الوطنى ، فحينما جاءوا ، استولوا على جميع فيلات

الفرنسيين وسكنوا فى الأحياء الرئاسية التى كانت للفرنسيين . وكنت أقول لأصدقائى : " هذا ليس عدلا . الفرنسيون رحلوا وهم حلوا محلهم . والآن هم أسوأ . وكانوا يرفضون مناقشتنا ونحن كنا نذهب إلى المدرسة فى ثياب مرقعة . كنا فقراء فشرعت فى تكوين جماعات ، وكان مدرس اللغة الفرنسية يشجعنا . كان خوريا . وقد ساعدنا فى الحصول على مصلى حينما كنا فى الفرقة الخامسة " .

كان المصلى بالنسبة لهؤلاء المراهقين الوعاء الذى كانت تصب فيه خيبات آمالهم فى الاستقلال ، وفيه يعبرون عن مواقف فى الفصل من الحدة والعنف بحيث راحت تظهر فى المجتمع الذى دمره الاحتلال ثم الحرب . " كنا كثيرين . كان من بيننا من لا يصلون ، ولكنهم كانوا يطلبون المصلى لكى ينتقموا من البرجوازيين الجزائريين الجدد " .

وأصبح المصلى بالنسبة لأمين هو الاستقلال الحقيقى . وكان ذلك ممنوعًا فى الماضى . " لقد رأيت فى المصلى حرية الإسلام " .

بالنسبة له " الإسلام هو دين العدل ، دين الجهاد . دين الشجاعة ، والكرامة ، سواء للفقير أو للغنى ، يكفى أن يكون المرء كريم النفس " . وحينما كان يرى والديه يواجهان المصاعب مع محافظتهم على عقيدتهم قوية لا تتزعزع ، كان يزداد قناعة بأن الإسلام وحده يمكن أن يساعده فى التكيف مع ظروف الاستقلال الجديدة .

وباحتكاكه بزملاء من مدرسة بن أكنون ، أدرك وهو فى الثانية عشرة من عمره، ضرورة مكافحة " قوم أثروا ظلمًا وعدوانًا ، ويمنعون غيرهم من الاقتراب من مستواهم " .

وأثناء سنوات النضج ، كان راشد بن عيسى ، وهو مدرس فى مدرسة بن أكنون، يبث فى الشباب البغض والكراهية " للشيوعيين " وكان هذا المدرس من تلامذة مالك بن نبى ويتبع أسلوبه فى التدريس . وكان أمين من أشد المعجبين بمالك بن نبى الذى تأثر به كثيراً . وكان مما أخذه عنه أنه ينبغى علينا أن " نقبل الحداثة مع المحافظة على إسلامنا الصحيح " كان أمين يؤمن بتطبيق الشريعة وإقامة دول إسلامية . ومع ذلك فقد كان يجد صعوبة فى تحديد موقفه من التيارات المتصارعة حوله .

فالشيوعية صارت بغيضة إلى نفوس الشباب ، وكذلك الرأسمالية لم يجدوا فيها حلاً لمشاكلهم . وثمة فريق ثالث منا يقول " الطريق الثالث ، هو طريق الإسلام. كان بن نبى يقول له : ليس تماماً . الإسلام وحده ليس طريقًا ثالثًا . الإسلام لا يمكن أن يكون طريقا . الطريق ينبغى أن يرسمها الرجال الذين يستلهمون من الإسلام " .

كانت تلك السنوات بالنسبة لأمين هى السنوات التى كوّن فيها صداقاته الأولى والتى سوف تستمر معه فى مستقبل أيامه . فعن طريق راشد بن عيسى ، الذى كان يتنقل بين المدارس الثانوية بلا كلل ولا ملل يلقى " الموعظة " وينشر " الكلمة الطيبة" ، التقى أمين بالأشخاص الذين أصبحوا بالنسبة له أصدقاء إلى الأبد . من بينهم مجموعة صغيرة من تلمسان التى أنهى فيها بن عيسى نفسه دراسته .

وفى ١٩٦٦ ، أخرج والد أمين ابنه من المدرسة الفرنسية الإسلامية لإيمانه بالتعليم التقنى . وكان يردد على مسامع أمين أن " المستقبل هو فى التقنية . يجب أن تكون مثل الفرنسيين ، لأن الذى ينقصنا نحن ، هو التقنية " . وألحق أمين بالمدرسة الثانوية التقنية فى العاصمة . " لم يكن يقول التقنية وإنما كان يقول (حديد) فى إحدى سور القرآن يذكر أنه ينبغى على الإنسان أن يتمكن من تطويع الحديد . كثير من الإسلاميين يظنون أن المقصود هو التحكم فى السيف . كلا ، ينبغى إتقان صناعة الحديد وصهر المعادن وتطويعها ..."[1] .

هذه الإشارة تمثل بداية رحلة جديدة فى النضج السياسى عند أمين " هناك ، اكتشفت جزائريين آخرين . أبناء أرستقراطيين وجههم آباؤهم نحو التقنية . قالوا فى أنفسهم إن المستقبل فى الصناعة وأن الجزائر فى طريقها نحو اقتصاد السوق . لقد خاب ظنهم . نحن نسميهم " الخوافين " . كانوا على درجة عالية من الرفاهية والرقة بحيث لا يجرؤون على إتيان أى حركة فى غير مكانها ، أو رفع الصوت ، أو لعب كرة القدم ، أو التدافع لركوب الحافلة " .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٢٥ من سورة الحديد [... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ...] .

وقرر أمين أن يهتم بأمرهم . فأخذ على عاتقه تكوين فرق لكرة القدم وتنظيم مباريات بين المدارس ثم بين الأحياء . ومن بين هؤلاء الزملاء من أصبحوا زعماء الجزأريين فى المستقبل . وبدلاً من استعمال القسوة لحضهم على إقامة الصلاة ، كان أمين يشجعهم بكل رفق . " حينما كان يحين موعد الصلاة ، كنت أوقف النشاط وأطلب منهم الانتظار خمس دقائق لأداء الصلاة ثم أعود إليهم . حينئذ بدأوا يصلون مثلى . كنا نصلى فى الهواء الطلق . فى ذلك الوقت ، كان الإستاد مغطّى بالحشائش. بعد ذلك جاء أتباع جبهة التحرير الوطنى وأكلوا كل شىء " .

وحينئذ بدأت السلطات فى الاهتمام بهؤلاء " المشاغبين " . وتعرضوا مراراً للقبض عليهم ولبعض الاضطهادات التى لعبت دوراً رئيسياً فى تكوينهم السياسى .

فى عام ١٩٦٩ ، التحق أمين بالكلية المركزية فى الجزائر العاصمة بقسم الرياضيات العامة والفيزياء . ولمساعدة أبيه فى أعباء الأسرة ، كان يساعد بن عيسى فى تحضير ندوات الفكر الإسلامى .

كان أمين حريصاً كل الحرص على الالتزام بمبادئ " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ناذراً جميع نشاطاته للدفاع عن الدين الإسلامى وحدة . وكان فى سنوات الدراسة الجماعية تلك لا يعد نفسه مكوناً تكويناً سياسياً . حدث ذلك فى فرنسا ، حينما سافر إليها عام ١٩٧٢ لدراسة الهندسة الإلكترونية . فهناك تحقق له النضج السياسى . وحينما عاد إلى الجزائر لأداء الخدمة العسكرية ، تم القبض عليه فى المطار واقتيد إلى سجن بليدا بعد أن سلبوه جهاز تسجيل غالى الثمن .

وما أن أطلق سراحه ، حتى عاد إلى فرنسا لكى يكمل دراسته ، ولم يعد إلى الجزائر نهائياً إلا فى عام ١٩٨٠ . وعاد أمين من أوروبا بعلم غزير عن المجتمع الفرنسى . كانت التكنولوجيا الغربية تبهره ، غير أنه كان ينفر من " الحريات فى العادات والتقاليد " . لذلك قرر أن يكرس كل وقته للدراسة مع الاستمساك الشديد بالتعاليم الإسلامية . وحصل على وظيفة فى وزارة الزراعة وأصبح رئيساً لمشروع المصانع الغذائية وصار وقته موزعاً بين التنقلات فى أقاليم الجزائر وبين المهمات التى كان يسافر فيها إلى السويد ، لذلك لم يبق لديه وقت للسياسة . ومع ذلك فقد كان

زمـلاؤه القدامى فى الكلية المركزية فى العـاصـمـة يدعونـه لمشـاركـتـهم فى أنـشطـتـهم السياسية . وكان أمين قد تزوج منذ فترة قصيرة .

" لذلك فقد أخبرتهم بأننى على استعداد لمشاركتكم كما أنا . لا ينبغى أن تطلبوا منى أن أطلق لحيتى . لأنهم كانوا قد بدأو يطالبوننى بأن أطلقـهـا ... كذلك بالنسـبة لزوجتى لم تكن ترتدى الحجاب ولكنها كانت ترتدى زيًا مناسبًا . فطلبوا منى أن أطلقها ، فرفضت وقلت : هؤلاء مجانين . يعيشون فى العصور الوسطى . يهتمون بالمظهر لا بالمخبر . وقد تأكد لى ذلك حينما سقطت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الفخ " .

ومع ذلك فقد قرر أمين أن يشـارك فى المسيرة التى نظمـهـا أصـدقـاؤه فى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٨٢ ، لكنه بعد ذلك ، ابتعد عن الحياة السياسية مع استمراره فى التردد على اجتمـاعـات أصدقـائه القدامى . وبدأ أمين يعرف مسـاوئ الوظيفـة حينما بدأت فرص الترقى إلى الوظائف العليا . فقد تعرض لسخافات الشرطة بسبب تردده على ندوات مالك بن نبى . كما أن بعضهم تطوع بإبلاغ الشرطة عن أنشطته النضـالية داخل الحركة الإسلامية حينمـا كان يدرس فى الكلية المركـزية بالجزائر العـاصـمـة . وشعر أمين أنه قد استبعد وأحس بمرارة حقيقية، هو الذى كان يسكن الشقق الفاخرة، يسكن الآن مع أبنائه الثلاثة وزوجته شقه ضيقة . هو الذى كان فى المـاضى يقيم فى فرنسـا مرة فى السنة على الأقل ، لم يعد الآن قـادرًا على تكاليف الرحلة . وتضـافرت الأزمة الاقتصادية مع عدم الترقية لتحويل الشـاب الطموح المـلىء بالآمال إلى إنسـان يائس . صحيح أنه يشعر أنه أفضل بكثير بالمقارنة بالأسر التى يتكدس أفرادها الذين يزيدون على العشرة فى بضعة أمتار مربعة . كل ذلك لم يمنعــه فى التفكـير فى أنه لو عمل فى زمن آخر ، مع رؤسـاء آخرين أقل فسـادًا وأكثر اهتمـامًا بالكفاءات ، فإنه سيلقى التقدير الذى يتناسب مع مواهبه وخبراته . ولمـا استبد به الملل ، وبتشـجيع من بعض الزمـلاء والأصدقاء ، ترك أمين فى عام ١٩٩٣ الإدارة التى لم تقدم له شيئًا ، وذلك لكى يدخل فى مشروع خاص .

وفى أثناء تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان أمين قد فقد الدفعة النضـالية ورفض دعوة زملائه له بترشيح نفسه فى الانتخابات باسم الحزب . وفضلاً عن ذلك فقد

انشغل بتربية أولاده ، وكان يدرك الأخطار التى تتربص بالحركة الإسلامية لتقضى عليها إن لم تتنبه لها الحركة . منذ ذلك الوقت اقتصر على دور المراقب الذكى للنظام السياسى الجزائرى . وكان حذره يمنعه من إعلان رأيه على الملأ، اللهم إلا انتقاد المتشبثين " بالكرسى " أى السلطة . وكذلك السخرية من أصدقائه الذين انضموا إلى الجماعة السلفية حينما احتجزهم قسم الشرطة التابع للحى بسبب قيامهم ببعض الأنشطة السرية .

كان أمين يبغض العنف ويشعر ، على شاكلة الغالبية العظمى من المواطنين ، أنه تعب وسئم من حرب بين الأشقاء لا تستطيع أن تعلن عن اسمها . ومع ذلك فقد كان يأمل فى إقامة دولة إسلامية ، دون أن يعرف بالضبط ما يعنيه بذلك ، على الأقل نظاماً أكثر عدلاً .

رباح كبير

على شاكلة أمين ، كانت دروس رباح كبير الأولى فى السياسة ، حينما تعرض لمكافحة نفوذ مناضلى اليسار فى الحرم الجماعى . كان والد رباح كبير من قدامى المجاهدين ، وتوفى فى عام ١٩٨٧ بعد أن خدم فى صفوف جبهة التحرير الوطنى حتى رتبه أمباشى . وكان الأب والأم ينتميان إلى قبيلة فى أنحاء " كولو " تعرف باسم أولاد حميدش . ولد رباح كبير فى هذه القبيلة عام ١٩٥٦ . وكان فخوراً بأصله الذى يرجع إلى أحد فروع الأشراف فى الأماكن المقدسة بمكة . واستقر فى الجزائر منذ سبعة أجيال .

كان والد رباح يشعر بقربه من جبهة التحرير الوطنى حتى وصول الرئيس بومدين . بعد ذلك (طبقًا لذكريات رباح) أدرك أن ثمة " انحرافًا عن الإسلام الذى كان يؤمن به ولم يكن ممثًلا فى السلطة "(١) فى أسرة رباح التى يصفها بأنها "تقليدية وإسلامية" لم تكن التقوى كلمة تلقى على علاتها بلا معنى . فقد كان جده ، الذى توفى ورباح فى

(١) لقاءات فى الجزائر العاصمة فى يناير ١٩٩٢ ، ثم فى ألمانيا فى مارس ١٩٩٣

الثانية عشرة من عمره ، يدعو علماء الدين بصورة منتظمة وكذلك أئمة المساجد ليشاركوه الطعام فى بيته . ويذكر رباح الشيخ مرزوق عضو جمعية العلماء وإمام المسجد الذى تعلم فيه مبادئ الإسلام . ثم أكملها بالتردد على الكتّاب حيث درس القرآن أسوة بملايين الأطفال فى سنّه .

بعد الدراسة الابتدائية فى أولاد حميدش ، التحق رباح بثانوية عنابه ، وهى مدينة كان يقيم فيها بعض أفراد أسرته . كان طالبًا مرموقًا . وقد تلقى تهانى وزير التعليم بنفسه حسب النظام الذى كان يقضى بمكافأة المتفوقين كل عام .

وخلال دراسته الثانوية ، تشكل رباح تشكيلاً سياسيًا لم يفارقه مدى الحياة : " قبل دخول الجامعة بعام ، كان كل ما يجرى فى الجامعة يصلنا عن طريق الإذاعة . أما أنا ، فقد كنت أؤيد الإسلاميين الذين كنت أقرب إليهم من " الكفار " . كانت تربيتى تحظر على أن أنحاز للملحدين أو أنْ أوَاليهم . وكنا مشغولين بما يحدث فى الجامعة لأننا سوف نلتحق بها " .

وإذا كان رباح يجيد اللغة الفرنسية ، فقد كان قبل كل شىء عربى اللغة والثقافة (عربفون). وعلى النقيض من المناضلين البربر الذين ، يصفهم رباح بأنهم مخطئون إذ لا ينظرون إلى اللغة إلا من خلال بعدها الثقافى ، كان رباح يخلع على اللغة العربية بعداً مقدسًا يمنعه من التساهل فى أى أمر يتعلق باللغة . فلنقلها بكل صراحة: العربية هى اللغة الوطنية الرسمية وأى شخص لا يتقنها ، يضع نفسه خارج الجماعة والملة .

ولكى يدافع طلاب الجامعة الإسلاميون عن مسجد الجماعة الذى افتتح عام ١٩٧٢ ضد اعتداءات " الشيوعيين " ، كانوا ينسقون فيما بينهم دوريات للحراسة ، كان رباح يشارك فيها عن طيب خاطر ، وبعد عدة أشهر ، أثبت خلالها حماسته النضالية ، بدأ رباح يلقى بعض الدروس فى هذا المسجد ثم فى مسجد " كولو " حيث كان ينظم المحاضرات للشباب خلال العطلة الصيفية . وقد أكسبه هذا النشاط تقدير واحترام رفاقه .

حصل رباح كبير على الليسانس عام ١٩٧٩ ، وأراد أن يواصل الدراسة . ولكن بسبب بعض التشريعات الخاصة من جراء النقص فى معلمى المرحلة الثانوية ، كان عليه أن يقضى خمس سنوات فى تدريس مادة الفيزياء فى ثانوية " كولو " .

ولم يكن يستطيع أن يواصل دراسته إلا بعد قضاء هذه السنوات الخمس فى التدريس . لذلك ، قام رباح وزملاؤه فى الكلية بإضراب احتجاجًا على هذا الوضع ، ولكن دون جدوى. وبعد هذه السنوات الخمس من العمل فى التدريس ، كان رباح قد أصبح رب أسرة ومشغولاً بالتزاماته الجديدة الخاصة بالنضال ، لذلك فقد أعرض عن مواصلة دراسته . وظل يقوم بالتدريس فى ثانوية " كولو " حتى عام ١٩٩١ ، حيث تم استدعاؤه لشغل أحد المناصب العليا فى إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

ومع الشعور " بخطر الشيوعية " ، قرر رباح وأصدقاؤه فى نهاية ١٩٨٠ تكوين منظمة واختاروا عبد الله جاب الله زعيمًا للحركة .

وفى عام ١٩٨٩ ، ترك رباح كبير المنظمة الإسلامية التى يرأسها عبد الله جاب الله ليشغل منصب نائب المكتب التنفيذى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى ولاية سكيكدا .

كان رباح ينتمى إلى الاتجاه الذى يؤيد عباس مدنى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى مؤتمر باتنه عام ١٩٩١ عين مسئولاً عن لجنة العلاقات الخارجية ، وبدأ يكتسب ثقلاً وطنيًا . وخلال فترة سجن حاشانى الأولى (سبتمبر - أكتوبر ١٩٩١) عين رباح متحدثًا ومسئولاً عن العلاقات الصحافية بالحزب . وتعاون مع حاشانى فى إقناع الحزب بقبول المشاركة فى الانتخابات التشريعية التى كان من المقرر إجراؤها فى نهاية شهر ديسمبر .

وخلال الحملة الانتخابية فى ديسمبر ١٩٩١ ضاعف رباح من مجهوداته ، وأصبح معروفًا عند جماهير الإسلاميين . وقد تعاون مع حاشانى فى السيطرة على الأزمة التى فجرها الانقلاب داخل الحزب . وفى الثانى والعشرين من يناير ١٩٩٢ ، وعلى أثر نشر بيان يدعو الجيش للدفاع عن " المشروع الإسلامى " أودع عبد القادر حاشانى السجن مرة أخرى . وكان من الطبيعى أن يرأس رباح كبير الحزب ويصبح المتحدث بلسانه . ومع ذلك فإن فترة زعامته لم تدم طويلاً فقد تم القبض عليه فى مطلع شهر يناير التالى . وحددت إقامته فى مدينة " كولو " ولكنه تمكن من الهرب فى سبتمبر عام ١٩٩٢ ، ولجأ إلى ألمانيا حيث أصبح ، بتأييد الشيوخ المودعين السجون ، المتحدث بلسان اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج ، ثم المسئول عنها .

عبد الكريم ، أو الدخول فى السياسة

كان عبد الكريم أصغر أعضاء المكتب السياسى فى الحزب . وكان قد تخرج فى صفوف الجزأرة التى خالط أعضاءها فى الجامعة ، ومع ذلك فقد كان من أنصار عباس مدنى وأعوانه مثل عبد القادر حاشانى ورباح كبير .

كانت عائلة عبد الكريم ، التى يعتقد أنها من أصل تركى ، تعيش فى تشرشل ، حيث كان مولده عام ١٩٦١ . وبعد الاستقلال كان والده يملك مصنعًا للطوب يعمل فيه حوالى اثنى عشر عامًا ، وذلك حتى عام ١٩٧١ حينما استولى محافظ المدينة على المصنع بالقوة . وباءت محاولات وشكاوى الأب بالفشل . وفى النهاية اقتنع أنه لن يستطيع شيئًا ضد " قانون الأقوى " وانتقل إلى العمل فى نقل مواد البناء . لذلك ، فعوضًا عن مساعدته الشكلية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان يشارك ابنه " آماله " السياسية .

وقد ظل الأب حتى سن المعاش ، وبالرغم من الأضرار التى لحقت به بسبب الاستيلاء على مصنعه ، يكسب قوته وقوت أولاده بالطريق القويم . ويحتفظ عبد الكريم بذكريات طفولة ميسورة الحال فى الشقة المكونة من خمسة غرف التى كانت تسكنها العائلة فى تشرشل . وقد مات للأب طفلان من بين الأبناء التسعة الذين أنجبهم ، وقد أنهى الجميع ، وهم خمس بنات وولدان ، دراستهم . فالبنت الكبرى حصلت على دبلوم السكرتارية ، لكنها لم تعمل بعد زواجها وهى فى السادسة عشرة من عمرها ، من أحد قدامى اللاجئين فى الأحراش . أما الثانية ، فقد حصلت على الليسانس فى اللغة الإنجليزية وعملت بالتدريس فى الجزائر مدة خمس عشرة سنة ، وذلك قبل أن تنتقل إلى أوروبا لتقيم هناك . وأما الولد الأول ، فقد التحق بالعاصمة وهو الآن مدير الإدارة المركزية فى المجلس الأعلى للإعلان . وهو يميل لجبهة القوى الوطنية ويعارض الجبهة الإسلامية للإنقاذ . أما الابنة الثالثة فقد درست العلوم السياسية وهى تعمل الآن فى محافظة تيباسا . وهى كشقيقها الأكبر ، لا تشارك أخاها الأصغر آراءه السياسية . وأما الرابعة، فبعد البكالوريا ، حصلت على شهادة تؤهلها للتعليم بالمدارس المتوسطة . وعبد الكريم هو الابن السادس . وأخته الصغرى تعمل مترجمة فى وكالة الخدمة الصحفية .

والحقيقة أن آراء عبد الكريم السياسية تعد غريبة فى الأسرة . " فهناك من ينتمى إلى جبهة التحرير الوطنى ، ومن ينتمى إلى جبهة القوى الوطنية . لذلك فنحن ضد رقابة المواليد . فجميع إخوتى وأخواتى يخالفوننى . فهم ضد الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أما أمى ، وهى بين بين ، فتحاول أن تصلح بين الجميع . ونحن نتجنب المناقشة فى السياسة حتى لا نتشاجر . ولكن بصفة عامة ، هناك ستة فى العائلة ضدى "(١) .

حصل عبد الكريم على بكالوريا القسم العلمى من مدرسة تشرشل عام ١٩٨٠ والتحق بمدرسة المعلمين العليا وتخرج منها عام ١٩٨٥ . وعمل فى التدريس من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٨٧ . ثم دخل الجيش حيث أدى فيه خدمة مدنية وانتقل إلى إحدى المدارس فى الجنوب ودرس فيها الفيزياء والكيمياء . وبعد أن أنهى الخدمة العسكرية عام ١٩٨٩ ، عاد إلى ثانوية تشرشل حيث يصل راتبه الشهرى إلى ستة آلاف دينار . وحينما طلب إجازة ليتفرغ بالكامل لمسئولياته السياسية الجديدة ، كان معنى ذلك رفض طلبه واضطراره لأن يقدم استقالته .

لم يتلق أى تعليم دينى خاص . وأما تكوينه السياسى فيدين به لسنوات الدراسة بالجامعة. وباحتكاكه ببعض المناضلين من ذوى الخبرة اكتسب الضمير السياسى ، وفى ذلك يقول : " منذ عام ١٩٧٨ ، شعرت بالندم على سنوات مراهقتى . إننى أنتمى إلى طائفة من الناس لم يفارقوا الإسلام يوماً من الأيام . كنت أؤدى الصلاة منذ نعومة أظفارى . وكنت أحاول فعل الخير . ولكن عندما وصلت إلى المدرسة الثانوية . كانت لى علاقات جديدة . كان ثمة جو آخر . قبل ذلك لم أقترف فاحشة على الإطلاق . بل لم أدخن سيجارة ولم أشرب قطرة خمر . ولكن كانت هناك موجة الغرب . كنا نخرج وكنا نحاول إزجاء أوقات الفراغ فى أنشطة ... لم يكن ذلك الطريق القويم حقًا . كان ينبغى علينا أن نهتم بشىء أفضل ، أن نعتنى بسلوكياتنا ، وأن ندعو لعمل الخير . أن نقوى من صلتنا بالله " .

ولكن الحدث الأكبر فى عملية النضج السياسى عند عبد الكريم وقع عام ١٩٧٨ ، بمناسبة إقامته فى مدينة بالما بأسبانيا . كانت الجزيرة آيه من آيات الجمال ،

(١) لقاءات فى الجزائر ، ثم أوربا بين يناير ١٩٩٢ وأبريل ١٩٩٥

"المتعة" فيها ترقى إلى مصاف القيم السامية . لذلك فقد تعرض هناك لغوايات لم يستطيع أن ينجو منها إلا بنوع من العودة الإيمانية والتوبة النصوح التى بعثته من جديد .

على أثر عودته للجزائر ، عكف عبد الكريم على إقامة الصلاة بنفس الحرارة التى انصرف عنها أيام إقامته فى أسبانيا حيث لم يكن يؤدى هذه الفروض إلا ليلاً بعد عودته من "جولاته الليلية" . وقد عكف عبد الكريم على دراسة قواعد الدين الإسلامى . وكانت اجتماعاته برفاقه تتم فى حجرات الطلبة فى الحرم الجامعى ، وتجرى فى جو من التقوى والورع الدينى . وخلال صيف ١٩٨١ . حضر عبد الكريم الندوات التى كان يعقدها محمد بوجلخه وهو أستاذ رياضيات فى جامعة باب الزوار . " كان هؤلاء الزعماء يحاولون إعداد مشروع ، وإعداد رجال لهذا المشروع ، معتمدين أساسًا على الجامعات . كانوا لا يريدون أن يكونوا نسخة من الإخوان المسلمين . كانوا لا يريدون أن يخضعوا لقيادة مصر . لقد جاهدوا من أجل تكوين طلبة فى الجامعات لإعداد جيل من النخبة تتسلم الشعلة من جمعية العلماء ، وكانوا يستلهمون مبادئها كثيراً . وكان غالبيتهم قريبين من مالك بن نبى . وكانوا يرون أن بن نبى هو المفكر الذى حاول أكثر من غيره أن يطبع الحياة العصرية بمبادئ الإسلام : الحفاظ على كنوز القرآن مع نظرة جديدة على العالم ، على التغير ... " .

كانت أحداث الكلية المركزية فى العاصمة هى ميلاد دعوة جديدة : النشاط السياسى : " كان عام ١٩٨٢ نقطة التحول . كان ذلك بالنسبة لنا بمثابة الدروس . فإذا كان القادة على علاقة طيبة بالجماهير فقد أهملوا النخبة ولم يهتموا بأمرها . لذلك فقد قررنا أن نصحح أخطاء الماضى : كان علينا الآن أن نحمّل الجميع مسئولية المشروع الإسلامى ليلتفوا جميعًا حوله . لا ينبغى مجاملة هذه الطائفة أو تلك ، وإنما يجب تخصيص المهام تبعًا للكفاءات والقدرات " .

لذلك ، فمنذ الثمانينيات ، كرس عبد الكريم حياته للنشاط الخطابى فى المساجد الجامعية مع التركيز على مسجد مدينة " تشرشل " . وقد حقق له ذلك زيارة قام بها عباس مدنى له خلال جولته الانتخابية فى أنحاء البلاد . ومع ذلك ، ففى عام ١٩٨٩ ،

كان عبد الكريم يبدى تحفظه بشأن جدوى تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وبخصوص القادة الذين لم يكن يعرفهم . وفوق ذلك ، فإن الجزأرة التى كان ينتمى إليها فى ذلك الوقت كانت تحظر عليه الانضمام إلى الحزب الإسلامى . غير أن عبد الكريم اقتنع فى النهاية بحديث عباس مدنى الذى لم تكن تعوزه الحجة البليغة : "حينما تكلمت مع عباس مدنى ، أدركت ضرورة تكوين حزب إسلامى وضرورة أن يكسب الإسلاميون أرضاً مع الالتزام بالحيطة والحذر . ولكننى كنت أقول فى نفسى إن هذه المبادرة لا ينبغى أن تضعف الحركة . إذن ينبغى على الأشخاص الذين اكتسبوا تكويناً سياسياً أن يساهموا فى المشروع وأن يجنبوه أى انحراف . وكان سبب قرارى هو فكرة مشاركة الجميع فى المشروع ، لا ينبغى أن يقتصر اهتمام الدعوة على الطلبة كما تفعل الجزأرة . كان من الواجب أن ندخل فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ بدلاً من أن نترك الفراغ يملؤه أشخاص يفتقرون إلى الكفاءة " .

بعد أن أنهى عبد الكريم الخدمة العسكرية فى يونيو ١٩٨٩ - بدأ فى تكوين مكتب تنفيذى للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مقاطعة تشرشل . وكان أول مكتب يحظى بموافقة رئيس الحزب . ومن باب الحيطة والحذر عمد إلى عدم ظهور اسمه فى قائمة المديرين المحليين التى تسلم للإدارة . وبعد شهرين ، قرر عبد الكريم التخلى عن مسئولياته فى مدينة تشرشل ليتولى غيرها فى مدينة تيباسا . فقد التحق بالمكتب التنفيذى فى المدينة التى نكبت بالزلزال وأصبح رئيساً للمكتب بعد تسعة أشهر . وقبل ذلك بعدة أشهر ، كان قد تعرف على على جدى الذى أصبح ، هو ومحمد بوجلخه ، من أكبر المؤثرين على فكره .

وكان من شأن صعود نجم الشاب الصغير (كان فى العشرين) أن أبعد عن أصدقائه "الجزأريين " الذين كان يأخذ عليهم سعيهم إلى الاستيلاء على المناصب القيادية لمصالحهم الخاصة . " ينبغى ألا نرتكب الأخطاء الخاصة بالاستقلال ، حيث استولى فريق على المناصب العليا وعيّن فيها أصدقاءه وتنكر للتضحيات التى بذلها آخرون ، وذلك بدلاً من إشراك أفضل الطاقات . إننا نأخذ على معظم الجزأريين محاولاتهم توجيه جميع المساعى ، وجميع القرارات وجميع المشروعات بما يفيد مجموعاتهم . لذلك فقد ابتعدت عن الجزأرة لأننى لم أحب طريقتهم فى اختيار الأشخاص تبعاً لمؤهلاتهم وتعليمهم ... دون اعتبار لتضحيات الشخص فى سبيل الدين " .

ومع احتفاظه بالخصائص الأيديولوجيــة للجزأرة ، وبخاصة الوطنيــة ، شعر عبد الكريم أنه أصبح غريبًا عن عائلته السياسية الأولى .

وبعد أن تعرض للقبض عليه ثلاث مرات عام ١٩٩٢ ، غادر عبد الكريم الجزائر ولجأ إلى أوروبا فى أكتوبر من العام نفسه . وقد احتفظ من عمله السياسى مع الجزأريين بصفة الكتمان . ولكن على النقيض من التلمسانيين ، كان يبغض العنف ويرفض الاستسلام لتطرفات الجماعات المسلحة . ولكن أمام استبداد النظام ورفضه للحوار مع الإسلاميين، اضطر عبد الكريم إلى تغيير موقفه من العنف : "فى الماضى ، حاولنا ألا نتحمل مسئولية العنف . أما اليوم فلم يعد أمامنا الخيار " . وبالمثل يحاول منذ ذلك الحين أن يقرب، على مستوى البعد التكتيكى وحسب ، بين الجماعات المسلحة وبين إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حتى لا يواجه الحزب بالرفض من جانب المناضلين ضحايا القمع الذى يزداد يومًا بعد يوم .

أنور هدّام ، أو انتقام التلمسانيين

حاولت الجزأرة طويلاً أن تحتفظ بأسماء أتباعها سرًا لا يطلع عليه أحد . وهاهو ذا أنور هدام الذى لجأ إلى الولايات المتحدة لا يخفى تعاطفه مع الجزأرة ويخرج على العالم ببياناته الملتهبة .

ولد أنور هدام عام ١٩٥٥ فى تلمسان . وترجع عائلته ، وهى متوسطة الحال ، إلى أصول أندلسية . " أسرة قديمة جاءت من الأندلس فى القرن السابع . كانت المذابح فى الأندلس منتشرة على تعاقب الأجيال . ولعل ذلك هو الذى بثّ فينا الميل إلى التعايش السلمى ، ولكن دون التنازل عن مبادئنا "[١] .

كان جد هدام لوالده تاجرًا غنيًا فى تلمسان ، فى حين كان جده لأمه تاجرًا مشهورًا فى سعيده . وكان والد هدام أصغر إخوته الثلاثة . وكان يعمل ناظرًا ثم مديرًا فى إحدى المدارس الثانوية فى تلمسان - فى الوقت الذى كان فيه عمّاه يدرسان

(١) لقاء فى الولايات المتحدة فى أبريل عام ١٩٩٣

الطب في الخارج . وبالإضـافة إلى ذلك ، ففى الوقت الذى اكتفى فيه والد هـدام " بتكوين عدد من وزراء بومدين " (هكذا يحلو للابن أن يسمى الأشياء إشارة إلى أن عدداً من الوزراء الذين عملوا مع الرئيس بومدين كانوا من تلاميذ والده) حصل شقيقاه الكبيران على مناصب خطيرة بفضل شبكة النفوذ التى تمكنا من إقامتها بين الإقليم الذى كانا تابعين له وبين دوائر الحزب الواحد فى العاصمة . فقد أصبح الأكبر ويدعى " تجنى " ، وزيراً ومديراً لمسجد باريس ، وذلك قبل أن يصبح أحد الأعضاء الخمسة المكونين للجنة العليا للدولة التى تشكلت صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢ .

كان والد هدام يتسم بصرامة أسطورية مع تلاميذه ، وقد نشأ أولاده على التفانى فى الدراسة والتفوق فى الجامعة . حتى أنه من بين إخوة وأخوات هدام العشرة ، كان أقلهم شهادات يشغل منصب مديراً لإحدى المدارس الثانوية . صحيح أن تلمسان لها قصب السبق فى هذا المجال ، بحيث إن أنور هدام ، بالإضافة لأخيه مدير المدرسة، له أختان طبيبتان، وأخوان مدرسا رياضيات ، وأخ طبيب جراح ، يدعى لهبيب وهو شخصيه مرموقة فى الجزأرة ، وأخ كيمائى متعاطف أيضاً مع الإسلاميين ، وهو ميل يشارك فيه جميع أفراد الأسرة .

بدأ أنور هدام نضاله فى الحركة الإسلامية وهو فى السنة النهائية فى المرحلة الثانوية . ولكن وعيه السياسى تبلور أثناء إقامته فى الكلية المركزية فى الجزائر العاصمة حيث التحق بالدراسات العليا فى الفيزياء من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٨ . تأثر كثيراً بمالك بن نبى وأصبح ثنائى الانتماء : انتماء لجمعية العلماء وآخر لحزب الشعب الجزائرى "كنت فى البداية متأثراً بأبى . كان قريباً جداً من بن نبى ومسالى حاج ، كان بين الاثنين . وقد علمنى مبادئ ، وعلمنى أن الإسلام شىء عظيم إذا كانت هناك دولة إسلامية . الإسلام كل متكامل . بعد ذلك ، فتّشت فى الكتب . كان ذلك عام ١٩٧٠ / ١٩٧١ ، وفى عام ١٩٧٢ حضرت جلسات بن نبى فى العاصمة وبدأت أنظر إلى الإسلام ليس من منظور المشكلة من أجل الوصول إلى دولة إسلامية وإنما من منظور قضية حضارية . لقد ساعدنى بن نبى كثيراً . كان منهجه علمياً " .

وفى الكلية المركزية ناضل أنور هدام منذ عام ١٩٧٣ / ١٩٧٤ بصحبة تلمسانيين آخرين . كان معه على وجه الخصوص محمد ثابت أول وهو الذى تزوج من شقيقته .

وكان اقتناع أنور هدام وزملائه أن الطليعة وحدها هى الكفيلة بتحقيق ميلاد حركة أوسع ، ومن ثم فقد قرروا " إعداد نخبة وقاعدة شعبية " . ولعل الوصف الذى يورده أنور هدام لهذه السنوات يدخل فى إطار الأسطورة أكثر من الحقيقة . على الأقل فهو يدل على حالة فكرية ويرصد الظروف التى ظهرت فيها المقاومة الإسلامية فى الجامعات وفى الأحياء الشعبية " كانت لدينا مساجدنا المستقلة ، فى كل مدينة يوجد فيها جماعة من الشباب لإدارة شئون المسجد. ثم تبلورت الحركة . فأرسلنا بعضنا إلى الخارج للتخصص، ولذلك سافروا إلى السعودية ليتعلموا الشريعة. وكان لنا مساجد رائدة فى كل مكان . وبدأنا نتوغل فى مجال التربية ، وفى الجماعات كنا قد درسنا ذلك جيداً . وكنا قد اخترنا طريق التغيير المتدرج . وما يجرى الآن هو بسبب النظام . فى حين أننا كنا نسير فى هدوء . كذلك تسللنا داخل السلطة ومختلف الوزارات لنحصل على معلومات من الداخل. كانت منظمة وطنية وهرمّية ، لا شيء يحدث فى الجزائر بدوننا . كانت هناك دوائر اتصال . وفكرتنا الأساسية كما كان يقول بن نبى ، كانوا يخشون أن نجعل الفكر مكان الصنم " .

حصل أنور هدام على دكتوراه الدولة فى الفيزياء كما حصل على منحة دراسية فى الاتحاد السوفيتى ، ولكنه رفضها بناء على نصائح زملائه ، وقبل العمل فى التدريس لمدة عامين . وفى عام ١٩٨٠ ، قرر نهائياً السفر إلى الولايات المتحدة حيث تمكن من تحويل المنحة الدراسية وهناك حصل على الماجستير فلم تسمح له ظروفه المادية بالحصول على MIT مع أنه تم قبوله فيها . واكتفى بالتسجيل فى جامعة إيوا حيث واصل فيها الدراسة حتى عام ١٩٨٥ . وقد سمحت له إقامته فى أمريكا بالاحتكاك بمناضلين إسلاميين آخرين والاقتناع بتفرّد الجزائرى . " فى الولايات المتحدة ، كنت على اتصال بحركات إسلامية عالمية وكنت عضواً فى حركة جمعية الطلاب المسلمين . وقد كان لذلك أهمية كبيرة فى تكوينى الفلسفى كما أقنعنى بخصوصية القضية الجزائرية " .

فى عام ١٩٨٥ ، قطع هدام دراسته حتى قبل حصوله على PHD فقد كان المناضلون الذين دخلوا السجون على أثر أحداث الكلية المركزية عام ١٩٨٢ ، قد بدءوا يخرجون من السجن وأراد أصدقاؤه فى الجزأرة تنظيم حركة . وعلى أثر عودته إلى

الجزائر حاملاً الماجستير فى الفيزياء النووية عمل أنور هدام عامًا كاملاً فى المركز العالى للبحوث . وقد كان هذا العمل الذى توج عدة سنوات من الكفاح ، مخيبًا لآماله .

" كنا نمثل نخبة البلاد ، تخرجنا فى الجامعات الأمريكية ، ولكن لم يكن هناك برنامج واضح . وقد عادت الأغلبية إلى الولايات المتحدة ، أو تقوقعت فى الجامعة". وهذا ما فعله أنور هدام حيث قرر أن يعمل فى التدريس بجامعة باب الزوار . ومنذ ذلك الحين لا يكف عن التصريح بأن البحث العلمى عنصر جوهرى لبرنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

وفى الانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، فاز أنور هدام وأصبح نائبًا . وعلى أثر انقلاب يناير ، لجأ إلى أوروبا ، ثم إلى الولايات المتحدة ، حيث كان يقوم بنشر بيانات باسم " الوفد البرلمانى للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج " . ومنذ ذلك الحين ، لا يكف عن تشجيع الجهاد والنضال المسلح ويحاول الحصول على زعامة الحركة فى الخارج . وهذا يفسر إلى حد كبير غلوه فى المطالبة بتنفيذ عمليات اغتيال لا يقرها عدد كبير من إدارة الحزب .

«تقنية» مناصرة

سبق أن أشرنا إلى نظرة السخرية التى ينظر بها التقنيون للتيوقراطيين ويطلقون عليهم صفة " الدراويش " . ولفظ " التقنيون " لا يدل هنا على عناصر إدارية يستعين بها الحكام السياسيون ، وإنما يدل على أشخاص قامت الدولة على تكوينهم بهدف خدمة مشروع تنموى لا يؤيدونه الآن . ومن ثم انتظموا فى " نخبة – مضادة " تسعى ، باسم كفاءتها ، إلى الاستئثار بقيادة شئون الدولة .

إذًا ، فى مواجهة تقنية الدولة التى أحكمت قبضتها على القطاع الوطنى ، تقف نتيجة لذلك، " تقنية " مناصرة قادرة على منافسة السابقة فى أرضها وتطالب بلائحةٍ واعترافٍ سياسيين متوائمين مع ما تعتقده من تميزّها الثقافى وفائدتها للمجتمع . ولكن ، على خلاف التقنيين فى تصور "سان سيمون " ، فإن " التقنيين " الإسلاميين يهتمون أيضًا " بحكم الناس " اهتمامهم " بإدارة الأمور" . وهم إذ يطمحون إلى ثورة

ثقافية تقنية يهتمون بضمان الإنقاذ الجماعى (الخلاص) للنفوس التى تسكن الجزائر ، بمثل اهتمامهم بإنقاذ الجزائر من التخلف التنموى .

كان من المنطقى إذًا أن تجد معارضتهم للنظام الاجتماعى تجاوبًا من القطاع التجارى الخاص . فالواقع أن صغار وكبار التجار فى القطاع الموازى ، المعرضين للاضطرابات الإدارية سوف يجدون تبريراً لصعودهم الاجتماعى فى الخطاب الاقتصادى الليبرالى للجبهة الإسلامية للإنقاذ . إنهم يستمدون منه إدارة أيديولوجية من شأنها النيل من مكانة منافسيهم فى القطاع الحكومى . وبقدر ما يصبحون الممولين الأساسيين للحزب، بقدر ما يصبح الحزب البشير بالليبرالية الاقتصادية ، بوضعه إلغاء الاحتكار على التجارة الخارجية على رأس برنامجه . بل أكثر من ذلك، ففى حين أن الميثاق الوطنى الصادر عام ١٩٧٦ يصم القطاع الخاص "بالاستغلال" ، فإن الفلسفة الإسلامية ترد عليه اعتباره وكرامته ، وفى الوقت نفسه تسمح له بالتزود "بالتسامح" كما تصحح وضعه فى لائحة الاستثمار .

إن الانتخابات المحلية التى أجريت فى يونيه عام ١٩٩٠ ، ثم الانتخابات التشريعية التى أجريت فى ديسمبر عام ١٩٩١ ، كانت بمثابة تحكيم شعبى بين . التقنيين ونخبة الدولة . لذلك ، فبينما كان " التيوقراطية " ينظرون إلى الاستراتيجية الانتخابية التى انتهجها الحزب باعتبارها " تواطؤًا لا يغفر " مع النظام ، فإن التقنيين يرون فيها الوسيلة لتأكيد زعامتهم : " كنا نريد انتخابات بأى شكل ، لأن الظروف هى التى تخلق الزعماء ، وكان ينبغى علينا أن نثبت أننا نستحق هذه الزعامة . إن الشعب الجزائرى مطالب باختيار الزعماء الحقيقيين " (أنور هدام ، أبريل ١٩٩٣) . ومن ناحية أخرى فإن حرصهم على التغلغل فى أجهزة الدولة ، لا يجعلهم ينادون ، على العكس من أصدقائهم " التيوقراطية " ، بقلب نظام الحكم ؛ ولكنهم يطالبون بإصلاحه. وهم فى هذا الصدد يفرقون بين لجان قانونية حقًا – لكونها مطابقة للدستور – لكنها غير شرعية – لأنها لا تصدر عن إرادة الشعب – وبين لجان شرعية . لذلك فهم لا يكفّون عن التنديد بعدم شرعية اللجنة العليا للدولة التى تشكلت على أثر استقالة شاذلى فى يناير ١٩٩٢ ، لكنهم لا يهاجمون المؤسسة العسكرية . إذًا فهم يسهمون فى استمرار

النظام القائم . وهم بالتالى يؤيدون وجود أشكال التزام مناصرة ولا يهتمون كثيراً بالنظرية الإسلامية المصرية التى تقوم على التدرج ، وذلك بسبب الطموحات السياسية السريعة . فعلى النقيض من " الحكميين " المشايعين لسيد قطب الذين يرون أننا لا يمكن أن نبنى دولة إسلامية انطلاقًا من مؤسسات "كافرة " فإن " التقنيّين " يؤمنون تمامًا بإمكانية التعامل مع المؤسسات القائمة وذلك بأسلمتها . وفى حين يعلن "التيوقراطية" عداءهم للديمقراطية ، "مؤامرة الغرب واليهود لإفساد عادات المسلمين فى الأرض " ، فإن التقنيين يحاولون "تأميم " مفهوم الديمقراطية (جعله وطنيًا) الذى سبق أن نظّره محفوظ نحناح باسم " التيوقراطية" . من هنا كانت التعديلات الكثيرة التى أنجزها مرشحو الحزب ، " ورق نشاف " يوضع " بتصفية أو تنقية القوانين القائمة من خلال الشريعة "[1] .

إنه تصور يعقوبى للشريعة الإسلامية ، مؤلف من اقتباسات عديدة من القوانين الغربية، هو الذى أفرز هذه الترضيات . ومن ثم كانت نيّة التقنيين فى حالة وصولهم للسلطة ، فى استخدام الأطر الوظيفية العاملة حاليًا فى الدولة .

ويرفض التقنيون أيضًا المطالبة بإقامة دولة حكمية لأن ذلك لو تحقق فسيتبعه إعادة النظر فى معرفتهم وخبرتهم عن طريق هيئة العلماء المكلفة بالحكم على جواز أو عدم جواز قراراتهم . كل ما هناك أن التقنيين يدعون إلى تقسيم العمل بوضوح : "المهام السياسية توزع طبقًا لقدرات كل شخص . أما المتمكنون من المعلومات الدينية المحضة فيكونون مكلفين بمراقبة تطبيق الشريعة ويتولون الشئون التعليمية والتربوية والأخلاقية فى المجتمع" . إنهم على غرار أخوالهم المصريين المنتمين لبعض العلماء ولجمعية الإخوان المسلمين فى مصر، يحاولون طبقًا لمنطلق المشاركة، تطويع الحركة الإسلامية الجزائرية للفعل السياسى الحديث . وعن طريق تجنيد دائم للقاعدة يجعلون من الجبهة الإسلامية للإنقاذ منظمة تهدف إلى تحقيق الاستيلاء على السلطة .

(١) لقاء مع أحد رؤساء المجلس الشعبى فى ولاية تيباسا فى نوفمبر ١٩٩٢

إن الوضع الطبقى للتيوقراطيين والتقنيين يفسر إلى حد كبير أنماط الفعل السياسى المختلفة المطروحة . ففى حين تتجه طموحات التقنيين إلى داخل جهاز الدولة الوطنى المحظور عليهم ، فإن التيوقراطية وهم يستغلون المزج الذى تحدثه السلطة بين مفهومى الدولة والوطن، يعبرون عن رفضهم للدولة عن طريق نوع من الشك أو الريبة نحو الوطن ، ذلك المفهوم المستورد من الغرب ، فهم يرون أنه يدعو إلى التمزيق العرقى الذى يتعارض مع عالمية الإسلام . ومع كل فإن الفريقين يجتمعان على رأى واحد فيما يختص بالخصوصية الجزائرية التى يجعلونها نصب أعينهم ، وهم فى ذلك يخضعون لمتطلبات الاندماج فى الخط الذى سار عليه " أسلافهم الأمجاد " .

(٤)

نخبة الإسلاميين والسيطرة على المجتمع الحضرى

التمييز بين إعادة النزعة الإسلامية " عن طريق القاعدة " وإعادة النزعة الإسلامية "عن طريق القمة"، أو الفارق بين ولاة العمل الاجتماعى وولاة العمل السياسى ، كل ذلك لم يستطع أن يأخذ فى الاعتبار تنوع التمثيل القائم فى مختلف الجماعات المتعايشة داخل الحركة الإسلامية الجزائرية . هذه الجماعات المختلفة وبخاصة " التقنيون " ، من ناحية ، وأنصار الحكومة الإلهية (الحكمية) من ناحية أخرى ، تؤثر فى الواقع على القاعدة وعلى القمة . وهى جميعًا مهتمة بالعمل السياسى والعمل الاجتماعى سواء بسواء . وكل منها أيضًا حريص على أن يجعل من التحريك الشعبى "الذراع المسلحة" لتحقيق مطالبها . وبالتالى فإن الحد الفاصل يتجلى تبعًا لطريقة تقبل الجماعة للدولة ، التى هى فى نظر بعض الجماعات قابلة للإصلاح ، وفى نظر الأخرى (على المدى الطويل وفى الصورة التى هى عليها حاليًا) مدعوة إلى الاختفاء .

والجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حينما تجمع بين أساليب منظمة وشرعية ذات طابع تقليدى ، وبين أساليب منظمة وشرعية من النوع الحديث ، فهى ليست حزبًا ، وليست جمعية ، وإنما هى جبهة . فعلى نسق جبهة التحرير الوطنى ، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ هى فى الوقت نفسه بنية سلطة وبنية أيديولوجية تضم مجموعات سياسية مختلفة ومجموعات اجتماعية مختلفة . ولما كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ثمرة وفاق بين حزب وأطر ، وبين حزب وجماهير ، فهى منذورة بالكامل لهدف الاستيلاء على السلطة .

هذه التركيبة أو هذه التوليفة هى فى الواقع ، خلال فترة شرعيته ، كانت مثار ازدهار الحزب الذى تجاوز الحدود الجزائرية .

وعن طريق العمل على نشر تعليم " أخلاقى " ، تشغيل شبكات من التضامن وتكوين آلة سياسية فعالة إلى حد كبير ، بدت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى عيون المهمشين بوصفها المنظمة الوحيدة القادرة على تحقيق الفعاليات اللازمة للمنظمة ، والدفاع عن الفئات الاجتماعية المعارضة .

عرض سريع للسوسيولوجيا الانتخابية للجبهة الإسلامية للإنقاذ

من خلال تحليل النتائج الانتخابية التى حصل عليها الحزب فى الانتخابات البلدية والإقليمية فى يونيو ١٩٩٠ ، والانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، يمكن أن نأخذ فكرة عن الانتشار الجغرافى والاجتماعى للجبهة الإسلامية للإنقاذ .

فالانتخابات المحلية التى أجريت فى يونيو ١٩٩٠ فى المجالس الشعبية البلدية ، والمجالس الشعبية فى الولايات ، تمت عن طريق الاقتراع النسبى بالأغلبية . أما النتائج التى قدمتها وزارة الداخلية ، فهى لم تعرض سوى النتائج العامة التى حصلت عليها الأحزاب المتنافسة ؛ أما حجم الأصوات على المستويات المحلية والإقليمية فلم يتم إذاعته . فقط عدد المقاعد التى حصلت عليها كل قائمة متنافسة فى كل منطقة انتخابية ، هو الذى تم إعلانه . وبشكل رسمى فقد حصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على ٥٤,٢٥٪ من الأصوات الصحيحة ، محققة بذلك فوزاً كبيراً على منافسها وهو جبهة التحرير الوطنى التى لم تحصل إلا على ٢٨,١٪ من الأصوات .

مع الاقتصار على توزيع المقاعد التى حصلت عليها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فإن البيانات المعلنة تثبت أن الحركة الإسلامية ظاهرة منتشرة على المستوى الوطنى بغالبية كبرى فى الحضر .

ولكن باستثناء معاقل جبهة التحرير الوطنى (فى ولاية الطرف فى أقصى الشرق، وبنسبة أقل فى المقاطعات الريفية فى إقليمى جيلما وسوق أهراس) والمناطق التى ما تزال العصبيات قوية فيها ، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعَدّ ممثَّلة على مستوى البلاد .

والحقيقة أن التصويت لصالح الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يعد رفضاً للحداثة ، بل بالعكس فهو ، فى مجملة ، أحد أساليب الدخول فى الحداثة . فمن خلال التصويت للجبهة، التقى الحضريون القدامى والجدد على هدف واحد وهو منازعة جماعات قادة المناطق الحضرية والمواقع الاجتماعية . وعن طريق تنفيذ ونشر بعض أساليب الهوية الجديدة (أسلوب الزى ، كتابة أسماء المدن على لوحات "إسلامية"، ملء قارعة الطريق فى أوقات الصلاة ، إغلاق دور السينما ومحلات بيع الخمور التى تحولت إلى أماكن للعبادة ، استعمال مكبرات الصوت فى التبليغ) واختراع نوع من الثقافة التحتية المعارضة ، مما يهدف إلى توحيد وتدعيم عناصر متنافرة ، نجحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى إحياء وتنشيط أماكن اللقاءات القديمة (بخاصة المساجد والأسواق) لقد أعادت الجبهة للمدينة " الإسلامية " طابع المركزية التى كانت تنازعها عليها ، بالرغم من الاستقلال ، المدينة "الأوروبية " ، وأضفت على المدينة دور لمّ الشمل والتوحيد الذى سلبته الدولة بجعلها أداة من أدوات السيطرة والهيمنة . " لقد طلبنا من سكان المقاطعات وضع لافتات تثبت أن هذه مقاطعة مسلمة . وطلبنا تثبيت هذه اللافتات على طريق المطار . هذا أقل شيء ينبغى عمله لنبين للآخَر مدى التغيير الذى طرأ . لقد أردنا أن نبرز الاختلاف بين الولاية القديمة والجديدة . هذا أقل ما يجب " .

ومن الجدير بالذكر ، أن التراجع الذى سجلته الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى انتخابات ١٩٩١[١] لا ينبغى أن نبالغ فى تقديره . أولاً ، لأنه بالنسبة لانتخابات ١٩٩٠ ، فإن انتخابات ١٩٩١ شهدت أحزاباً إسلامية لم تكن موجودة فى العام السابق (مثل حركة حماس بزعامة محفوظ نحناح الذى حصل على ٣٧٠,٠٠٠ صوت بنسبة ٥,٣٥٪ من الأصوات الصحيحة) وحركة النهضة الإسلامية بزعامة عبد الله جاب الله (التى حصلت على ١٥٠,٠٠٠ صوت ، بنسبة ٢,٢٪ من الأصوات) وقد أهدرت هذه الأحزاب الجديدة عدداً كبيراً من الأصوات التى كانت ستؤول إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى حالة عدم وجود هذه الأحزاب . نضيف إلى هذا السبب سبباً آخر ، وهو أنه فى انتخابات ١٩٩٠ ، كان يحق للناخبين انتخاب أحد أفراد أسرهم ،

(١) فقد الحزب أكثر من مليون صوت بالنسبة للانتخابات فى يونيو ١٩٩٠

وقد سقط هذا الحق فى انتخابات ديسمبر ١٩٩١ . مما قد يكون قد " حوّل " بعض أصوات الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن طريقها . وأخيرا ، ففى انتخابات ١٩٩٠ ، وهى أول انتخابات حرة فى تاريخ الجزائر ، كانت نسبة المشاركة الرسمية فى الانتخابات ٦٥,٢٪ ، فى حين أن هذه النسبة هبطت بشكل واضح عام ١٩٩١ (٤١٪ ممتنعون) . ومع ذلك ، فمع ٤٧,٢٧٪ من الأصوات الصحيحة المشاركة فى الدور الأول من انتخابات ديسمبر ، و ١٨٨ مقعداً من بين ٤٣٠ مقعداً (فى مقابل ٢٥ مقعداً لجبهة القوى الوطنية و ١٦ مقعداً لجبهة التحرير الوطنى) استمرت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى تقدمها باعتبارها أول قوة سياسية فى البلاد . يدل على ذلك الانتشار الجغرافى للحزب ، الذى استطاع ، بالنسبة لنتائجه فى يونيو ١٩٩٠ ، أن يكتسح معاقل جبهة التحرير الوطنى (وخاصة فى الجنوب) ويحقق اختراقًا فى القبائل ، حيث جاء مرشحوه بعد مرشحى جبهة القوى الاجتماعية مباشرة فى بعض الولايات .

وبصفة عامة ، إذا كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى فترة شرعيتها ، أثبتت وجودها الطاغى فى المراكز الحضرية الكبرى وفى المدن المتوسطة وضواحيها القديمة ، فقد كانت الجبهة أيضًا موجودة بشكل واضح فى المناطق غير المأهولة بالسكان والمناطق التى قضى الاستعمار على بنيتها الاجتماعية .

كذلك فقد حققت الجبهة نتائج خففت من الفوارق بين : مدينة وقرية ، وأحياء غنية وأحياء فقيرة ، تلك الفوارق التى لوحظت فى الانتخابات المحلية فى يونيو ١٩٩٠ . هذا الطابع الدّامج للطبقات عند الجبهة جعلها تشعر بقوتها الوطنية ، تأكد حينما طالبت بإجراء انتخابات رئاسية ، وهى السبيل الوحيد الذى يفتح لها أبواب السلطة الحقيقية .

مجمل القول ، هذه التركيبة الاجتماعية غير المتجانسة هى التى أضفت على الجبهة طابعها المزدوج كحركة اجتماعية ، أى تعبير عن الفئات الاجتماعية المقهورة ، وكحزب حديث، أداة ارتقاء نخبة تبحث عن شرعية شعبية . ومن ثم ، كان التناقض الظاهر بين الخطاب الراديكالى وأحيانًا العنيف، المفوض للتعبير عن مطالب الحركة الاجتماعية - ذلك الخطاب الذى سيمد الحركة بجانب كبير من أعوانها وشرعيتها - وبين المواقف السياسية المحددة ذاتيًا والمستهدفة للمحافظة عليها داخل لعبة دستورية تضمن البقاء القانونى للحزب والوضوح السياسى للقادة .

جهاد سياسى ووظيفة قَبَلية

من الجدير بالذكر ، أن انتفاضات الأحياء التى نتجت عن انقلاب يناير ١٩٩٢ ، لم يكن عملاً منسقًا ومدروسًا ، بل انطلق فى الحقيقة بعيداً عن أى توجيه من جانب الحزب . إن انتفاضات باب الواد فى فبراير ١٩٩٢ كان هدفها الأساسى فى الواقع هو الدفاع عن الحى (houma) ضد تعديات الدولة الممثلة فى " الخوذات الزرقاء " وفرق مكافحة التمرد .

وقد انتشرت ظاهرة الاهتمام بهوية الحى ، بشكل خاص من أجل الحد من أخطار تدخل قوات الأمن ، لصالح القتال المسلح الذى يقوده " أمراء " قرنوا أسماءهم بأسماء الأماكن التى يقيمون فيها : محمد ليفيللى ، جعفر جولى ، أحمد تياريه .

لقد بسطت الجبهة الإسلامية للإنقاذ سيطرتها فى المناطق التى لا تهتم بالسياسة ، أما القطاعات المسيسة والنقابات ، والمنظمات اليسارية ، والمنظمات البربرية ، فهى وحدها التى تقاوم المدّ الإسلامى .

واستجابة لرغبة القادة فى كسب وتحريك قاعدة شعبية، شكلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ منظمة هرمية ، تبدأ من القمة إلى القاعدة ، جاءت بنيتها على نسق الإدارة الوطنية .

أما إدارة الحزب ، فإن قراراتها تكون بالأغلبية . وهى تتكون من لجنتين : مجلس الشورى والمكتب التنفيذى .

للمادة ٣٢ من اللوائح التأسيسية للحزب ، فإن المؤتمر ، الذى لم يعقد على الإطلاق ، ينبغى أن يعقد كل ثلاث سنوات ومهمته انتخاب أعضاء مجلس الشورى الوطنى الذى يضم من بين أعضائه رؤساء المكاتب التنفيذية الإقليمية . وبوصفه اللجنة العليا للحزب ، كان مجلس الشورى لم يكن يضمّ ، حتى مؤتمر باتنه ، سوى خمسة وثلاثين عضواً مؤسساً . ومع ذلك فقد تم توسيعه بحيث أصبح يضم المسئولين المحليين للحزب منذ شهر أغسطس ١٩٩١ .

أما المكتب التنفيذى ، المنبثق عن المجلس الاستشارى ، فقد كان يتألف من حوالى عشرة لجان (وهى مقسمة إلى أقسام) موزعة على أعضاء مجلس الشورى .

أما البنَى المحلّية الإقليمية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد جاءت نسخًا من البنية الوطنية ، وتمارس وظيفة " التمثيل الجغرافى " بقدر ما هى " تمثل الوحدة الوطنية وتمثل مجموع الطبقات الاجتماعية الجزائرية " .

وكما أن قادتها المحليين يحملون ألقابًا عسكرية . وقد تمكنت الجبهة سريعًا من تشكيل هذه البنَى المحلّية بفضل نسيج المساجد والشبكات السّرية الموجودة قبل مولد الجبهة .

نشر الأخلاق الحميدة :

" التصويت لصالح فيس[١] ، تصويت ضدّ إبليس " هذه العبارة الرجيمة تلخص جوهر الرسالة السياسية المعلنة من الحزب بمناسبة الانتخابات التشريعية التى أجريت فى ديسمبر ١٩٩١ .

والجبهة الإسلامية للإنقاذ تجعل من " فساد العادات " جواد معركتها الرئيسى . وهى ترجع الممارسات " التغريبية" ، كما تسميها ، إلى الجماعات الحاكمة التى استوردتها من الخارج . ولإصلاح هذا الوضع ، تقترح الجبهة نشر الأخلاق الحميدة التى تقوم على مبدأ المسئولية . وزعماء الجبهة لا يحاولون أن يعدوا الناس بجنّة أرضية ، ولكنهم يركزون على أهمية العمل فى هذه الدنيا . وبذلك يصبح كل إنسان أمام تحدٍ يتولى فيه أمر قدره .

وعن طريق قمع الرغبات ، وتحويل الحرمان إلى فضيلة ، فإن زعماء الجبهة يجعلون من أنفسهم رسل نوع من " البروتستانتية " التى تتيح لمريديها التغلب على قلقهم واضطرابهم ، وفى الوقت نفسه تقنعهم بفائدتهم الاجتماعية . فبالثناء على أهمية العمل وعلى قيمة الإنسان ، يمكن لهذه الأخلاق الحميدة التطهيرية ، بصفة عامة ، أن تسهل عملية الانتقال من الاقتصاد الذى يعتمد على العائد إلى اقتصاد السوق .

(١) Fis الحروف الأولى بالفرنسية للجبهة الإسلامية للإنقاذ .

وأيًا كان الأمر ، فإن اعتناق الأيديولوجية الإسلامية ، يتيح للمهمشين تحقيق صورة مشرقة لأنفسهم . فهذه الأيديولوجية تنتزعهم من العزلة ، وتضعهم في رباط اجتماعى ، وترقى بهم إلى درجة هوية فردية . يشهد بذلك اعترافات العديد من الأفراد الذين عادوا للإسلام حديثًا ، الذين يرون أن " البعث الإسلامى ، بعد قرن من "الفوضى" (ترجع أغلبها إلى إدمان الخمور) جاء ليحقق الاستقرار الطبيعى والمتناسق : "بدأت أرتدى الحجاب على أثر حلم رأته إحدى صديقاتى . كان حلمها يمثل جهنم ، كانت تلك النهاية [...] كأنما هو يوم الحساب . قبل ذلك ، لم أفكر فى هذا الأمر مطلقًا . ولكن منذ ذلك الحلم بدأت أفكر فى ارتداء الحجاب " (لقاء فى الجزائر العاصمة فى يناير ١٩٩٣ مع ليلى ، وهى سكرتيرة مطلقة ، من مواليد ١٩٥٣ فى مليانا) .

إن المتناقضات التى يعبر عنها أفراد يخضعون لازدواجية المرجعية الغربية والإسلامية يتمثل فى الغالب فى الشعور بالذنب وبخاصة فى موضوع الجنس . لذلك فإن الخطاب القامع جنسيًا الصادر عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وبخاصة الموجه للفتيات ، يتيح لهن السمو بغرائزهن . وهن يرين فى الحجاب نوعًا من الملاذ الذى يبدد شعورهن بالذنب . ذلك أنهن يعتقدن أن " غوايتهن " للآخرين شىء "مدنّس" . "حينما كنت صغيرة ، كنت أرتكب الحماقات. وإذا كنت أرتدى الحجاب ، فذلك نوع من الندم " (ليلى) .

أما الفتيان الذين يستشعرون القمع الجنسى بطريقة أعنف ، فإنهم يجدون فى الصلاة وفى مقاومة الاختلاط الملّطف الوحيد لتمزقهم . "فى الماضى ، كنت أقوم تقريبًا بما يقوم به الكفار . نعم لذلك فأنا أعترف بأننى دخلت فى دين جديد . بسبب الحماقات التى ارتكبتها ، وأطلب من الله أن يغفر لى . " (لقاء فى الجزائر فى يناير ١٩٩٣ ، مع محمد، وهو سكرتير فى شركة أدوية . ومناضل من الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أعزب ، من مواليد ١٩٥٩) .

وبتحقيق طهارة النفوس ، تقترن طهارة الأجساد التى تتخلص من أدرانها وخطاياها خمس مرات فى اليوم طبقًا لنظام ثابت .

وكثمرة لمفهوم مثالى ، فإن الدولة الإسلامية تصبح ، منذ ذلك الحين ، وكأنها وسيلة لتحقيق وعود المساواة الخاصة بالاستقلال . " حينما يتم تطبيق الشريعة ، ستكون هناك عدالة . وهذا هو المهم . مما يسعد الإنسان أن يلتقى بأناس شرفاء .

أناس لا يسرقون . فى حين أن ما نراه يحدث الآن ، هو بحق الكارثة . فمثلا علبة السجائر التى تساوى عشرة دنانير ، البائع يطلب فيها خمسة وعشرين . هذا الرجل لو عرف حقيقة الإسلام وحقيقة الشريعة ، لا أظن أنه كان سيبيعها لى بخمسة وعشرين ديناراً " (فريد) .

إن انتشار مثل هذه الأخلاق الحميدة سيكون له تأثير كبير على تراجع معدلات الجريمة. ويسهم فى إعطاء سكان الأحياء الشعبية الشعور بالأمن والسلام المفقودين .

وإذا كانت جماعات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقوم بهذه المهمة قبل ميلاد الحزب ، حيث كانت تحارب إدمان الخمور والمخدرات والفساد ، فإن عمليات " نشر السلام والأمن فى الأحياء ترجع بالفعل إلى أواخر الثمانينيات" . كانت الأحياء لا تختلف عن أحياء باريس من حيث انتشار الجريمة والاعتداء على المارة حتى فى شهر رمضان . والشرطة لا تستطيع شيئًا مع هؤلاء المجرمين . كانت مافيا بمعنى حقيقى . ثم جاءت جماعة الأمر بالمعروف واستخدمت مع هؤلاء العصاة أسلوب الترغيب والترهيب . فيأخذونهم بالرفق فى بادئ الأمر ، ثم يحذرونهم مرة ومرة . وفى النهاية يقولون لهم " هذه فرصتكم الأخيرة وإلا اقتدناكم إلى الشرطة " .

إن فرض احترام النظام والأمن يمكن اختصاره فى عبارة " لا يجوز " التى انتشرت على جميع مستويات الحياة فى الحضر . وهكذا فصبيحة انتخابات يونيو ١٩٩٠ قام المجلس الشعبى المحلى فى مدينة تيباسا بمنع الرجال من ارتداء الشورت فى الشوارع ، وكذلك فى حوران ، حيث منع تنظيم مهرجان للموسيقى الخليعة . ومع ذلك فإن هذه الإجراءات كانت تتم بشىء من المرونة حتى لا يصدم الشباب مع استعمال القوة المفيدة ، وفى مقابل التجاوز عن بعض هفوات مافيا الأحياء فى مقابل الحصول على مساعدات مالية سخيّة .

وهكذا تحولت الأحياء فى المدن الكبرى إلى " جمهوريات إسلامية " صغيرة حقيقية مستقلة .

ولكن أمام التحدى الذى كان يتمثل فى عبء الانتقال من المجتمع الريفى إلى المجتمع الحضرى الذى غالبًا ما يدع الفرد وحيداً مع نفسه ، فإن العديد من الجزائريين من أصول مختلفة يشعرون فى واقع الأمر بحاجتهم الملحة إلى ركائز أسرية ،

وفى الوقت ذاته تتوافق مع الظروف الجديدة التى تواجههم . إن الإسلام يقدم لهم فى هذا الصدد همزة الوصل بين التقاليد والحداثة .

ويتيح لهم فرصة استكشاف حياة اجتماعية وسياسية كفيلة بتجاوز التوترات بين ما هو جماعى وما هو فردى . إن الإسلام ، إذ يقدم للمسلم قواعد جديدة للسلوك الجماعى ، فإنه يحطم عزلة النّبْذ ، ويعطى الشباب صورة مشرقة عن أنفسهم . وهو باستكشافه لبروتوكولات دينية تولى ظهرها للممارسات التقليدية العتيقة – مثل ارتداء الـ haik الخاص بالأمهات والجدات ويجعل مكانه حجاب الفتيات – مع إضفاء الشرعية عليه ، فإن المناضلين الإسلاميين بذلك يقومون بعملية " تجديد " دينى واجتماعى أيضًا . أنهم يؤوّلون من جديد الدور الاجتماعى لأشياء بطل استعمالها لكى تجارى دينامية الحياة العصرية الجديدة . هذا النوع من التفنن الذى ينعكس على ما يخص الجسد ، وبالتالى على المرأة وعلى الجنس ، يتيح للأفراد الفرصة لاحتلال مكانهم فى النظام الاجتماعى الجديد . وبذلك نجح بعض الشباب من الأجيال الحديثة فى استئناس النموذج الأبوى للتخلص منه بصورة أفضل ، فى حين التزمت بعض النسوة ، فى الظاهر ، بضغوط النظام الذكورى لكى تتحرر منه بشكل أفضل : " نعم للمرأة المتحررة ، ولا للمرأة المتمردة " (عنوان مقال بالفرنسية فى العدد الثانى عشر من صحيفة المنقذ) . وبدلاً من فرض الحجاب بالقوة ، فارتداء الحجاب قبل أن يصبح رد فعل عام ضد " تغريب " العادات ، يمكن أن يمثل إحدى وسائل التكيف مع المشكلات التى تنتج عن التحول إلى المجتمع الحضرى . ففى الريف ، حيث المرأة لا تصادف فى طريقها رجالاً ، فهى لا ترتدى الحجاب . أما فى الوسط الحضرى ، فإن الحجاب يسمح للمرأة بارتياد الأماكن العامة (كالجامعة ، ومكاتب العمل) لذلك ، فإن بعضهن ، بدلاً من الرجوع إلى التقاليد واستعمال الـ haik الذى كانت تستعمله أمهاتهن ، ارتدين الحجاب على الطريقة الإيرانية[١] .

(١) فى هذا الموضوع انظر : نوليفور جول ، مسلمات وعصريات : الحجاب والحضارة فى تركيا ، باريس ، لاديكوفيرت ، ١٩٩٣ .

" أسلمة الحداثة ، لا تحديث الإسلام " هذه العبارة تدل بوضوح على أن الحداثة التى يسعى إليها الإسلاميون هى حداثة تتمسك " بالاستقلالية والتفرد " ، ولكنها لكى توفق بين الهوية العربية الإسلامية وبين التقدم التقنى ، تصادف بعض الصعوبات الجمة بالنظر إلى عنف التوترات الموجودة بين تأكيد الفردية والولاء الجماعى . إن جنوح بعض الشباب المهمش إلى العنف ، لا يدل على رفض الحداثة ، وإنما هو نتاج هذا الوضع . إن الاحتمال ضئيل فى أن يتمكن الإسلام فى يوم من الأيام من إلغاء المسافة بين مشروعه الجماعى (الذى يخص الأمة والجماعة) وبين الخفقات الفردية عند المؤمنين ، وذلك دون إقامة نظام سياسى متحكم . ولكن ، أليس العنف الذى يسم العلاقات الاجتماعية فى الجزائر يعبر عن آخر مراحل المقاومة التى يبديها المجتمع التقليدى ، قبل ظهور مجتمع حديث يبرز فيه الفرد بوصفه مواطنًا ؟

(٥)

طرق العودة إلى الإسلام

إن مسالك العودة إلى الإسلام ، وقد حفرت بعمق فى التجارب والخبرات العائلية والتربوية والاجتماعية المتفردة ، فهى لا تمضى فى اتجاه واحد ، ولهذا السبب ، فهى أيضًا لا تقرأ فى يسر وسهولة إلا بالغوص فى حميمية الحياة والانتظارات والتوقعات والانتكاسات والالتزامات التى مر بها من خبروها وساروا فى دروبها . وحسين ومصطفى مثالان على ذلك .

استعادة الشعور بالاحترام

عاش الشاب حسين تجربة العودة إلى الإسلام وهو فى سن المراهقة . ولد عام ١٩٧٠ فى حى شعبى فى العاصمة . كان جداه لوالده فلاحين متواضعين يفلحان الأرض ويربيان الماشية فى إقليم جيجيل Jijel . أثناء حرب الاستقلال ، كانا يزودان المجاهدين بالمؤن . ولد الأب ١٩٤٢ واستقر فى الجزائر عام ١٩٥٤ ، بعد أن هجر قريته التى ولد فيها . عمل فى البداية مرءوسًا فى وظيفة فى القطاع العام ، قبل أن يلحق بأحد المطاعم ، ثم عمل سائقًا لسيارة أجرة . واستطاع أن يلتحق بالدراسة مساءً مما ساعده على تعلم اللغة العربية قراءة وكتابة وقشور من اللغة الفرنسية . فى ١٩٦٧ وهو فى سن الخامسة والعشرين تزوج من فتاة من إحدى القرى القريبة من قريته جاءت إلى العاصمة فى عام الاستقلال . كان أبوها قد عاد من فرنسا بعد دراسة المحاسبة وانخرط فى جبهة التحرير الوطنى فى مقاطعة جيجيل حيث عمل محاسبًا نظرًا لتمكنه من اللغة الفرنسية . فى ١٩٦٨ ، رزق بأول مولود وهو طفلة هى الآن ترتدى الحجاب بعد أن انتهت من دراستها العلمية ، وهى بلا عمل بالرغم من حصولها

على الشهادة . وكان حسين المولود الثانى . وكان الثالث طفلة ولدت فى عام ١٩٧١ ، التحقت ، بتأثير حسين بالدراسات الإسلامية ، وهى ترتدى الحجاب أيضًا . ثم رزق الأب بابن ثان عام ١٩٧٢ قطع الدراسة الإعدادية ، وعمل فى قطاع صناعة الملابس قبل أن يلتحق بالجيش حيث أدى الخدمة العسكرية . وهو، وإن لم يكن يرتدى القميص على خلاف حسين ، متعاطف مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وقد رزق الأب بعده بستة أبناء آخرين . أولهم فى عام ٧٤ ، درس الإدارة والقانون واشترك فى النضال فى صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو يرتدى القميص . أما الثانى الذى ولد عام ١٩٧٥ فقد ترك المدرسة ليلتحق بعمل فى مجال صناعة الملابس ، قبل أن يعمل فى تجارة الحقيبة (الشنطة) وهو يتمسك بانتمائه للجبهة الإسلامية للإنقاذ مع أنه لا يلتزم بالمظهر الخارجى . أما الثلاثة الآخرون الذين ولدوا فى ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٢ تباعًا ، فهم على التوالى فى الفرقة الخامسة والثامنة والتاسعة . والثلاثة يصومون رمضان . أما آخر الأبناء العشرة فقد ولد عام ١٩٨٧ وهو مصاب بتخلف عقلى ، لم يتمكن أهله من إلحاقة بمدرسة متخصصة. ويعيش أفراد الأسرة الاثنا عشر فى شقة من حجرتين استأجرها الأب منذ عام ١٩٦٢ بمائتى دينار فى الشهر . ولكن ، عائلة عم حسين ، وهى تتكون من ستة أفراد ، ظلت تشاركهم الشقة لمدة أحد عشر عامًا . وكان لابد من الصبر وقوة التحمل وأحيانًا روح الدعابة لاحتمال الضجيج والإزعاج . وإذا كان البيت مزودًا بالماء الجارى فإنه ليس به هاتف بالرغم من كثرة الطلبات المقدمة . ويبلغ دخل الأسرة الشهرى بين عشرة وخمسة عشر ألف دينار حسب راتب الأب . ويتقاضى حسين راتبًا بسيطًا ، ثلاثة آلاف دينار فى الشهر ، من إحدى دور النشر للكتب الإسلامية .

ويحتفظ حسين بذكرى السنوات الصعبة فى طفولته : " النشأة فى حى شعبى ليس بالأمر الهيّن . كانت لنا عادتنا وتقاليدنا ، منها أن المرأة لا تتحمل عبئًا . فكنت أقوم بنفسى – بالإضافة إلى دراستى ، بجميع المشتروات الخاصة بالبيت "[1] .

وما يزال حسين يتحسر على أيام القرية التى ظل حتى سن السادسة ينتقل إليها لزيارة أجداده خلال العطلة المدرسية . وهى ذكرى تقترن دائمًا بالحنين . " كل شىء نظيف ، واضح ، أصيل ، كنت استيقظ فى الصباح قبل شروق الشمس .

(١) لقاءات فى العاصمة ثم فى باريس بين نوفمبر ١٩٩٢ وديسمبر ١٩٩٤

وكان عند جدتى أبقار ، فكانت تعدّ لى أكوابًا كبيرة من اللبن . وكنت أزور سكان القرية . كنا نصطاد السمك معًا . وكنا نذهب فوق البغال لإحضار الماء . وكنا نتسابق فى الطريق . وكنت شديد الارتباط بعمّتين لى كانتا تعيشان هناك . إحداهما كان لها ابن فى مثل عمرى . كنت أقوم بأشياء كثيرة فى الريف " .

والحقيقة أن عائلة حسين لم تكن مهيأة لكى تعيش الانقلاب الذى يمثله الانتقال المفاجئ من الريف إلى المدينة . لذلك لم يكن حسين راضيًا بذلك ، وكان يحاول أن يكيف نفسه مع المحيط الجديد الذى لا يفهم قواعده وعاداته . " فى الريف ، البيوت معزولة ومتباعدة. حينما يمر المرء بالقرب من امرأة يخفض كل منهما رأسه . فلا تظهر المرأة لأى أحد . لقد احتفظت القرية بالعادات الإسلامية . " ومع ذلك ، فإذا كان حسين يحتفظ بذكريات الريف ، فقد أصبح يحمل قيمًا حضرية تجعله يصطدم ببعض العادات القروية . " بعض العادات الريفية ليست إسلامية . فمثلا ، فى أفراح الزواج ، يقوم بعض العجائز بالعزف على الناى ودق الطبول ، وترقص النسوة . وهذا ليس من الإسلام فى شىء" . وعلى شاكلة إخوتهم الكبار ، أراد حسين ورفاقه أن يفرضوا بعض العادات على المجتمع الريفى الذى خرجوا منه وفقدوا الكثير من ملامحه . " منذ عام ١٩٨٥ ، انقطعت هذه العادات لحسن الحظ. فقد أصبح لجماعات المساجد نفوذ كبير فى القرى. فالآن ، الذين يريدون إحضار الموسيقيين عليهم أن يدفعوا الغرامة للمسجد . وأسرتى التى ظلت مرتبطة بالعادات ، تأثرت بالحركة الإسلامية وعودة الإسلام . وهى تعود شيئًا فشيئًا إلى الإسلام وتحاول أن تسير فى الطريق القويم " .

والتحق حسين بالمدرسة فى سن السادسة . وتعلم العلاقات الاجتماعية الخاصة بالحضر. فبدلاً من الود والصفاء فى الريف ، وجد العنف فى المدينة . وأصبح حسين زعيم عصابة . " عرفت فى المدرسة أولادًا أكثر منى قسوة ووحشية . كنت قد تعلمت القسوة . لأن فى الأحياء الشعبية هناك كبار يسرقون ويقتلون . أما أنا فكنت قاسيًا تقريبًا . كنت أمارس الكاراتيه فى الريف وكنت أغلب أصدقائى . وفى المدرسة صادفت من هم أقسى منى . وقد سرقوا منى قلمًا فثارت ثائرتى . وكونت عصابة من اللصوص وقررنا أن نسرق . كانوا يسرقون ويحضرون لى الحصيلة . وكنا نتقاسمها فى نهاية كل شهر " .

ويذكر حسين تلك الفترة على أنها زمن " الإجرام " . فى حين كانت أسرته أسرة "محترمة" . كان يرتكب الجرائم وكان من الممكن أن يظل هذا العار لاحقًا به إلى الأبد . كذلك فقد بدأ يؤمن أنه يسعى نحو الضياع . واتضح له جليًا أن عالم القرية كان من الممكن بكل تأكيد أن يحميه من مثل هذا الضياع . " فى الريف ، كنت أشعر أنى فى مكان آمن . كان من الصعب على المرأ أن يسرق أو أن يخلق مشاكل ، لأن الناس جميعًا يعرف بعضهم بعضا ." وجاءته الهداية على يدى معلم للغة العربية لعب دوراً رئيسيًا فى " تحوله إلى الإسلام . "كان المعلم إذا حان وقت الصلاة يوقف الدرس ويعلمنا الصلاة . وهذا ما ينبغى أن يكون فى المدرسة الإسلامية . لقد تأثرت كثيراً لدرجه أننى بدأت أصلى " .

زودت التّوبة حسين بمعايير جديدة جعلته ينظر لما حوله نظرة جديدة . أدرك أن اللصوص لديهم عذرهم . لكن كان من الممكن أن يعملوا فى تجارة الحقيبة ليكونوا فى سلام مع خالقهم . ثم وجد علاقة سبب ونتيجة بين حماسته الدينية ونجاحه فى الدراسة . لقد أصبح الثانى على أقرانه فى الفصل . وقليلاً ما يذكر حسين أباه . وكان يأسف لأنه لم يهتم بتعليمه أمور الدين . لكنه يتحمس وينفعل لذكرى الرجال الذين تركوا أثرًا فى حياته الأولى . مثل معلم اللغة العربية ، وخاله الذى كان يصحبه إلى شاطئ البحر . كان يلاحظ أن الكثير من الناس يملكون أشياء لا يملكها. وأن الأطفال الآخرين لهم إخوه كبار يحمونهم من اعتداءات الآخرين .

وعوضًا عن الإخوة الكبار ، التقى حسين " بإخوته " فى سن السادسة عشرة ، فقد تعرف على جماعة من الزملاء الذين عادوا إلى الإسلام وأقنعوه بالانضمام إلى حلقة صغيرة تجتمع حول الشيخ الهاشمى سحنون " . كنت أشعر أن هؤلاء الزملاء أسمى منى بسبب أخلاقهم الحميدة . وهذا ما جذبنى للانضمام إليهم . كذلك فقد كان الإسلاميون فى فرقتى هم أكثر الزملاء تفوقًا فى دراستهم . كنت أحب أن ألتقى بهم، لأنهم كانوا أقوى منى " .

أصبح الالتقاء بهم يوفر لحسين نوعًا من الاحترام الذى كان يحلم به : " حينما بدأت أمارس شعائر الدين ، عرفت كثيراً من الأصدقاء ، بدأنا نلتقى فى المســاجد .

فى البداية كنت لا ألتقى بأحد فى الحى . كل ما هناك : صباح الخير ، مساء الخير. لذلك كان الناس يحبوننى ولا يذكرون الآخرين بسوء أمامى. حينما كانوا يروننى مقبلاً، كانوا يخفضون صوت المذياع . بالإضافة إلى الشيخ الذى كان يدير الحلقات فى المسجد ، كان هناك المرشد العام ومدرسون شبان كانوا يعاملوننا كإخوتهم . كانت علاقتى بالشيخ سحنون وطيدة . وكنت أشعر أننى لا يمكن أن أنفصل عنه " .

وكان دخول حسين فى الإسلام أشبه بميلاد جديد . وحاول حسين أن يكوّن مجموعة ويلقى عليها الدروس التى تعلمها لكنه صادف معارضة من إمام المسجد الذى اختاره ، لأن الرجل كان يخشى انقطاع راتبه الذى يأتيه من الوزارة . فتحايل حسين ورفاقه لجمع مبلغ من المال لتعويض الرجل عن الراتب . واستطاع حسين أن يعطى الدروس . وشارك فى تنظيم رحلات إقامة على شاطئ البحر . كانوا يستيقظون فى الرابعة صباحًا ويبدءون يومهم بالصلاة وحلقة درس لمدة نصف ساعة ، ثم حفظ القرآن ومدارسته لمدة ساعتين . بعد ذلك تخصص فترة الصباح للرياضة والسباحة . وبعد الراحة يحضرون حلقات الدرس مرة أخرى ، ويدرسون علوم الدين حتى يحين العشاء . كذلك كان حسين يشارك فى أعمال الخـــير التى تنظمها جمعية المسجد . كان يحصى العائلات الفقيرة ويوزع عليها كل شهر جزءًا من حصيلة الزكاة .

الاندماج مع الناس والتعايش الاجتماعى

بسطت المساجد التى أصبحت تابعه للحركة الإسلامية مجال نشاطها شيئًا فشيئًا على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية فى الأحياء . فمن عقد الزواج إلى طهارة الأطفال إلى غسل الموتى وتكفينهم ونقلهم إلى المقابر ، كل ذلك يتم على نفقة الجمعيات الخيرية التابعة للمساجد .

فحينما وقع الزلزال الذى هز منطقة تيباسا فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٨٩ ، بلغ مجموع التبرعات التى جمعت من مساجد الإقليم وحدة مليون وثمانية ألف دينار . ومع غياب الوجود الفعلى للدولة ، قامت المساجد أيضا بجمع المواد الغذائية والأغطية والملابس التى امتلأت بها ثلاث وثمانون عربة نقل وخمسون سيارة يتبعها أكثر من

ستمائة متطوع انطلقوا جميعًا إلى القرى المتضررة . كما قدمت لجان الإعانات فى المساجد مبلغ عشرة آلاف دينار (خمسة عشر لأكثر الأسر حاجة) لكل أسرة من أسر الضحايا الأربع والعشرين . فى حين تم تقديم ألف دينار لكل متطوع شارك فى عمليات الإغاثة .

كذلك مارس بعض أئمة المساجد عمليات فك السحر وطرد الشياطين من الأشخاص الممسوسين ، وهى عادة قديمة تم تهذيبها والاستعانة فيها بآيات من القرآن الكريم . ولعل انتقال الأسر من القرى إلى الحضر لم يصحبه التكيف المناسب مع أسلوب الحياة الجديدة ، مما سبب الاضطرابات النفسية والاجتماعية ، كذلك نشأت مثل هذه الاضطرابات بسبب عدم الاستقرار العاطفى وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الجنسين . الأمر الذى ملأ مستشفيات الأمراض النفسية بالشبان المصابين بحالات المس . والكثير منهم ، بعد أن فشل علاجهم ، لجأوا إلى الأشخاص الذين يعالجون هذه الحالات عن طريق التعزيم والتعويذات . ومن الملاحظ أن المصابين بمثل هذه الحالات شبان وشابات بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين . ومن الجدير بالذكر أن تردّد هؤلاء المرضى على العيادات النفسية قد انخفض بعد ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

فى انتظار الدولة الإسلامية

كان حسين ، مع قيامه بالأنشطة الدينية ، يتمرد على المدرسة الثانوية حتى رسب فى البكالوريا عام ١٩٨٩ . بعد ذلك سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث حاول التسجيل فى أحد المعاهد الإسلامية حتى يعود إلى الجزائر ليقوم بالتدريس فى الجامعة الإسلامية بالعاصمة . وفى مكة ، حيث أدى العمرة ، تقدم لامتحان لهذا الغرض . ولما تم قبوله ، عاد إلى الجزائر فى انتظار خطاب يؤكد قبوله . لكن الخطاب لم يصل . ولعل السبب فى التأخير كان بطء الإجراءات الروتينية . غير أن حسين يصرح بأن " الجزائريين أصبحوا لا يطاقون فى السعودية لأنهم متهمون بأنهم يستغلون فرصة الحج للسفر إلى أفغانستان " .

واليأس الذى يعود على حسين لا يعود إلى هذا الموضوع وحده . إنه يشعر بنوع من الاكتئاب الذى لا يرجع فقط إلى فترة المراهقة التى يمر بها : " أحيانًا ، أشعر باليأس لدرجة تجعلنى أشعر بالرغبة فى مغادرة البلاد . الحياة صعبة اليوم فى الجزائر . نشعر كأننا غرباء فى بلدنا . الحد الأدنى الذى ينبغى أن يتوافر للشخص فى بلده ، لا يوجد " .

هذا الحد الأدنى ، هو بلا شك الوظيفة والسكن اللذين بدونهما لا يكون المرء " مندمجًا " فعلاً فى المجتمع حينما يكون قد هاجر إلى الحضر حديثًا . إن رب الأسرة اليوم لا يستطيع أن يوفر الحد الأدنى لأسرته . لقد أعرض حسين عن الزواج من ابنة عمه لأنه لا يستطيع أن يفتح بيتًا . وحسين لا يحمّل الجزائريين تبعة هذه الأوضاع . السبب هم "الأجانب " الذين وضعوا أيديهم على البلاد . " معظمهم من الغربيين . وبعضهم شيوعيون، وفرنسيون . ومنذ سنوات بدأ الأمريكيون يدلون بدلوهم " .

إن دمار المجتمع التقليدى فى صورة الفوضى الجنسية يجعل من الحفاظ على أصالة " الشخصية النسائية " الضمان الوحيد لاستمرار النظام الأسرى وبالتالى الاجتماعى .

إن أمل حسين اليوم هو إقامة الدولة الإسلامية التى تقوم على الشريعة ، مع الأخذ فى الاعتبار جميع المستحدثات التى طرأت على المجتمع . وهو يخشى من تسلط شهوة المال. ولكى يحفظ المجتمع الجزائرى من هذا الوباء ، يرى أنه من الضرورى الالتزام بقواعد الإسلام، فهى التى ستقرب الفوارق . والمرأة فى نظره يمكن أن تعمل ، ولكن فى المحيط المخصص لها . وبالنسبة لزوجته فى المستقبل ، فهو يريدها "سلفية متدينة" ترتدى الحجاب . أما عن الدولة الإسلامية فهو يضيف قائلاً : " الفرق بين النظام الحالى والنظام الإسلامى هو أننى سوف أعثر على هويتى. أنا جزائرى قبل كل شىء ، وأريد أن أجد مكانا فى بلدى . لن أكون مطالبًا دائمًا بالتفكير فى المستقبل . فى حين أننا اليوم لا نعرف إلى أى وجهة تمضى الدولة . ليس هناك قواعد . ليس لدينا ثقة فى الحكومة والدولة مما لا يسمح للناس بالعمل بشرف وأمانة " .

ويشعر حسين بالمرارة لاستبعاده من الحزب بعد استيلاء التقنيين على السلطة ، كما يلوم القادة على أخطائهم . " الماضى بالنسبة لى ، كان تجربة عشتها فى مدة قصيرة . هى جزء من حياتى . أدركت السبب الذى أوصلنا إلى هذا الحال . إنها تجربة إيجابية بالنسبة لى (...) وهذه التجربة لن تتجمد . إنها أول تجربة سياسية للإسلاميين من الجزائر . ولقد ارتكبوا الكثير من الأخطاء . أخطاء عباس مدنى . أخطاء مرشحى الجبهة الإسلامية للإنقاذ . كل ذلك جاء من فوق ، من القمة وحينما تكون القمة غير مستقيمة ، فالكل يقلدون .

" خاب أملى فى الطريق السلمى " وظل حسين يترقب الفرصة المناسبة لينضم إلى رفاقه فى " الأدغال " الإسلامية . ولكنه يأخذ حذره . وإذا كان مقتنعًا أن الجهاد هو الآن الرد الوحيد ، فلا ينبغى مع ذلك التسرع ويلقى بنفسه فى مغامرة يكون من الصعب الخروج منها. لذلك بدأ يتعلم اللغة الإنجليزية لينخرط فى محيط العمل "بزنس إيز بزنس" هكذا يقول دائمًا ." لدينا تجربة أسلافنا . الطريق الوحيد للدولة الإسلامية هو الجهاد . مهما كان الطريق الذى تختاره فلابد أن تصل إلى الصعب . الخبرة الحديثة تبين لنا ذلك . ما من دولة إسلامية حصلت على السلطة عن طريق الانتخابات . ولكن ينبغى القول إنه لسنا نحن الذين اخترنا هذا الطريق ، إنهم هم ، السلطة ، الذين أجبرونا على اختيار هذا الطريق . الشرط الأول ، هو أن يكون لدينا من الرجال ما يكفى ، والتموين . أن تكون على درجة من المساواة مع السلطة . إذا وجدت أننا مستعدون للجهاد ماديًا وبشريًا ، فلن أتردد " .

حدود الاستراتيجية القانونية

خفّت حدة تقمّص الرغبة فى القطيعة التى تعبر عنها الحركة الاجتماعية عند الجبهة الإسلامية للإنقاذ بوصول التقنيين الشبان إلى قمة الحزب . إن انتماء هذه الإدارة الجديدة إلى نخبة معينة ، واستراتيجيتها التى تميل إلى الاندماج فى اللعبة

السياسية والدخول فى المساومات مع السلطة بعد ذلك ، كل ذلك أصبح يتعارض تعارضًا صارخًا مع تزمت القاعدة التى تتمثل فى أطر المرءوسين المهمشين من جانب "أرستقراطية" الإدارة الوطنية .

ومصطفى الذى أصبح منذ إلغاء عملية الانتخاب ، عضواً نشطًا فى إحدى الجماعات المسلحة ، كان أحد هذه الأطر المرءوسة .

كان والد مصطفى وهو فى الأصل من " خراطة " فى منطقة جيجيل قد استقر فى العاصمة عام ١٩٢٩ . ومنذ ذلك التاريخ مارس العمل فى قطاع الإنشاءات . كان عمر مصطفى عدة شهور حينما مات والده عام ١٩٥٤ . وقد تزوجت أمه بعد موت أبيه . وتربى مصطفى فى بيت زوج أمه . وكان موظفًا فى أحد المحلات المملوكة لأحد المستوطنين الفرنسيين . كانت الجزائر قد حصلت على الاستقلال حينما بدأ مصطفى يلتحق بالمدرسة . وحتى عام ١٩٦٦ ، كان الفرنسيون هم الذين يقومون بالتدريس . وقد احتفظ مصطفى ببعض المعلومات باللغة الفرنسية . وفى عام ١٩٦٨ قرر عدم التقدم لامتحان الشهادة الإعدادية وقرر الدخول فى الحياة العملية بدلاً من مواصلة دراسة لا يدرى إلامَ تقوده فى النهاية . وتقلب مصطفى وهو فى سن الرابعة عشر فى العمل بين بعض المهن غير المستقرة تارة ، والبطالة تارة أخرى . (منظف سيارات ، بائع فى محل بقالة) وفى عام ١٩٧٥ التحق بالعمل فى إحدى الكافيتريات . وهو يحدد هذه المرحلة ببداية دخوله فى طريق "الانحراف" البطيء الذى قاده إلى إدمان الخمر . " كنت حبيساً داخل زجاجة . كنت أعيش حياة أشبه بحياة الحيوان . بل كنت حيوانًا فعلاً "(١) . كانت تلك هى الفترة التى كان يتردد فيها على الخمارات . ولكى يكسب قوته ، امتهن مصطفى بعض الأعمال التافهة دون أن يوفق إلى عمل ثابت . ولكن فى عام ١٩٧٩ ، بعد وفاة الرئيس بومدين بقليل ، كان " البعث الجديد " . فيما كان يتردّى من هاوية لهاوية ، إذا بالإيمان يهبط عليه ، ويحقق له الراحة النفسية ، والاستقرار المهنى . " فى عام ١٩٧٩ لم أكن أؤدى الفرائض. بعد وفاة بومدين . أصبحت أؤدى الفرائض . ذات يوم كنت مخموراً ،

(١) لقاءات بين مارس ١٩٩٣ ونوفمبر ١٩٩٣

وشعرت بالخوف من أن أموت على تلك الحال. رأيت سكان الحى يذهبون إلى المسجد ، فذهبت معهم وأصبحت أؤدى الفرائض ، لأننى كنت أخشى أن أموت على تلك الحال . أدركت أننى لا أسير فى الطريق المستقيم . امتنعت عن الشرب وبدأت أتردد على مسجد الحى . وكرست من وقتى جزءاً كبيراً للتعمق فى علوم الدين الإسلامى . شجعنى على ذلك طالب متخصص فى العلوم الإسلامية . لقد أخرجنى الإسلام فعلاً من الظلمات إلى النور . قدم لى زاداً روحياً كنت فى أشد الحاجة إليه " .

والآن أصبح مصطفى ملتحياً ، وهو يرتدى الجندورة . يريد أن يتشبه بالرسول ﷺ . الحكومة الكافرة فى رأيه هى المسئولة عن جميع الشرور التى تهدد الوحدة الاجتماعية، ولا يصلح هذا الوضع إلا دولة إسلامية . إنه يعلن أنه مدين للإسلام بنجاته وخلاص روحه ؛ وهكذا فينبغى على الجزائر أن تلجأ إلى الإسلام لتحقق النجاة الجماعية لأبنائها . بينما كان عباس مدنى يغذى الاضطرابات فى الكليات ، ومصطفى بويالى يتحدى الدولة حاملاً السلاح ، تعرضت الحركة الإسلامية للقمع فى جميع المجالات وفى جميع أنحاء البلاد . ومصطفى لم يفلت من ذلك ، فقد كانت هيئته وحدها كفيلة بأن يتم القبض عليه ويودع فى السجن . " حركة بويالى أعطتنى الكثير ، هذا صحيح . ولكن ، لما كنت ملتحياً وأرتدى الجندورة ، قبضت علىّ الشرطة . وقد فكرت فى ذلك : لماذا فعلوا ذلك معى ؟ وقد وجدت الإجابة : لأنهم أعداء للإسلام . أثناء القبض علىّ ، أدركت أنه لابد من محاربتهم . كنت أريد أن أنتقم . ولكن لم أكن أملك الوسيلة " .

وإذا كان مصطفى يؤيد بويالى فى أنه حدد فى حركته " الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى الدولة الإسلامية " ، لأن أسلوب التدرج يؤدى إلى طريق مسدود ، الطريق الذى يؤدى بدوره إما إلى التحالف مع الحكومة وإما إلى الهلاك " . ومع كل، فإن مصطفى كان يرى أن الوقت غير مناسب . وهو يفضل العمل فى إحدى الجمعيات الخيرية . "كنا نساعد الفقراء وأبناءهم . كنا نشترى لهم الملابس ونقدم لهم المساعدات المادية بمناسبة الأعياد الدينية . كنا أيضاً نساعد الناس فى بناء بيوت لهم . وكانت الجمعية تتدخل فى فض النزاعات والخلافات ، وأيضاً فى حالات الطلاق والميراث . كانت تساعد المعلمين الذين يساعدون التلاميذ فى الانتقال إلى الفرق الأعلى . كان من بين أعضاء الجمعيات الطبيب والممرض والممرضة الذين يقدمون النصائح للعائلات . وخلال العطل ، كنا ننظم الرحلات للأطفال . كان الناس جميعاً يحترموننى " .

تحقق احترام الناس لمصطفى ، ومعه شيء من يسر الحال . وبدأ مصطفى يعلن، عن طيب خاطر وعن اقتناع ، عن المظاهر الخارجية لانضوائه الدينى الجديد " أنا لم أنخرط فى الحركة بسبب سخط اجتماعى فأنا غنى ، وإنما بسبب اقتناع عقائدى . أنا لست فقيراً . أنا أملك المال . وعندى سيارة ، ومنزل . والناس يقصدوننى طلبًا للمساعدة . بعض الناس لا يقبلون على الجهاد لأسباب مادية تمنعهم . أما بالنسبة لى فالمسألة مسألة عقيدة " .

ويحمل مصطفى على القيود التى كانت تفرض عليه وعلى زملائه فى الحزب . فقد كانوا غير راضين عن استراتيجية الحزب ... لذلك فقد كان مصطفى يحلم بثورة شعبية . " فنحن فى بلدنا " . هذه التقائية لم تكن تروق قادة الحزب الذين كانوا دائماً يدعون مصطفى ورفاقه إلى احترام النظام . " كانوا غير راضين ، للأسف ، خاصة عباس مدنى . كان يخشى أن يتحمل مسئوليه ذلك . حتى على بن حاج ، لم يكن يوافق أبداً على الحركة المسلّحة . كان يؤيدها ، ولكن كان يقول " ليس هذا وقتها " .

وبالرغم من تحفظاته على سياسة الحزب ، كان مصطفى يشارك بكل نشاط فى حملة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الحى الذى كان يسكنه . " لا أستطيع أن أقف ضد إخوانى . حتى لا أعارض قادتى . ولكننى كنت أدرك أن الأمر سينتهى نهاية سيئة مع الحكومة الجزائرية . ومع الحكومات فى العالم العربى أيضاً . لن يصلوا إليها أبدا فى مصر والمغرب وتونس وليبيا " .

وعرف مصطفى أنه مطلوب للقبض عليه . فحاول التخفى والهرب ولكنه لم يجد مفراً من اللجوء إلى الأدغال ليلحق برفاقه ." بالنسبة لهم لم يعد الوقت وقت كلام . فبعد الجهاد باللسان ، يأتى الجهاد باليد . لقد قمنا بالجهاد بالكلام ، وبأعمال الخير ، وبالتصويت . فلم يفلح ذلك . والآن ، لدينا وسيلة أخرى هى القوة . الجهاد الأصغر" .

وتضم الجماعة ، بالإضافة إلى أصدقاء مصطفى ، وهم فى الأصل معارضون لسياسة الانتخابات ، عدداً من " المحبطين " الذين سلكوا فى السابق الطريق السلمى، وهناك أيضاً مناضلون مطلوبون ، وجدوا فى الأدغال العون الطبيعى لكل رجل مطارد ، ووسيلة لإخراج الغضب الذى يسكن فى صدورهم .

وبالنسبة لمصطفى ، فإن الميلاد الفعلى للجماعة يرجع إلى شهر يونيو ١٩٩١ ، حينما تدخل الجيش باستعراض القوة لتفريق المناضلين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذين كانوا يعسكرون فى ميادين العاصمة بموافقة رئيس الحكومة ، مولود حمروش .

" بدأ ذلك ، فى الخامس من يونيو ١٩٩١، شاهدنا المؤمنين المناضلين ينامون فى الميادين العامة وزمرة العسكريين يحصدونهم فى الثانية صباحًا . فى ذلك اليوم قلنا، خلاص ، لا حوار ، لا أحد يمكن أن يوقفنا ، لا عباس مدنى ولا على حاج . لقد شرعنا فى تنظيم أنفسنا بعد مذبحة يونيو ١٩٩١ " .

وبينما ، المسئولون فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يناضلون من أجل " حل إسلامى" جزائرى صميم . فإن مصطفى يجعل من " المعركة سلسلة ينبغى أن تدفع المسلمين إلى تحرير القدس ، كذلك يريد مصطفى الخروج من دائرة الجزائر الضيقة : " الوطنية تعنى حدودًا معينة . أما نحن ، فإن وطنيتنا هى الإسلام . كل مسلم ينبغى أن يجد مكانه فى الجزائر ، أيا كان جنسه . لن تطلب منه الأوراق . فقط نسأله إن كان مسلمًا أم لا . إذا كان هناك طريق واحد ، فعلى الجميع أن يسيروا فى هذا الطريق . الجميع يصومون رمضان . لن نسأل المسلم عن جواز سفره فى الجزائر . فإذا كان لا يؤدى الصلاة ، أقيم عليه الحد ، كما تقضى الشريعة . والله تعالى هو الذى سيحاسبه " .

وتنقطع صلة مصطفى برفاقه على أثر إحدى عمليات قوات الأمن ، ولا يستطيع أن ينضم إليهم . لذلك فقد قرر السفر إلى أوروبا . وهناك علم بحكم الإعدام الغيابى الصادر ضده . ولكن لم يكن هذا هو مصدر قلق مصطفى الوحيد ، ولكن الذى كان يقلقه حقًا هو موقف قادة الحزب الذين لا يريدون إعلان الجهاد . هذه هى العقبة الكبرى . ما يزال لديهم الأمل فى الوصول إلى السلطة فى حالة تخلى الحكومة عنها .

إن الحركة الإسلامية الراديكالية التى ولدت من مواجهة السلطة ، تتغذى أيضًا على القمع الذى تكشف من خلاله عن طبيعة الدولة – الوطن ، التى هى جوهر هذه السلطة . والعنف الذى تمارسه الدولة ، إذ يقوّى العزائم ويشجع على تكوين الشبكات السرية ، سيكون هو الابتلاء البنّاء على أعلى مستوى لهؤلاء المناضلين الراديكاليين الجدد .

الباب الثالث

ابتلاء العنف السياسى

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾

[سورة الحج ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠]

بنسبة ٤٧,٢٧٪ من الأصوات الصحيحة ، ومائة وثمانية وثمانين مقعداً من مجموع الأربع مائة والثلاثين ، فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزاً ساحقاً بالدورة الأولى من الانتخابات التشريعية التى أجريت فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ . ولم يعد هناك شك فى مقدرة الحزب فى الحصول على أغلبية الثلثين الضرورية لمراجعة وتغيير الدستور . وبينما كان الرئيس شاذلى يتوقع عشية الدورة الأولى ألا تتجاوز نسبة الحزب ثلاثين فى المائة ، أصبح يواجه تشكيل حكومة ائتلافية مع الإسلاميين . ومع ذلك. فإن انتصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ من شأنه أن يغير قليلاً من موقف الرئيس . لم يعد الأمر يتعلق باشتراك الحزب فى ائتلاف حكومى ، بل ينبغى العمل قدر المستطاع على تقليل انتصاره فى عيون الجيش منعاً لتدخله .

ولكن العسكريين لم ينخدعوا ولم يقبلوا أن تفلت من أيديهم مراقبة عملية " تطبيق الديمقراطية " التى دعموها فترة . لذلك ففى الرابع من يناير ١٩٩٢ ، ضغطوا على الرئيس لكى يحل مجلس الشعب الوطنى فى كتمان شديد ، حتى إذا حدث وخلت السلطة التنفيذية ، لا تؤول إلى رئيسها ، وهو عبد العزيز بلخادم المتورط هو أيضاً فى مفاوضات الرئاسة مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى اليوم الحادى عشر ، بينما كان الجيش قد بدأ فعلاً فى الانتشار فى أنحاء البلاد ، استقال الرئيس بإيعاز من مائة وثمانين ضابط فى الجيش الوطنى الشعبى وتواطؤ رئيس الوزراء سيدى أحمد غوزالى . ومرة أخرى تحدث منافسات إقليمية شخصية وصراعات بين الفئات داخل جهاز الحزب الواحد السابق مما يتوافق مع طموحات أركان الحرب . كان غوزالى لا يميل إلى السماح " لبارونات " جبهة التحرير الوطنى بتجديد شبابها داخل ائتلاف إسلامى وطنى . لذلك فقد انضم للجيش الذى كان حريصاً كل الحرص على مكاسبه وامتيازاته والتى اعتقد أنه لابد سيفقدها فى حالة وصول الإسلاميين للسلطة . وكان موضوع استيلاء السلطة على مبلغ الستة والعشرين مليار دولار يؤرق ضمائر الناس الذين يتعجلون يوم تقديم الحساب .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد لقى الانقلاب التأييد من فئة المثقفين الفرنكوفونيين الذين يعتقدون أن وصول الإسلاميين للحكم يضرهم ولا ينفعهم . وقد التفت هذه الفئة حول ما يسمى المجلس الوطنى لإنقاذ الجزائر وهو يضم كذلك مناضلين من حزب الطليعة الاشتراكى و التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذين صوتوا من أجل إلغاء الإجراءات الانتخابية . كما أيدّ الانقلاب الاتحاد الوطنى للمقاولين العموميين والاتحاد العام للعمال الجزائريين . كذلك فإن بعض المثقفين الذين ظلوا بعيدين عن السلطة بادروا بتأييد الجيش . لم يبق إلا أقلية من المثقفين ، يتكونون من أطر جبهة القوى الوطنية وأشخاص مستقلين ، أصرّت على إيجاد " طريق ثالث " غير أنصار الدكتاتورية العسكرية والدكتاتورية الإسلامية ، يجمع كل قطاعات الرأى – بما فيها الإسلاميين – حول حوار " حقيقى " .

وفى الثالث عشر من يناير ، أعلن المجلس الأعلى للأمن ، الذى أصبح يتولى أمر البلاد ، إلغاء عملية الانتخاب ، مما فجر غضب عبد القادر حاشانى الذى أعلن " عدم دستورية " استقالة الرئيس ، ناعتا إياها بأنها " حلقة فى مكيدة شاملة تفتح الطريق لمؤامرة ضد الجزائر والمشروع الإسلامى " . وفى الرابع عشر ، استدعى الجيش الرجل الذى كان يعتقد الجيش أنه يستطيع أن يصنع المعجزات ، وهو محمد بوضياف – الرجل الذى كان يتمتع بالشرعية التاريخية الممنوحة " لمجموعة الاثنين والعشرين " – كذلك فإن بوضياف كان يجسّد نوعًا من الثأر بالنسبة لأولئك الذين تم استبعادهم عن السلطة عشية أزمة صيف ١٩٦٢ . لقد حانت بالفعل الفرصة بالنسبة لقدامى الاتحاد الفيدرالى الفرنسى مع الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، ذلك الاتحاد الذى كان بن بيلا قد استبعده ، حانت الفرصة لكى يحققوا عودة إلى السياسية كانت بعيدة المنال . كذلك كانت فرصة "لبارونات " النظام الذين استبعدتهم مجموعة شاذلى للعودة إلى مقدمة المسرح السياسى . وفى صبيحة اغتيال الرئيس بوضياف على أيدى عناصر من حرسه الخاص فى يونيو ١٩٩٢ ، استقر فى السلطة أولياء (النظام القديم) كما تحلو تسميته باعتبار أن الجزائر تغيرت فى يناير ١٩٩٢ . وفى مواجهة تصاعد العنف ، اقترح بعضهم وهم " المصالحون " بدء حوار " مع المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى حين طالب آخرون يعرفون باسم "المستأصلون " بالتصفية الجسدية لكل أشكال المعارضة الإسلامية .

ومنذ أواخر شهر يناير ١٩٩٢ ، وبعد أن أعلنت الحكومة عن نيتها فى تطبيق قانونها حول المساجد وقام محافظ العاصمة بمنع أى تجمع حول أماكن العبادة ، قامت مصادمات عنيفة بين المتظاهرين وقوات النظام . وبعد تكرار نداءات الالتزامات بالنظام والهدوء وإرسال خطابين إلى الرئيس بوضياف ، قام عبد القادر حاشانى بالتوقيع على بيان يدعو المناضلين بعدم الخضوع لضغوط السلطة . وسرعان ما تم القبض عليه ، وتبعه مجموعة من المسئولين الوطنيين والمحليين فى الحزب ثم آلاف المتظاهرين . وتطورت " حرب المساجد " الدامية مما دفع السلطات إلى إعلان حالة الطوارئ فى التاسع من يناير . وطبقًا لإحصاء رسمى ، لقى مائة وثلاثة أشخاص حتفهم خلال تلك الفترة فى حين سقط أكثر من أربعمائة جريح . وفى الرابع من مارس التالى أعلنت الفرقة الإدارية لمحكمة الجزائر حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد تسعة وعشرين شهراً من الشرعية (وهو الحل الذى صدقت عليه المحكمة العليا فى التاسع والعشرين من أبريل ١٩٩٢) .

أما " صقور " النظام ، فلم يجانبهم الصواب حينما اعتقدوا أن القبض على عبد القادر حاشانى ثم رباح كبير يفتح الباب لتعيين غيرهما من الزعماء الأكثر تشدداً ، وبذلك يزيدون من فرصة البارونات فى التخلص " شرعيًا " من المعارضة الإسلامية للإنقاذ بلا رئيس ، والتى لم تتمكن من كبح جماح الغضب بين أفراد القاعدة المناضلة التى اعتبرت أنها قد غرّر بها وسلبت مقدراتها بسبب إلغاء الإجراءات الانتخابية . ومع القمع الذى تعرضت له القاعدة راحت تنشد القيادة فى زعماء قدامى مؤمنين بحتمية اللجوء إلى الكفاح المسلح لبناء الدولة الإسلامية .

أما القادة السياسيون فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد أصبحوا يواجهون التحدى لإثبات أنهم ، فى المستقبل ، قادرون على إشراك شباب الجماعات المسلحة فى إطار السياسة السلمية . كان ذلك أحد الرهانات الكبرى التى حاولت أن تخوضها إدارة الجبهة الإسلامية والسلطات العسكرية . وفى انتظار الوصول إلى مثل هذا الاتفاق ، مع المخاطرة بتأجيل تنفيذه طويلاً ، اقتصرت هذه الإدارة ، فيما يختص باللجوء إلى العنف ، على موقف بالغ الغموض .

(١)

صبيحة السادس والعشرين من ديسمبر

أمام التحدى الذى كان يواجه قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى سياسة التوترات المتصلة بطبيعته المزدوجة ، ظهر عجزهم فى السيطرة على الراديكالية ، ثم ، وتحت تأثير القمع ، الجموح المسلح لجانب متزايد من مجموعاتهم .

وبالمثل فإن التوتر القائم بين الطموحات " الثورية " عند النخبة البلوتارية للحزب ، والمواقف المحافظة للنخبة النظامية ، هو الذى أفضى إلى التمزق الجزئى الذى أصاب الحزب الإسلامى وكذلك تعميق الهوة بين اتجاهين من الصعب التوفيق بينهما .

ومن ناحية أخرى ، فإن فشل محاولات إقامة " الحوار " وازدياد سياسة القمع من جانب النظام الحاكم ، كان من شأنهما إقناع القادة السياسيين فى الحزب بضرورة تحملهم سياسيًا ، وبصورة علنيّة ، مسئولية اختيار الكفاح المسلح ، وإلا فقد الحزب مكانته فى عيون القاعدة المناضلة والقاعدة المتعاطفة .

الحركة الإسلامية المسلحة – جيش الإنقاذ الإسلامى – الجماعات الإسلامية المسلحة :

منذ صبيحة انقلاب يناير ١٩٩٢ ، انتشر المناضلون المطلوبون فى جهات البلاد الأربعة مشكلين مجموعات مسلحة صغيرة – جيش الرسول محمد ، الأوفياء للقسم ، جهاد ٥٤ ، القوات الإسلامية العالمية لمناضلى الله . المجلس الموحد للحركة الإسلامية ، حركة الجهاد الإسلامى فى إفريقيا ، منظمة الضباط المسلمين ، .. ولكن الحقيقة هى أن اتجاه العنف والنضال المسلح كان يرتبط فى جوهره بمنظمتين رئيسيتين .

كان تشكيل هاتين المنظمتين يعكس الصدع السوسيولوجي الذى سبق ملاحظته داخل الحركة الإسلامية . ففى حين كانت الحركة الإسلامية المسلحة ثم جيش الإنقاذ الإسلامى يضمان فى ذات الوقت قدامى النشطين المتورطين فى عمليات عنف خلال الثمانينيات ، فإن مناضلين من الجبهة الإسلامية على قناعة بضرورة اللجوء إلى الكفاح المسلح ، وأطراف من الحزب يهددهم القمع ، والجماعات الإسلامية المسلحة، يحركون بعض الشبان البعيدين عن رقابة المجموعات السرية المنبثقة بشكل مباشر أو غير مباشر عن صفوف الجبهة الإسلامية .

إن ميلاد الحركة الإسلامية المسلحة يرجع إلى صبيحة إضراب يونيو ١٩٩١ . فبعد تدخل الجيش الهمجى لتفريق المناضلين الذين كانوا يعسكرون فى الميادين العامة بالعاصمة ، اجتهد أنصار الكفاح المسلح فى القيام ، داخل كل دائرة انتخابية ، بتشكيل مجموعات صغيرة من واحد وعشرين عضواً بقيادة " أمير " و " نائب أمير " : وأقيمت لهم المخابئ وأعدت أماكن المراقبة ، مع الأسلحة والسيارات المجهزة .

وجدير بالذكر أن عبد القادر شيبوتى ، وهو الذى كان بمثابة الذراع اليمنى لمصطفى بويالى ، والذى كلل نضاله بصدور الحكم عليه بالإعدام فى عام ١٩٨٧ ، أصبح الصورة الرمزية لكفاح هذه المجموعات . فلدى خروجه من السجن عام ١٩٩٠ ، قام مع حوالى خمسة عشر زميلاً من السجن منهم منصور مليانى ، بالتوقيع على بيان يطالبون فيه بتخصيص مساعدات لأرامل شهداء عمليات بويالى . وإذا كان قد تردد فى ذلك الوقت على بعض قادة الجبهة الإسلامية ، فقد رفض المشاركة فى الاستراتيجية الدستورية التى كان ينتهجها عباس مدنى التى كان يرى فيها أنها استمرار للتواطؤ مع النظام الحاكم وتعرض الحركة الإسلامية فى مجموعها إلى قمع محتمل . وخلال الحملة الانتخابية ، كان مقتنعًا أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد غرّر بها وعقدت مع النظام " صفقة أغبياء " وأنها ستجنى قريبًا وبال أمرها بسبب تصرفها . ومع ذلك فقد رفض القيام بأى شيء قبل انتهاء الانتخابات حتى لا يحرج الجبهة الإسلامية ببث الشقاق بين جماعاتها . وكان قد صارح بعض المسئولين فى الإدارة بتوجّهه ، فتوسلوا إليه أن يعطى الفرصة للخط الذى يسير فيه الحزب .

ومع ذلك ، فإن بعض المجموعات لم تستجب ، وقررت منذ الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٩١، الهجوم على موقع على الحدود فى جيمار (الواد) واضعين قادة الحزب فى حرج شديد، قبل شهر تقريبًا من بداية الدورة الأولى من الانتخابات ، ومقدمين بذلك الحجج القوية للعسكريين الرافضين لأى مشاركة من الإسلاميين فى اللعبة الديمقراطية .

وفى صبيحة إلغاء العملية الانتخابية ، لم يتردد خصوم الاستراتيجية القانونية ، فشكلوا منظمة باسم الحركة للدولة الإسلامية. هدفها "تشكيل مجموعات فى كل مكان ، بما فى ذلك التكنات العسكرية ، من أجل قلب الحكومة"[١] . وكان إقليم بومرديس بقيادة محمد أرزقى حومين . وكان قد حكم عليه بخمس سنوات سجن عام ١٩٨٥ . وهو خطيب مفوّه برز فى إضراب مايو / يونيو ١٩٩١ بمجموعة من الخطب النارية ، أعلن فيها أنه فى حالة الهجوم ستنطلق أول رصاصة من مسجده . وقد استدعى ليحل محل على بن حاج فى مسجد بن باديس فى كوبه بالعاصمة . ومنذ ذلك الحين أصبح أبرز خطباء الحزب . وقد أطلق عليه لقب " خمينى " .

وانضم محمد حومين إلى جماعة الحركة للدولة الإسلامية التى كان يوقع على بياناتها وأصبح ألدّ أعداء قوات الأمن فى مقاطعة بوميرديس ثم ألقى القبض عليه فى سبتمبر ١٩٩٣ ولقى حتفه تحت وطأة التعذيب . وفى الثامن والعشرين من سبتمبر أعلنت الصحف رسميًا أنه أصيب فى عملية تسلق فى غابة سيدى على بوناب فى منطقة تيزى أوزو .

وساد الشعور بالحاجة إلى توحيد الجماعات المسلّحة ، غير أن ذلك صادف بعض العقبات وتعرضت الجماعات بعد محاولة توحيدها إلى الصدع . فبعضهم ومنهم مليانى كانوا ما يزالون يرفضون الخضوع لرئاسة شيبوتى . وبذلك تقاسمت الجماعات المختلفة أنحاء البلاد وراحت تنفذ اغتيالاتها دون رابط أو تنسيق . أصبحت كل جماعة تقوم "باجتهاد " خاص بها .

(١) مقابلات مع أحد أعضاء المجموعات بين مارس ١٩٩٢ ونوفمبر ١٩٩٣

وهكذا أدى الاجتهاد إلى الهجوم بالقنابل على قناة التليفزيون الوطنى الذى كان من تنفيذ جماعة باب الواد بقيادة عشير رضوان وهو مدرس بالتعليم الإعدادى فى السابعة والعشرين من عمره ويعمل إماماً لمسجد السّنة منذ القبض على على بن حاج . بعد ذلك قام رضوان مع بعض رفاقه بوضع قنبلة فى المقر الرئيسى للأمن الوطنى بالتواطؤ مع بعض العمال الذين يعملون داخل المبنى .

كان سعيد سوسين هو همزة الوصل الوحيدة بينهم وبين الجماعة الأم . ومن الجدير بالذكر أن سوسين ، بالرغم من القبض عليه قبل عملية الهجوم على المطار. كان أحد المتهمين الرئيسيين فى العملية وحكم عليه بالإعدام مع حسين عبد الرحيم وخمسة آخرين فى أغسطس ١٩٩٣ . ومن بين الذين وردت أسماؤهم فى القضية : روابحى محمد ورشيد حشايشى . وكانت قوات الأمن بمطار بومدين قد تلقت فى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٩٢ ، بلاغًا من مجهول يفيد بأن قنبلة موجودة فى المطار على وشك أن تنفجر. غير أن تأخر البلاغ وبطء ردود الفعل ، حالا دون تجنب الانفجار. وقد لقى تسعه أشخاص حتفهم فى الحادث ، كما أصيب ثلاثون آخرون بجراح .

وفى محاولة جديدة لتوحيد الصفوف ، اجتمعت الجماعات المسلحة فى العاصمة ليلة أول سبتمبر ١٩٩٢ . وكانت المهمّة هذه المرة يسيرة بسبب القبض على ملياني الذى كان دائمًا يعارض فى العمل تحت إمرة شيبوتى . وتبين من المناقشات التى أثيرت حول قنبلة المطار التى لم يكن شيبوتى قد علم بها إلا مؤخراً ، أن المدبرين لها هم من اليهود الذين يريدون الإساءة إلى الجزائر أمام الرأى العام العالمى . لأنه من غير المعقول أن يضع جزائرى قنبلة فى المطار فى قاعدة الركاب وهى فى الذروة .

وكان من مهام هذا اللقاء أيضًا الذى عقد فى تاميسجيدا ، إقامة حد أدنى من التنسيق بين الإدارة السرية للجبهة الإسلامية للإنقاذ والجماعات المسلّحة .

وفى شهر يناير التالى، أعلن عبد الرزاق رجيم الجهاد، وذلك فى بيانه رقم ٣٦ . بينما قام رباح كبير بالتصديق على فتوى لعلى بن حاج يؤكد فيها الرجل وهو فى السجن ، أنه لو كان حراً طليقا لما تردد فى الدخول تحت إمرة عبد القادر شيبوتى . وبذلك أصبحت الإدارة الإسلامية السرية ذات شقين : جناح سياسى يهدف إلى الحفاظ على " سمعة الحزب " وجناح عسكرى يتمثل فى الجماعات المسلّحة .

فى صيف ١٩٩٣ وبعد أن أطلق سراح قادة الجبهة الإسلامية من الحجز الذى دخلوه صبيحة الانقلاب ، عكفوا على وضع الجماعات المسلحة تحت إشرافهم المباشر وتزويدهم بأداة أيديولوجية أكثر فعالية ، واستعادة ثقة الرأى العام الإسلامى وذلك بإضفاء بُعْد مقدس على الحرب التى يخوضونها ضد نخبة النظام الحاكم . " لقد تردد الحزب فى الدعوة إلى المقاومة المسلحة . مما كلفه الكثير . لقد خسر الحزب المناضلين الذين انضموا إلى الجماعات المسلحة الأولى . ولكن بفضل الله ، عادت الأمور إلى أيدى الحزب ، على الأقل خارج العاصمة "(١) .

وعلى ذلك ، ففى يوليو ١٩٩٤ ، قامت أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتأسيس الجيش الإسلامى للإنقاذ ، الفرع العسكرى للحزب ؛ وزودته فى بادئ الأمر، بلجنتين عسكريتين لمناطق الشرق (بقيادة الشيخ مزراق مدنى) والغرب (بقيادة أحمد بن عائشة) أما منطقة الوسط ، فقد كان الأمر صعبًا ، حيث اصطدم الحزب بتعدد الجماعات المسلحة المكونة من بعض " الصبية الأشقياء " المتمردين على رئاسة الحزب .

وبعد تعيينه بقليل " أميرًا وطنيًا " ، أصدر مزراق مدنى عدة بيانات يعبّر فيها عن أسفه لتورط بعض الجماعات المسلحة فى عمليات اغتصاب ضد بعض المواطنين . ويدعو الجماعات إلى أن تظل دائمًا " سلاح مبادئ لا سلاح مرتزقة " . كذلك دعا مدنى إلى تزويد الحركة المسلحة بقانون سلوك يحدّد " الأسس والمبادئ ، وكذلك الخطوط التى لا تتجاوزها فى الكفاح " من أجل " عزل بعض عناصر الاضطراب التى تحاول تحويل النضال عن أهدافه الحقيقية ، ومنع تحقيق الوحدة بين الجماعات المسلحة . " كذلك أعلن مدنى تأييده لمساعى أحزاب المعارضة المجتمعة فى روما . ودعا الرئيس زروال إلى التخلى عن سياسة التشدد والبطش وفتح صفحة للحوار .

فى يناير ١٩٩٣ ، أعلن عبد القادر ليلى نفسه " رئيسًا للجماعات الإسلامية المسلحة" وذاع اسمه على مستوى الوطن كله . وإن سجلٌ الأعمال الملحمية التى قادها عبد القادر ليلى يملأ خيال الشباب الشعبى الذى تعرض للقمع على أيدى النظام

(١) إعلان لأحد كبار المسئولين فى الحزب . يونيو ١٩٩٤

الحاكم ووجد فى الجماعات الإسلامية المسلحة المتنفس الوحيد لغضبـه وثورتـه . وكان ذلك ميلاد حركة الجماعات الإسلامية المسلحة .

وفي يونيو ١٩٩٣ ، تم القبض على عبد القادر ليلى فى المغرب ، وتم ترحيله إلى الجزائر فى أغسطس من العام نفسه ، حيث صدر الحكم عليه بالإعدام فى يونيو ١٩٩٤ وتولى من بعده قيادة الجماعات المسلحة أحمد مراد ، المعروف باسم جعفر الأفغانى ، أو جعفر سيف الله . وانطلقت الجماعات بقيادته منذ عام ١٩٩٣ فى استراتيجية نموذجية جعلتها تضاعف من عمليات الاغتيال ضد المثقفين والصحفيين ثم الأجانب .

وأحمد مراد من مواليد قوبا ١٩٦٤ ، بعد فشله فى الدراسة ، عمل فى تجارة الحقيبة . وهو لاعب كرة قدم ماهر شارك فى مسابقات المساجد وتمرّس على استعمال السلاح فى إطار الحركة الإسلامية . عمل فى قوات حكمتيار فى أفغانستان فى الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٨٩ . ولدى عودته إلى الجزائر عمل فى بيع المصاحف والعطور على أبواب المساجد بالعاصمة . وهو يعارض الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لأنه يرى أن الضغوط السياسية لا تفلح فى إثناء السلطة ، فالسلاح وحده هو الكفيل بتحقيق ذلك . ولعل عدم انخراطه فى الحزب الذى أبقى عليه حيًا وطليقًا بالرغم من عضويته لمجلس الشورى ، بعد القبض على الأعضاء والخمسة الآخرين – ليلى – أو قتلهم – محمد ليفلى وبو فار وكريم عيتو ميزيان . ولعل أحمد مراد كان وراء اختطاف الموظفين القنصليين الفرنسيين الثلاثة فى أواخر أكتوبر ١٩٩٣ . ومع ذلك فقد طويت صفحته فى السادس والعشرين من فبراير ١٩٩٤ بين أنقاض إحدى الفيلات فى الجزائر العاصمة .

بعد موت جعفر الأفغانى ، أحتل موقعه سيد عطيّة الذى قتل بعد عدة أيام ، فخلفه شريف جوزمى ، ثم إلياس أبو عبد الله ثم تاجين محفوظ ، ثم إلياس أبو خليل محفوظ .

وتحت قيادة هؤلاء الزعماء قامت الجماعات الإسلامية المسلحة بتجنيد العديد من قدماء مناضلى الأحراش فى أفغانستان . وقد بلغ من افتتان الشباب الجزائرى بهم أن أصبح زيّهم منتشراً على سبيل الموضة . وقد كان " الأفغان " هم أول من قاموا بتنظير فريضة الجهاد ضد الدولة " الكافرة " .

وهم إذ يلقون بالجـرم على الدولـة ، متأثرين فى ذلك بالشهيد سيد قطب وعبد السلام فرج (المحرض على اغتيال السادات) جاعلين من " قتل الحكام " فريضة دينية ، فهم يرون أن الجهاد " حرب مستمرة "تشنها أقلية مؤمنة تتولى مهمة تبشيرية وعسكرية فى ذات الوقت .

ولعل الطرائق الغريبة التى تتبعها الجماعات الإسلامية المسلحة فى تجنيد أعضائها وتوجيههم تفسر نهوضهم السريع واستئنافهم للعمل بعد كل ضربة يوجهها إليهم الجيش . كذلك فإن انتشار هذه الجماعات فى كل مكان ، والشهرة التى يحققونها بعد كل عمليه ، وإعجاب الشباب بهم ، والسرعة التى يعملون بها ، واختفاءهم عن العيون (بعض الجماعات يتمثل تاريخها كله فى عملية انتحارية واحدة) كل ذلك كان وراء فشل قوات النظام فى ملاحقتهم .

وما من شك فى أن هذه الجماعات ، وهى تعتنق الجهاد وتمارسه ضد السلطة الكافرة ، قد أصبحت تتحلى بجميع " الفضائل " التى يتمتع بها عادة المناضلون فى "الحرب المقدسة" . والأمثلة كثيرة منها قصة المجاهد الذى ينجو من القبض عليه فى آخر لحظة، بالرغم من إحكام القبضة عليه ، و " الشهداء " الذين تفوح أجسامهم برائحة المسك وهم يفارقون الحياة . كل ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على ما وراء الثورة المسلحة فى الجزائر من قوة رمزية .

سموم الشقاق

سبق القول : إن المسئولين السياسيين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانوا فى الأصل نواة ما كان يسمى بـ " خلية الأزمة " على أثر استقالة الرئيس شاذلى ، وهى مكونة من أربعة أعضاء من المكتب التنفيذى وثلاثة أعضاء من مجلس الشورى كانوا ما يزالون أحراراً طلقاء ولم يختاروا النفى ، منهم محمد سعيد عبد الرزاق رجيم و يخلف شيراتى[١] .

(١) حاصل على الليسانس فى العلوم الإسلامية ، وإمام مشهور . تم القبض عليه فى مارس ١٩٩٣ ولقى حتفه فى فبراير ١٩٩٥ فى العصيان الذى وقع فى سجن سرقاجى .

وقد اختلفوا على الاستراتيجية التى يسيرون عليها . فإذا كان البعض يدعو إلى التنسيق بين مجهوداتهم ومجهودات أعضاء الجماعات الإسلامية المسلحة الوليدة ، فإن الآخرين على العكس كانوا يرون فى ذلك مخاطرة مشئومة تؤدى إلى اختراق الحزب . كانت الإدارة السرية للحزب تتردد فى اتخاذ موقف نهائى بالنسبة للجوء إلى العنف . ومع ذلك فقد كان الحكم الصادر من محكمة بليدا العسكرية بالسجن أربع سنوات على كل من عباس مدنى وعلى حاج فى صيف ١٩٩٢ ، والضغط الذى تمارسه القاعدة ، وراء قرار المسئولين بتنظيم نوع من التنسيق مع الحركة للدولة الإسلامية بقيادة عبد القادر شيبوتى وسعيد مخلوفى .

من الواضح أن المبادرة باللجوء إلى الكفاح المسلح كانت قد خرجت من أيدى الحزب، الذى كان لا يتوقع أن يواجه النظام الحاكم وهو يحمل السلاح ، ومع صعوبة الوصول لأى حل بالتفاوض ، ومع الخوف من أن تغلبه الأحداث ، قرر الحزب أن يكرس كل جهده من أجل توجيه الكفاح المسلح ، على أمل الحفاظ على فرص الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى العودة يوماً ما على " المنصة القانونية ". ولما كانت المبادرة دائما فى أيدى الجماعات المسلحة ، فقد أجبرت القادة السياسيين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ على " تغطية عملياتهم " وأصبح القادة السياسيون مسلوبى الإرادة ومضطرين لإعلان تأييدهم لعمليات اغتيال يستنكرونها – وبخاصة التى يكون ضحاياها من الأجانب – لذلك لم يجد القادة السياسيون للجبهة مخرجاً آخر إلا فى إطلاق سراح عباس مدنى وعلى بن حاج ، فهما القادران ، بما لهما من وزن وتأثير ، على توجيه الدعوة بإجراء الحوار دون أن يتعرضا للمحاكمة أو القتل . وبات واضحاً أنه فى حالة فشلهم فى السيطرة على " المتطرفين " منهم فإن الجزائر كلها سوف تغرق فى بحر من الجنون . وعلى ذلك فقد شرحوا للسلطة أن أى تفاوض يبقى معلقاً بإطلاق سراح زعيميهم – وقد تبنّى هذا الاقتراح أيضاً الأحزاب الأخرى المؤيدة للحوار ، مثل جبهة التحرير الوطنى وجبهة القوات الاجتماعية – اللتين سيتوجّب على النظام ضمان سلامتهما من ناحية والسماح لهما بمقابلة زعماء الجماعات المسلحة من ناحية أخرى .

واستمرت النزاعات بين الأفراد والتنافسات بين الفئات سنوات طويلة فى إثارة القلق فى الإدارة التقنية للحزب . وكان من نتيجة هذا الشقاق الداخلى أن أعلن كل من

محمد سعيد وعبد الرازق رجيم فى مايو ١٩٩٤ البيعة " لأمير" الجماعات الإسلامية المسلحة ومعارضتهما لأى مفاوضات مع السلطة الحاكمة .

وجاء رد الحزب على لسان جيش الإنقاذ الإسلامى فى التاسع عشر من يوليو ١٩٩٤ ، يدعو سائر الجماعات الإسلامية المسلحة إلى الامتثال لتوجهات الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ويعلن " عدم شرعية " اغتيالات الأجانب التى تطالب بها الجماعات الإسلامية المسلحة . وفى النهاية ، أعلن عبد الرازق رجيم انسحابه من الجماعات الإسلامية المسلحة وشجبه لتصرفات المنظمة التى " تستعمل بعض قدامى المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ لكى تضفى على نفسها المصداقية أمام الشعب الجزائرى من أجل قتل الأبرياء " . ثم أعلن بيعته لجيش الإنقاذ الإسلامى .

فشل إقامة الحوار

فى الواقع كثرت الكمائن القاتلة فى الأحراش التى تسيطر عليها الجماعات الإسلامية المسلحة ، مما أودى بفشل سياسة " كل شىء من أجل الأمن " التى انتهجها الجنرال لا مارى[1] وبدأت تهدد الوفاق العام داخل الجيش الجزائرى . وكان لهروب ألف سجين إسلامى من سجن تازولت فى مارس ١٩٩٤ وقْع الزلزال الذى دفع العسكريين المؤيدين لإقامة الحوار مع الإسلاميين إلى إعلان هدنة بأسرع ما يمكن من أجل المحافظة على وحدة الجيش ، وهو القلعة الوحيدة ضد وقوع سلطة احتكارية فى أيدى الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

كان أول اهتمامات الحكومة هو علاج الأزمة الاقتصادية الاجتماعية المسئولة وحدها فى نظرها عن النجاح الشعبى الذى حققه الإسلاميون . وفى ربيع ١٩٩٤ وافق رئيس الوزراء مقداد سيفى على قبول شروط مهينة من صندوق النقد الدولى ومعظم أعضائه من الأمريكيين ، فشجعوه على بدء حوار مع المعارضة الإسلامية .

وبدأ حوار متواضع فى عهد الجنرال الأمين زروال . فحينما عين وزيراً للدفاع فى يوليو ١٩٩٣ خلفًا للجنرال خالد نيزار شرع صبيحة توليه الوزارة ، فى إجراء

(١) تولى إدارة الوحدات المكلفة بقمع الجماعات الإسلامية منذ أكتوبر ١٩٩٢

مفاوضات سرية مع إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ الموجودة فى سجن بليدا الحربى (وبالذات عباس مدنى وعلى بن حاج) منذ شهر يونيو ١٩٩١ . وشرع فى يناير ١٩٩٤ فى إطلاق سراح المحتجزين فى معسكرات الأمن فى الصحراء[1] ورفع حالات تحديد الإقامة على المناضلين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وهو بذلك يستجيب لرغبات القوى السياسية الرئيسة المؤيدة "للحوار" (جبهة التحرير الوطنى وجبهة القوات الاشتراكية ، والحركة من أجل الديمقراطية فى الجزائر التى كان يرأسها الرئيس السابق أحمد بن بيلا ، والأحزاب الإسلامية " المعتدلة " حماس والنهضة) وعلى النقيض من ذلك ، فجّر غضب الهيئات التى تعارض الحوار بكل قوة وشراسة .

وتتكون " جبهة الرفض " من المنظمات التى سبق أن أيدت إلغاء عملية انتخابات يناير ١٩٩٢ وهى بصفة خاصة : حزب التحدى ، التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية والاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للمقاولين العموميين . وكانت هذه المنظمات تتشدد كلما لاح أن اتفاقًا سيتم حتمًا بين العسكريين والإسلاميين .

وشرع الطرفان فى مفاوضات صبيحة المؤتمر الوطنى فى يناير ١٩٩٤ الذى تم بعده تعيين الجنرال زروال " رئيسًا للدولة " . وقبل عقد المؤتمر بأسابيع ثبت أن أية مفاوضات للحل لا يمكن أن تتم إلا بحضور الشيوخ . فتوجه وفد مكون من لجنة الحوار الوطنى إلى السجن الحربى فى بليدا بهدف إقناع مدنى وبن حاج للمشاركة فى المؤتمر . غير أن الرجلين رفضا وأوضحا أنهما لا يمكن أن يقبلا مثل هذه الاقتراحات طالما أنهما خلف قضبان السجن .

ووجه بن حاج إلى لجنة الحوار الوطنى رسالة مفتوحة بعنوان : " قول الحق حتى من وراء القضبان " وعليها التوقيع التالى : " على بن حاج سجين الظلم والطغيان " . فى الجزء الأول من الرسالة لا يعترف بشرعية لجنة الحوار الوطنى . وفى الجزء الثانى يندد بالجرائم التى ترتكبها " طغمة العسكريين . ثم يقوم بن حاج فى رسالته بتحليل

(١) هذه المعسكرات فتحت صبيحة انقلاب الحادى عشر من يناير ١٩٩٢ . وقد نزل بها بين ١٥ إلى ٢٠ ألف من أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإذا كان معظمهم قد تم الإفراج عنه ، وبخاصة استجابة لنداء جمعيات الدفاع عن حقوق الإسلامية ، فلا يزال بها حتى الآن حوالى عشرين ألف سجين .

النظام السياسى الجزائرى وعموده الفقرى وهو المؤسسة العسكرية التى لم تتمكن منذ الاستقلال " من حل المشكلات السياسية الطارئة إلا باستعمال الإرهاب والقمع وإعدام الأبرياء واغتيال المعارضين السياسيين فى الداخل والخارج ." معلنا أن لجنة الدولة العليا التى تكونت بعد الانقلاب فى يناير ١٩٩٢ "غير شرعية فى نظر الشريعة والقانون والدستور "، وحمل بن حاج على السلطة العسكرية " سبب جميع الأضرار التى تتعرض لها الجزائر وبؤسها وآلامها ، منذ الاستقلال الذى حققه المجاهدون الأبطال . لكن أنصاف الرجال هؤلاء أجهضوه واستغلوه لصالحهم . " وأشار بن حاج إلى واحد من أهم مصادر الصراعات والعداوات فى قلب الجيش الجزائرى ألا وهو " احتكار القيادة العليا بواسطة "المستعفين من الخدمة فى الجيش الفرنسى " ، تلاميذ المدارس الاستعمارية الفرنسية فى الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ ، هؤلاء الذين تخرجوا فى المدارس الحربية الشيوعية ، الخارجين من بين صفوف الجيش الفرنسى ، الذين يبغضون الأديان بعامة والإسلام بوجه خاص ، بعد أن تأكدوا أن الاستقلال لا محالة واقع ، تحولوا إلى جيش التحرير الوطنى " .

ومن أعماق زنزانته فى سجن سرقاج ، رفض عبد القادر حاشانى ، على غرار الشيخ سحنون ، أن يشارك فى محاولات " الحوار " التى بدأها " المصالحون " فى السلطة على أمل أن يجدوا فيه " قوة ثالثة " تسمح فى حالة الاتفاق بالتقليل من شأن عباس مدنى والزعماء العسكريين بدل أن يستأثر هؤلاء وحدهم بفضل الوصول إلى اتفاق . وفشلت لجنة الحوار الوطنى ، سواء بالقوة أو بالإقناع ، من إشراك حاشانى فى المؤتمر الوطنى . كذلك فإن المحاولات الهادفة إلى تشكيل إدارة أخرى للجبهة الإسلامية للإنقاذ تضم المنشقين والمبعدين من مؤتمر باتنه ، باءت بالفشل .

وتكررت المحاولات لإقامة حوار بين السلطة والمعارضة غير أنها جميعاً دخلت فى طريق مسدود خاصة وأن زعماء الإسلاميين رفضوا أن يدينوا علناً ، كما طلب منهم ، اللجوء إلى العنف أو الدعوة إلى إيقاف القتال قبل أن يتم التوصل إلى اتفاق . ذلك أنهم كانوا يخشون بطش الجماعات الإسلامية الراديكالية التى ترفض الحوار أساساً ، وتوجه الاتهام إلى الزعماء الإسلاميين بالتفاوض سراً ، مما زاد من حرج هؤلاء الزعماء . خاصة حينما تبين أن الحكومة أرادت أن تحمل مدنى وبن حاج مسئولية

استمرار أعمال العنف بالرغم من تعهدهما ، كما تزعم الحكومة ، بالعمل على إيقاف القتال . وأصدر بن حاج رسالة ثانية يتحدى فيها زروال رئيس الدولة بالظهور معه فى مناظرة ينقلها التليفزيون مباشرة للشعب الجزائرى . وظل الاقتراح دون رد فعل من جانب الحكومة .

وهكذا ، فإن التمييز داخل السلطة العسكرية ، بين الذين يحبذون التفاوض ، على شاكلة " الإصلاحيين " ، وبين الراديكاليين المؤيدين لسياسة البطش من أجل الأمن ، جعل المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يقتنعون ، فى داخل البلاد وخارجها ، بضرورة الاستعانة بجهاز عسكرى خاص بالجبهة : فعلى الرغم من الخلافات ، وهى فى الغالب شخصيه ، فلا "الراديكاليون " ولا " الإصلاحيون " فى النظام على استعداد للتنازل عن أقل جزء من السلطة التى يمارسونها بلا شريك منذ ثلاثين عاماً .

إن مهازل " الحوار " التى وافق ، مع ذلك ، بعض الإسلاميين على المشاركة فيها ، لا يمكن ، فى هذه الظروف ، إلا أن تثير الشك والريبة فى إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التى أصبح من الصعب عليها أن تفسر لمناضليها حذرها "البالغ" من السلطة . فبينما وجه إليهم اللوم سابقًا لأنهم طالبوا المؤيدين للكفاح المسلح بكبح جماحهم على الأقل حتى يتم إجراء الانتخابات فى ديسمبر ١٩٩١ ، لإعطاء فرصة للتشاور ، فها هم قادة الجبهة الإسلامية متهمون بالتزام الجمود الذى ليس له ما يبرّره فى مواجهة "تجاوزات" النظام الحاكم . من ذلك أن الجزء من الرأى العام الجزائرى المناهض للسلطة القائمة أصبح يصنّف زيادة الضغط من جانب الشرطة والجيش على الأحياء الشعبية والمجمعات السكنية فى القرى ، فى صالح المجاهدين .

(٢)

تبرير شرعية العنف

إن العنف، وقد أصبح ذروة الحرب المجنونة الدائرة بين فئات النخبة الجزائرية منذ الاستقلال، هذا العنف اتخذ فى طوره الأول، هيئة "حرب خاصة" حقيقية، من ناحية بين نخبة الدولة ومن ناحية أخرى بين النخبة الإسلامية التى اكتسبت نوعًا من "القداسة" بانتصارها الانتخابى بصرف النظر عن نتائج هذا الانتصار . ولكن كلما اشتدت وطأة الصراع، كلما امتد العنف الى جميع فئات الشعب، الذى أصبح رهينة لدى المعسكرين المتحاربين .

المعسكرات : مدرسة لكوادر الصراع المسلح

أصبحت معسكرات التجنيد مدرسة فعلية لتخريج كوادر الصراع المسلح . وبذلك أصبحت هذه المعسكرات المكان المميز لتجذير (راديكالية) القاعدة الإسلامية ، وبالتالى تعميق الصراعات بين أنصار الخط السياسى وهم فى الماضى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وبين أنصار المواجهة المسلحة القصوى .

آلاف – من أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ والمتعاطفين معهم ، وأيضًا من الشباب المنحرفين أو الضائعين – كانوا يُشاهَدون فى ساعة مبكرة من الصباح وهم يرحَلون إلى أماكن التجمع تمهيداً لإرسالهم إلى المعسكرات جنوب الجزائر . إن معسكرات التدريب تلك هى التى تقدم لمناضلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ – المؤيدين منهم للعنف أو المعارضين له – الفرصة لتأكيد قناعتهم . (إن الخطاب الإسلامى يضفى معنى على تجمعهم : " إذا كنتم أنتم هنا، فذلك لأن النظام ضد الإسلام") .

إن المناضلين المتحررين سوف يشكلون فى المستقبل نواة للجماعات المسلحة المنظمة. أما أطر الحزب ، فما أن يصلوا إلى المعسكرات حتى يشرعوا فى إدارة كل شىء والإشراف على كل صغيرة و كبيرة فى الحياة اليومية :" فى اليوم الأول ، كان المعسكر مكتظا عن آخره ، وقام إخواننا من الشرق الذين كانوا موجودين عند وصولنا ، باستقبالنا و توزيعنا على الخيام. ذلك ما جاء على لسان أحمد وهو عضو فى مكتب تنفيذى محلى، كان قد تم القبض عليه فى ١٨ فبراير ١٩٩٢ وسجنه ثمانية أشهر فى معسكر "ورجلا"(١) وبعد عدة أيام ، إذا بالمكان الذى كان يستعمل كمصلى للإخوة، تطلق عليه لجنة المعسكر "ساحة عباس مدنى" . وقد أصبحت هذه اللجنه المؤلفة من بعض المناضلين الإسلاميين تتولى إدارة المعسكر ، وتقوية عزيمة الإخوة و تثبيت عقائدهم :" كل ما أخذ بالقوة ينبغى أن يسترد بالقوة . إن هدفنا الرئيسى بعد ذلك هو أن نعرف لماذا كنا نحن هناك . كنا فى الحجز ، لم نقدّم لأىّ محاكمة . وكان القائد الذى يدير المعسكر يجيبنا بأن تلك ليست مشكلته . كان البعض يشربون الخمر عند القبض عليهم، ثم تابوا فى المعسكر " .

إن معسكر ريجان ومعسكر ورجلا اللذين أطلق على شوارعهما أسماء الزعماء الإسلاميين المشهورين، سوف يظلان فى الذاكرة باعتبارهما الأماكن التى انطلقت منها الحركة الإسلامية المسلحة .

وصبيحة الانقلاب، لم تجد قوات الأمن صعوبة فى التمثيل بأعضاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتعريض بالمتعاطفين معهم . إن وحشية رجال الشرطة (نهب بيوت "المشتبه فيهم" و تدميرها، وتعرية آبائهم وإهانتهم أمام الملأ) كل ذلك دفع بعض سكان الأحياء الشعبية ، وغالبيتهم من الإسلاميين ، إلى تكوين خلايا لنجدة ومساعدة المكروبين من إخوانهم وأهليهم ، وحمل المساعدات والمؤن إلى اللاجئين فى الأدغال وتقديم المساعدات المالية لذويهم .

(١) لقاء صحفى فى العاصمة فى يناير ١٩٩٣

المعركة الجديدة فى الجزائر العاصمة

إن الجزائر التى تحاول منذ ١٩٨٨ أن تتخلص من أشباح الماضى، تجد نفسها ، بكل قسوة وعنف، فى مواجهة ذكرى ما يزال صداها، الذى يغذيه ، بكل حذق ومهارة ، الخطاب التاريخى الجغرافى الرسمى ، يدوّى فى أعماق كل فرد . وإذا كان المظليون اليوم يحملون أسماء " مسلمة " والقوات الخاصة تخلع على نفسها أسماء صيغت من الخوف ومن الاحتقار ، فلا يكفى ذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ لكى تطرد من الذاكرة صور حرب الجزائر . إن " التمشيط " و " الكسح " و"التنظيف " ألفاظ دخلت فى مفردات اللغة الجارية . كذلك فإن الحمية المدوية للحماسة الوطنية من ناحية ، وما ينتج عن ذلك من تحقير لشأن الخصم ، الذى أصبح صورة للمستعمر القديم و " أعوانه " ، أصبحت تمثل أحد ملامح خطاب الشرعية عند مختلف أطراف الصراع .

كان القادة الإسلاميون هم البادئين بتشبيه معركتهم " بالكفاح المجيد من أجل التحرير الوطنى " وظهروا بمظهر المؤمنين خدّام المثل العليا التى كانت سائدة عام ١٩٥٤ والتى " ضلت ". " ليس بمستغرب أن يلجأ النظام الحاكم إلى هذا ، مادام الذين يحكموننا هم رقباء الجيش الفرنسى السابقون"(١) وأن " يكرر التاريخ نفسه على أرض الجزائر المستقلة بفتح معسكرات التعذيب ، حيث أفضل أبناء هذا البلد يفسدون فى جوٍّ من اللامبالاة والظلم التّام"(٢) . لقد ظل الإسلاميون دومًا يدمجون كفاحهم فى الموروث التاريخى الجزائرى . وهذا ما لم ينكره عليهم حتى قدامى "الأفغان " ففى مؤتمر من أجل دعم " المسلمين فى الجزائر " فى ١٣ يوليو ١٩٩١ فى مدينة بشاور تحت رعاية نادى الاستعلامات العربى ، قام ممثل الوفد الجزائرى ، وهو مناضل حارب فى أفغانستان ، بالتركيز طويلاً على فكرة أن زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ "لا يتلقون أية أوامر من الخارج وأنهم يخوضون معركتهم سواء فى السجن أم خارجه" . وأن طبيعة المعركة التى تخوضها الجزائر الآن لم ير لها مثيل فى أى مكان "وذلك من حيث إنه ، على النقيض مما تصبو إليه إيران والمملكة العربية السعودية ،

(١) منصة حقوق الإنسان فى الجزائر ، العدد ١١ ، ١٣ سبتمبر ١٩٩٣

(٢) ملف " معسكر تعذيب " عين مجيل ، ١٣ إبريل ١٩٩٢

فإن محرك الحركة الشعبية والإسلامية هو داخل الشعب الجزائرى والحركة التى تقوده[1] " .

بل إن السلطة وأعوانها يحاولون الترويج لدعوة تزعم أن المناضلين الإسلاميين هم فى الحقيقة بقايا " الحركيين " وهم الخونة الجزائريون الذين كانوا يتعاونون مع المستعمر فى حرب الاستقلال . وظهرت بعض عناوين الصحف الحكومية بهذا المعنى : " الإرهاب ، حركية جديدة " (صحيفة الوطن) ، "حركيون وأبناء حركيين من بين القتلى والهاربين" ، " من الحركى إلى الإرهابى " (عنوان تحقيق فى التليفزيون الجزائرى فى أبريل ١٩٩٤) بل إن صحيفة الإبدو ليبيرية (وهى قريبة من بعض عناصر الجيش) خرجت على القراء بخبر عنوانه " حسين عبد الرحيم ليس جزائرياً " ومن المعروف أن حسين عبد الرحيم هو الذى يشار إليه بأصبع الاتهام على أنه المحرض على الهجوم الذى شهده مطار الجزائر فى أغسطس ١٩٩٢ .

جغرافية الكفاح المسلح

تحت وطأة حملات الردع التى يقودها الجيش فى الضواحى "الخضراء" فى الجزائر العاصمة ، وجد العديد من المناضلين ملجأً لهم فى المناطق الأصلية التى نشأوا فيها[2] وهذا ما يفسر أن المدن الرئيسية كمسارح للعمليات حتى منتصف عام ١٩٩٣ ، تخلت عن مكانتها للريف والمناطق الجبلية ، فقد أصبحت هذه المناطق تضم أحراشًا من المستحيل التخلص منها إلا بالعديد من العمليات المحمولة بالطائرات المروحية . وبعد طردهم من المدن تركزت الجماعات المسلحة حول " مثلث الموت" الذى يتشكل فى منطقة وسط البلاد من مدن باراك – بليدا – لاربا . وحول محور ستيف – ميلا – كولو – جيجيل ، مع امتدادات إلى عنّابه وقسطنطينه وباتنه فى الشرق ؛ وأخيراً حول مدن عين ديلفا وسيلف وتييرا وسيدى بلعباس وتسمسيلت وسعيدة فى الغرب .

(١) بعض الجماعات المسلحة تذهب إلى أبعد من ذلك حيث يشبهون السلطة الجزائرية بالحكومة الصربية ويتهمان الاثنين " بالتصفية العرقية " ضد المسلمين .

(٢) هذا يفسر أن مناطق مثل جيجيل التى ينتمى إليها معظم سكان بلكور فى العاصمة ، قد أوت عدداً هائلاً من اللاجئين فى الأحراش .

ومن الطبيعى أن خريطة العنف الإسلامى المسلح راحت بالتدريج تتماشى مع خريطة التمركز الجغرافى للجبهة الإسلامية للإنقاذ الناتج عن الانتخابات البلدية لعام ١٩٩٠ والتشريعية لعام ١٩٩١ . هذا التطابق يلاحظ بوجه خاص فيما يتعلق بالتمركز الجغرافى لجيش الإنقاذ الإسلامى . فالواقع أنه منذ إطلاق سراح أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ المسجونين فى معسكرات الجنوب (تم إطلاق السراح بين منتصف ١٩٩٢ وأوائل ١٩٩٤) وتنظيمهم الذى بدأ فى خريف ١٩٩٣ داخل جيش الخلاص الإسلامى ، امتد الصراع، الذى كان محصوراً حتى ذلك الوقت فى منطقة وسط البلاد ، إلى مناطق الشرق والغرب . هذا الامتداد الذى حدث لمناطق التمركز الإسلامى المسلح دفع السلطات إلى إطالة قائمة مناطق العمليات (بليدا - تيبازا ، بومردس، عين ديفلا ، ميديا ، بويرا) فى يونيو ١٩٩٣ إلى إقليم سيلف فى الغرب، وإقليم حيلفا فى الوسط وإقليم مسيلا فى الشرق .

ومن الجدير بالذكر أن المواجهات بين الجماعات الإسلامية المسلّحة وقوات النظام خلال عام ١٩٩٤ ، كانت فى عنف متزايد . وطبقًا لبعض المراقبين الأجانب ، يقدر عدد القتلى من الجانبين ، بين يناير ١٩٩٤ وربيع ١٩٩٥، بأكثر من أربعين ألف قتيل . وباسم "مكافحة الإرهاب" تستبيح قوات الأمن الجزائرى كل " التجاوزات" من استعمال مكثف للنابالم ، إلى قتل الجرحى للتخلص من كثرة عدد المساجين[(١)] . واتخذ القمع وجهة جديدة خلال عام ١٩٩٤ ، فقد أصبح " المدنيون " هدفًا حيث بات من الأمور العادية القبض التعسفى ، والقتل ، والتعذيب الجماعى ، مما يغذى الأحراش الأكثر تطرفًا ويضاعف من اللاجئين إليها .

(١) فى إصدارها بتاريخ التاسع من يونيو ١٩٩٣ (رقم ٣٧٨٩) نشرت جريدة الكانار أنشينيه محادثة تم تسجيلها عن طريق التصنت : فحواها أنه بعد أن فرغ الجيش الجزائرى من تمشيط أحد الأحياء بالعاصمة واصطحب بعض الجرحى ، تلقى أمرًا من القيادة المركزية بـ " التخليص عليهم " .

(٣)

الاستراتيجية الثورية والانحراف الإرهابى

إذا كان طموح بعض الجماعات المسلحة ، كما يمكن أن يتصور البعض ، أصبح لا يستهدف إدارة عنف هادف بقدر ما يستهدف نوعًا من العنف " الأعمى "، وإذا لم تكن الجماعات الإسلامية المسلّحة وحدها التى تنسى شيئًا فشيئًا هدفها المبدئى من القتال ، فقد تشابك وتعقد الصراع (بعض الجماعات المرتبطة بالجبهة الإسلامية للإنقاذ تمر بنفس التطور) فهل يمكن أن نتحدث عن انحراف إرهابى ؟

إن العنف ، وهو نتيجة لإغلاق المجال السياسى ، واختفاء أدوات الوساطة لدى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وعجز الحزب عن إحكام السيطرة على التوترات المتعلقة بطبيعتها المزدوجة، أقول إن العنف بصفته هذه قد أصبح مترسّخًا وبعمق فى الممارسات الاجتماعية الجزائرية .

إنه مترسّخ جزئيًا فى الطريقة التى غذى بها القادة فى عام ١٩٩٢ ، ذكرى العنف القديم الذى صحب حرب الاستقلال . كذلك فإن العنف يجد له جذورًا فى الطريقة التى قامت بها جبهة التحرير الوطنى ثم السلطة ، على مر السنين ، بقمع المعارضات (اغتيال أبان رمضان وخيضر وكريم بلقاسم وعلى ميسيلى ، وسجن آيت أحمد بن بيلا ، وقمع انتفاضات ١٩٨٦ و ١٩٩٨) وروجت بذلك للفكرة التى تقول بأنه ما من وسيلة للحكم أو الاستيلاء على الحكم إلا بالعنف .

ولكن لشدة ارتباط مناضلى الجماعات الإسلامية بنسيجهم الاجتماعى الأصلى ، فهم يعتبرون أساسًا أبطال التمزق الاجتماعى والتمرد الذى يدوى فى الأحياء الشعبية ("الأحياء الساخنة" كما يسمونها فى العاصمة) وذلك منذ حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

إن التشبث بالقطيعة الذى أصبح يحمل لواءه الجماعات الإسلامية المسلحة لم يعد يسمح لها بمواجهة حتى احتمال التفاهم مع " نظام " هى تستهدف قلبه دون أى تصور سياسى آخر . وإن انضمام جزء من الحركة الاجتماعية الإسلامية إلى الجماعات الإسلامية المسلحة ليحول مع ذلك دون الحديث ، حتى فيما يتعلق بالجماعات ، عن إرهاب خالص ، إذ أن الكفاح المسلح بالنسبة لبعض الشبان ، إنما هو تطبيق للعدالة ، وانتقام لثوار أكتوبر ١٩٨٨ . فعلى النقيض من الكفاح المسلح الذى قاده مصطفى بويالى الذى لم يكن يتمتع بأى تأييد شعبى ، فإن العنف الذى تمارسه الجماعات المسلحة المتشددة يزعم لنفسه مرجعيّة اجتماعية، البلوريتاريا التحتيّة الحضرية الشابة، التى تجد نفسها جزئيًا فى الجماعات الإسلامية المسلحة . دليل ذلك رفض عدد من الجزائريين الاعتراف بمسئوليه الإسلاميين عن عمليات الاغتيال الدامية . إن الصراع المسلح قد أسفر بهذا الخصوص ، عن إخراج جيل جديد ، أكثر شبابًا من ذلك الذى قام على إنشاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، جيل ليس لديه أى شكل من أشكال التعبير السياسى منذ حل الحزب والذى أصبح يأخذ على الحزب " تواطؤه " مع النظام .

أما الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد ظلت بشكل كلى تصرّ على تصنيف العنف الذى توجهه نحو هدف سياسى مادى ، ووفاء للآمال الاجتماعية لدى قاعدتها ، تصرّ على أن تقوم ، رغم تجربة السرية ، بالخيار السياسى الذى قال به جزء من المجتمع الجزائرى فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ .

كذلك فليس من اليسير على الجبهة الإسلامية ، فى مجال اختيار أهداف العنف ولا فى مجال إدارة الحوار مع السلطة ، أن تحافظ على " مصداقيتها " وفى وقت واحد لدى المناضلين الذى يخوضون الكفاح المسلح ، ولدى محاوريهم فى السلطة الحاكمة . ومن ثم كانت الصعوبة التى تشعر بها الجبهة فى إعلان تحديها بإقامة حوار هو مع ذلك ضرورى بالنسبة لها ، خاصة وأن رصيدها يتضاءل لدى الجماهير بقدر ما تعانى هذه الجماهير من عنف الإرهاب .

جيل الجماعات الإسلامية المسلّحة

تتكون الجماعات الإسلامية المسلحة فى غالبيتها من شبان بين السادسة عشر والخامسة والعشرين (وكذلك إخوتهم الصغار) وهؤلاء هم الذين تظاهروا فى أكتوبر عام ١٩٨٨ . وتضم الجماعات الإسلامية العناصر الأكثر تأزمًا والأقل اندماجًا فى الحزب - بسبب التزام الحزب بالدستورية ، وبالذات من خلال اشتراكه فى المجالس الانتخابية - على النحو الذى كان يعبّر فيه عن مواقفه فى فترة شرعيته. وكذلك فإن الجماعات الإسلامية ، وهى فى ذلك أكثر من جيش الإنقاذ الإسلامى ، هى المعبرّ عن أكثر القطاعات تهميشًا فى الواقع الاجتماعى الجزائرى . فالحقيقة أن الجماعات الإسلامية المسلحة تضم غالبية من العناصر المستبعدة : عاطلين ، وتجار حقيبة ، ومحرومين من التعليم ، كما تضم عناصر هى رموز لحركة اجتماعية كان بروزها على المسرح السياسى الجزائرى فى شكل عنف مناهض للدولة ، وهو مجال تتوجه نحوه آمالهم فى اكتساب أشكال جديدة من الهوية .

وإن أوجه التشابه بل التطابق بين أهداف عناصر الجماعات الإسلامية المسلحة وبين أهداف شباب الشرطة الذين يواجهونهم ، لتدلّ فى واقع الأمر على البعد الاجتماعى لصراع تدلى فيه الأيديولوجية الإسلامية " بتبريراتها " التاريخية . إن هؤلاء الشبان وهم يرتدون الزى نفسه وينتمون إلى أوساط بعينها ، مما يفسر أن الشرطة أكثر تقبلا للخطاب الإسلامى ، يتوجهون نحو الشرطة أكثر مما يتوجهون نحو الأحراش لاعتبارات مادية . وهناك عائلات تنهج سياسة حكيمة للبقاء على حياتها تجعلها تلحق أحد أبنائها بالشرطة والآخر بالجيش ، حتى إذا انتهى الصراع على أى نحو ، ضمنت حماية أحد المنتصرين . هذا الوضع يفسر " حميمية " العنف الذى أصبح من الآن فصاعدا لا تفلت منه أية أسرة جزائرية .

ولكن خلف المواجهة بين الدولة (وممثليها) وبين الجماعات المسلحة ، يلوح الصراع الذى بدأ فى التسعينيات بين " المستمتعين " الذين ينسب إليهم مسئولية المظالم الاجتماعية ، وبين الشباب المقهور الذى تبددت آماله فى التغيير وفى الثأر ذات مساء من يناير ١٩٩٢ .

وبدلاً من الاستراتيجية الدستورية الخاصة " بالتقنيين " التى فقدت اعتبارها بسبب الانقلاب ، حل المنطق المعادى للنظام الخاص بالحكميين ، وهم " الأبطال" الجدد المكلفين بمحو " العار " القديم .

قرصنة سياسية دينية

والجماعات الإسلامية المسلّحة تعرف كذلك كيف توائم بين مصالحها ومصالح شبكات العملاء المنتفعين المحليين ، وتضمن الولاء ، أو على الأقل المساعدة من عصابات المجرمين الذين حوّلوا تصرفاتهم المعادية للحكم وعطشهم فى " تهشيم رأس الشرطة " إلى نوع من القرصنة السياسية – الدينية .

وصورة " المجرم الشريف " ماثلة دائمًا فى التاريخ الجزائرى والمغربى ، وبصفة عامة فى المجتمعات التى يغلب عليها الطابع الريفى . وهذه الصورة بملامح تاجر الحقيبة أو الخارج على القانون توجد أيضًا فى الحركة الإسلامية . فأمام اضطرارهم للتفاوض مع القادة الإسلاميين أيام كانت اليد العليا فى إدارة الأحياء للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، كان "الأولاد الأشقياء" يجدون من الطبيعى أن يلتحقوا بالجماعات الإسلامية . فولاؤهم للإسلاميين يحميهم من بطش السادة الجدد ويجنبهم التعرض للعقوبات . كما أن رغبتهم فى الحركية الاجتماعية واكتساب النفوذ جعل منهم " سادة الحرب " الجدد . ومن ثم ظهر فى الساحة ما يعرف باقتصاد الحرب الذى يستنزف أموال الزكاة والصدقات والسلب والنهب وتجارة قطع الغيار المسروقة أو السيارات المهربة . وكذلك تجارة المخدرات ، وهكذا انتشر ما يعرف باسم تسييس السلوك الإجرامى (أى تسخيره فى السياسة) وتحويله إلى عنف سياسى . وفى ملتقى العنف الاجتماعى والعنف السياسى، جاء دخول المهربين فى الجماعات الإسلامية فاتحة خير للتجار والصناعيين الذين تربطهم علاقة طيبة بالجمارك . ولما كانت الشرطة قلما تتحرك إلاّ لدواعى الأمن ، فقد وجدت المافيا صالحها ، إن لم تكن تشجع على ذلك ، فى العنف الذى يثير الاضطرابات فى المدن الجزائرية . وازدهرت أنشطة المافيا فى ظل العصابات المسلحة فى كثير من المناطق .

الجماعات المسلحة والجماهير الحضرية

في داخل الحركة المسلحة ، يتعايش منطقان متمايزان ، وأحياناً متناقضان أمام ضغط الجيل الأول من أنصار العنف ، راحت الجماعات الإسلامية المسلّحة ، ثم جيش الإنقاذ الإسلامي ، ينهجان استراتيجية ذات مدى متوسط ، تراهن - على المدى الطويل - على انهيار الوضع السياسي والاقتصادي . ومع اقتناعهم بأن الزمن يعمل لصالحهم ، شرعوا في التأثير على قطاعات واسعة في المجتمع لكسب تأييدها في حالة الثورة . وفي مرحلة أولى ، عمدوا إلى التقليل من مواجهاتهم مع الجيش وعدم تبديد قوتهم مقابل أي ثمن . ومع ذلك يتحدثون عن فكرة " الدفاع الشرعي " لتبرير اغتيالهم لأولئك الذين يطلقون عليهم " رجال الحادي عشر من يناير " وهم مجموعة من طوائف مختلفة وهيئات متعدّدة متهمون " بإجهاض اختيار الشعب " . بعد ذلك عمدت أطر الجماعات الإسلامية المسلحة وجيش الإنقاذ الإسلامي إلى التركيز على العمليات العسكرية الضخمة التي تستهدف الاستيلاء على إمدادات من السلاح ، وهم في ذلك يستفيدون من تواطؤ بعض الضباط وصف الضباط المتعاطفين والمفتونين - أو المفزّعين - بالخطاب الإسلامي والسّاخطين على وعود قيادتهم العقيمة : الهجوم على مأمورية الجزائر العاصمة في فبراير ١٩٩٢ (حيث أعدم اثنان من صف الضباط) والهجوم على معسكر بوغزول في مارس ١٩٩٣ - والذي انتهى بفضل تواطؤ داخلي بمقتل عشرين جندياً وسرقة أسلحة ثقيلة - وقضية بشار في ديسمبر ١٩٩٢ - التي حكم فيها على تسعين ضابطاً وجندياً بتهمة " التآمر ضد أمن الدولة " والتحريض على الهرب من الخدمة ، عشرون منهم حكم عليهم بالإعدام .

ولكن في الوقت الذي ينظر فيه جيش الإنقاذ الإسلامي والجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى قاعدتهما الشعبية باعتبارها مصدراً يمكن تعبئته ، ولا يحاولان إفزاع القاعدة - فهما يصران بهذا الخصوص على أن "السكان المدنيين" يكونون بمنأى عن عنف الجماعات المسلحة مع تجنّبها أيضاً للعمليات الانتقامية التي تقوم بها قوات النظام - ، فإن الجماعات الإسلامية المسلحة تفاخر بأنها تتصرف باسم هذا الدعم الشعبي ولا ترحم أي فئة من " أعداء الإسلام " . كذلك فهم يذهبون إلى حد الهجوم على أعضاء فئات هي بصفة عامة في حماية تضمنها لها النصوص المقدسة (إذا لم تخضع هذه الفئات لضغوطهم)

واستصدروا فتوى بتوقيع عمر علمي تدعو إلى " قتل عملاء السلطة أيًا كانوا ، دون رحمة حتى برب الأسرة أو شخص مسن أو امرأة " .

وهو عدوان على مقدسات كانت مصانة حتى ذلك الوقت . فقد تعرضت حوالى مائتى امرأه لأعمال عنف مختلفة من اختطاف إلى تعذيب إلى بتر الأعضاء ، من بين أمهات وبنات وأخوات وزوجات رجال الشرطة والجنود .

أما غالبية جماهير المواطنين التى تضطر بالرغم منها إلى الانحياز لهذا الجانب أو ذاك تحت التهديد ، فإنها قد أصبحت ، بين مطرقة الإسلاميين وسندان الجيش ، تعيش فى رعب وفزع .

وقد أدرك بعض المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ معنى هذا الانحراف ، فاتهمت الجماعات الإسلامية المسلحة بأنها فى أغلبها تتكون من " مرتزقة " كما أنهم يرون أن " المفتونين بالجماعات الإسلامية المسلحة من إسلاميين وغيرهم ، إنما هم من المهمشين . وهم يجدون فى هذه الجماعات ملجأ يجعلهم فى مأمن من القمع ويجعلهم يضربون السلطة التى كانت دومًا تقوم بقمعهم . فالعسكريون فى جيش التحرير الوطنى ليس لديهم الحرية التى لدى الجماعات الإسلامية المسلحة الذين يمكن لأفرادهم أن " يضربوا " أى شخص وفى أى زمان ومكان . هؤلاء يجدون مزيداً من الحرية فى الجماعات الإسلامية المسلحة ويستطيعون أن يشبعوا فيها رغبتهم فى الانتقام"(١) .

كان من نتائج القسوة التى تمارسها الجماعات الإسلامية المسلحة ، وبالذات تعدد عمليات السيارات الملغومة ، أن فريقًا متزايداً من سكان الأحياء الشعبية ، وهم أنصار طبيعيّون للجبهة الإسلامية للإنقاذ، بلغ بهم الأمر إلى الانفصال عن المعسكر الإسلامى: " الجماعات الإسلامية المسلحة لا تعترف إلا بكلمة لا : لا للحوار ، لا للهدنة ، .. إنهم ليسوا سوى جماعة حرب . ليس لديهم سياسة . هم فى الحرب ضد سائر طوائف المجمع داخل البلاد ، وضد جميع الدول فى الخارج . حتى داخل الفرق الإسلامية ، هناك معارضة متزايدة لممارسات الجماعات الإسلامية المسلحة(٢) .

(١) لقاء مع أحد المسئولين السياسيين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى سبتمبر ١٩٩٤
(٢) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مارس ١٩٩٥

محاولة التدويل :

بعد إخضاع ما ينشر عن العنف المسلح للسلطات العسكرية وتكرار عمليات اغتيال أفراد قوات الأمن مع تزايد الصراع ، لجأت الجماعات الإسلامية المسلحة إلى الهجوم على أهداف جديدة ، من بين هذه الأهداف شخصيات ثقافية وصحافية . ولما أصبحت هذه الاغتيالات من الأمور العادية ، حاولت الجماعات المسلحة البحث عن أهداف جديدة .

منذ شهر ديسمبر ١٩٩٣ – تاريخ انتهاء موعد الإنذار الذى وجهته الجماعات المسلحة إلى الحكومات الأجنبية ، صبيحة إطلاق سراح ثلاثة من العاملين بالقنصلية الفرنسية ، كانت الجماعات تحتجزهم رهائن – بدأ الاتجاه نحو تدويل الأزمة الجزائرية الذى أصبح بدوره يقسم مختلف توجيهات الحركة الإسلامية إلى قسمين – ففى حين جعلت الجماعات الإسلامية المسلحة هدفها الجديد هو " أعوان المؤامرة الاستعمارية البغيضة " أى الأجانب فى البلاد ، الدول الرئيسية المستهدفة بهذه الاغتيالات (فرنسا وإيطاليا وأسبانيا) حيث إنها تمثل غالبية التعاملات مع بلدان العالم ، بالإضافة إلى روسيا وهى الممول الرئيسى لهم بالسلاح – فإن المسئولين فى جيش الإنقاذ الإسلامى والجبهة الإسلامية للإنقاذ الذين يعارضون مثل هذه الاغتيالات ، حاولوا إقناع الناس بقرب استيلائهم على السلطة . فعمدوا مراراً إلى التدخل لدى الجماعات الإسلامية المسلحة التى قبلت ببعض وجهات نظرهم على ما يبدو ، فأعرضوا عن استهداف مواطنى جنسيات دول معينة – فى مقدمتهم مواطنو الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان – كنوع من المراعاة والتمهيد لمستقبل علاقاتهم التجارية ، فى حالة وصولهم إلى السلطة . كذلك فإن المسئولين فى اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج قاموا لهذا الهدف ، بعقد صلات مع بعض رجال الصناعة فى أوروبا ممن لديهم الرغبة فى الاستثمار فى الجزائر ولا يأنفون من الحصول على ضمانات عن طريق قادة أقوياء . كما قام هؤلاء المسئولون أنفسهم بمقابلة مبعوثين سياسيين أوروبيين وأمريكيين بهذا الخصوص .

ونظراً " لحصار " الكفاح المسلح (استحالة التأييد الخارجى وضعف الدعم) واعتباراً لصمت المجتمع الدولى فيما يتعلق بالقمع ، فإن الجماعات الإسلامية المسلحة قامت بخطوة جريئة فى إطار سياستها فى تدويل الأزمة . وبهدف إظهار عجز الدولة الجزائرية عن حماية أمن الذين تزعم حمايتهم ، وبهدف إحداث صدمة فى الرأى العام

العالمي ودعوة الحكومات الغربية لإعادة النظر في دعمها للحكومة الجزائرية ، كان لحادث اختطاف الطائرة التابعة لشركة الطيران الفرنسية ، وقع الزلزال ليس في فرنسا وحدها . إن " حادث الطائرة " يدل على أن السلطات الجزائرية عاجزة عن محاصرة العنف . وظهرت فرنسا كعنصر أساسي في الصراع ، وبدأت تؤيد ، على الأقل مؤقتًا ، الداعين إلى إقامة حوار سياسي وذلك ضد الرأي القائل " بالبطش من أجل الأمن " . زاد من هذا الاتجاه مقتل الإمام سحنون والانفجار الذي وقع في محطة سان – ميشيل في باريس في يوليو ١٩٩٠ . على أية حال ، فليس من المستبعد ، رغبة في كسر الرتابة المتمثلة في عمليات قتل الأجانب ، أن تقوم الجماعات الإسلامية المسلحة بتصدير العنف إلى خارج الحدود الجزائرية . ولعل مما يؤيد ذلك العزم كثرة عمليات الأسلحة المعدة للأدغال الجزائرية في أوروبا خلال عام ١٩٩٥ ، والكشف عن كثرة الشبكات المتعاونة مع الجماعات الإسلامية المسلحة .

العنف والرهانات الاقتصادية

بالإضافة إلى أن تعارض التناول بين الجماعات الإسلامية المسلحة والجبهة الإسلامية للإنقاذ ينصب على منافسات شخصية تقليدية ، فإنه يحيلنا أيضًا إلى أسلوبي التعامل مع السياسة اللذين كان ينهجهما الحزب في فترة شرعيته . ففي حين يرى المسئولون في الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن العنف ما هو إلا استمرار للسياسة بطرق أخرى ، ويتعاملون معه داخل إطار الدولة – الوطن[١] ، فإن قدامى "التيوقراطيين" يجعلون من اللجوء إلى الكفاح المسلح في الأراضي المسلوبة من الأمة[٢] "فرض عين"[٣] ، وبالتالي ، هدفًا في حد ذاته ، يتيح للمناضل فرصة كبرى لنيل الشهادة " .

(١) يدخل في هذا الصدد العرض الذي تقدم به حسن الترابي بالتدخل للوساطة بين مختلف الأطراف الجزائرية في مقابل وعد من جانب فرنسا بالعمل على رفع الضغط الأمريكي على السودان .

(٢) انظر في هذا الموضوع فيما يخص المجاهدين الأفغان آراء أو ليفييه روا في كتابه بعنوان "فشل الإسلام السياسي" باريس ، دي سوي ، ١٩٩٢

(٣) رسالة بقلم عبد السلام فرج ، المنظر لجماعة " الجهاد " التي اغتالت السادات .

إن اختلاف المفهوم المتعلق بالعنف فى الحرب ، بوصفه عنفًا من أجل العنف (موقف الجماعات الإسلامية المسلّحة) والعنف كوسيلة (موقف الجيش الإسلامى للإنقاذ) يفسر الطبيعة المتناقضة أحيانًا فى الاستراتيجيات المستعملة من جانب الجماعات المسلحة السرية المختلفة . إن أطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى إطار حرصها على المحافظة على الحزب لكى يمكن أن يشكل فى المستقبل نواة النظام ، يحاولون أن يأخذوا فى الاعتبار الضغوط المتعلقة بعدم التكافؤ فى علاقة القوة بينهم وبين الجيش . وفى ذلك يصرح أحد المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ قائلا : "إن الجماعات الإسلامية المسلحة تؤكد أنها لن توقف القتال قبل قيام الدولة الإسلامية وتنصيب الخليفة . أما نحن فإننا ضد هذه الاستراتيجية . نحن نؤيد الحل الذى يحافظ على أكبر قدر من الأرواح والممتلكات ، ويتضمن قدرًا من الواقعية . نحن لا نطالب بأن يحكم الجزائر الإسلاميون مائة فى المائة "[1] . وفى صبيحة التوقيع على عريضة روما فى يناير ١٩٩٥ ، وافقت اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج (بشكل غامض) على إدانة عمليات الاغتيال التى تستهدف " الأبرياء بصرف النظر عن ديانتهم وجنسياتهم وجنسهم وبصرف النظر عن مرتكبى هذه الأعمال " .

وكما يعارض القادة السياسيون للجبهة الإسلامية للإنقاذ اغتيال الأفراد مثل المثقفين والأجانب الذين لا علاقة لهم بالانقلاب ولا القمع ، فإنهم أيضًا يعارضون تدمير المدارس والمصانع الذى تقوم به الجماعات الإسلامية المسلحة . وعلى ذلك فبينما اعتادت هذه الجماعات الاعتداء على كل رموز الدولة (الهجوم على العموديات وأقسام الشرطة والمعسكرات ومكاتب البريد والبنوك والمشروعات العامة وتخريب مراكز الهاتف ومحطات الكهرباء ، وتدمير الجسور والمدارس ..)[2] أما جيش التحرير الوطنى فيعترف اعترافًا ضمنيًا بالمؤسسات القائمة . كما أن حرص المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجيش التحرير الوطنى على الحفاظ على فرصتهم فى الوصول إلى السلطة بدعم أو على الأقل حياد من جانب المستثمرين الأجانب ، يجعلهم يعلنون دائمًا حمايتهم للهيكل الاقتصادى فى البلاد .

(١) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى يونيو ١٩٩٤

(٢) فى أغسطس ١٩٩٤ ، أعربت السلطات الجزائرية عن أسفها لتدمير أكثر من أربعمائة مؤسسة تعليمية .

وقبل عام ، وجه على بن حاج تعليماته التى تقضى بعدم المساس بهذه المنشآت . " إذا كنا نريد إقامة دولة إسلامية فعلينا أن نحافظ على مــواردنا . كذلك من الواجب ألا نمسّ المصانع أو المؤسسات التى تتفوق فيها المصالح العامة على مصالح الدولة (وبخاصة المدارس) . ليس معنى ذلك أن هذا التوجيه ينفذ ١٠٠٪ وليس معنى ذلك أن الجماعات الإسلامية تلتزم دائمًا بهذا المبدأ "(١) .

بحثًا عن حل سياسى :

الجناح العسكرى ، مثل الجناح السياسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لم يكف كلاهما عن التفكير فى حل تفاوضى . " الجناح العسكرى للجبهة الإسلامية للإنقاذ المكون من أعضاء كانوا دائمًا جزءًا من الجبهة يخوض الجهاد من أجل النضال ضد تجاوزات النظام . وهو ما يزال مرتبطًا بالإدارة التاريخية للجبهة ، أى بالمجاهدين وهو أيضًا يعارض الجماعات الإسلامية المسلحة ، ويتبّنى خطًا سلوكيًا مختلفًا وهو لا يعارض المفاوضات التى ينبغى أن يتولاها مسئولون سياسيون " هذا ما يصرح به أحد المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج ، الذى يرى أن من الواجب من الآن فصاعداً اتخاذ الإجراء الحقيقى لفصل جيش الإنقاذ الوطنى ، "حيث يوجد بعض المتطرفين ، هذا صحيح ، ولكن حيث لا حل إلاّ الحل السياسى أخذًا فى الاعتبار "الضغوط" والجماعات الإسلامية المسلحة. " التى تريد أن تسوى المسائل بالقوة وحدها"(٢) .

وبصورة أكثر دقة ، فيما يختص بجيش الإنقاذ الوطنى والجبهة الإسلامية للإنقاذ، من الضرورى " إيضاح الأهداف من أجل عمل قائمة بالأولويات ، من حيث إن الأولوية الآن تتركز فى معرفة ما نريد أن نخرج به من النضال . ينبغى أن نعرف كيف نميز أهدافنا ، نفرق بين الوسائل الكفيلة بخدمة مشروعنا ، وبأقل الخسائر والتضحيات . إن المقاومة ليست هدفًا فى حد ذاتها"(٣) . وعلى النقيض من الجماعات الإسلامية

(١) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى ديسمبر ١٩٩٤
(٢) لقاء مع مسئول سياسى للجبهة فى يونيو ١٩٩٤
(٣) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مايو ١٩٩٤

المسلحة التى تعلن أنها تنوى أن تناضل حتى يتحقق المجتمع المثالى الكامل ، وترفض أن تضع يدها فى يد " النظام القديم " ، فإن المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يفضلون حلاً يجمع القوى السياسية الثلاث التى وصلت إلى أفضل النتائج فى انتخابات ديسمبر ١٩٩١ وهى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وجبهة القوى الاجتماعية وجبهة التحرير الوطنى ، ويجعل أركان حرب الجيش ينسحب من الساحة السياسية .

هذا التوجه نحو الحوار هو ما أشار إليه ضمنياً على بن حاج الذى يؤيد مساعى الجنرال زروال من أجل تهيئة الفرصة للحوار ، كما أنه فى رسالة أخرى إلى الرئيس زروال أشار إلى الفارق بين " المقاومة المشروعة " التى يقوم بها المجاهدون ، وبين "الإرهاب الأعمى" (إشارة إلى الجماعات الإسلامية المسلحة) .

جاء ذلك بشكل أكثر وضوحاً وصراحة على لسان عبد القادر بوخمخم وعلى جدّى (المسئولين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتم إطلاق سراحهما فى فبراير ١٩٩٤) اللذين يعبران عن أملهما فى نجاح مساعى الحوار التى يسعى لتحقيقها الرئيس زروال . كما يؤكد الزعيمان عزمهما على عدم فرض أى نموذج اجتماعى على الجزائر ، أو طلب أى وزارات دون المرور بالانتخابات . كذلك يضع الزعيمان شروطاً لنجاح مساعى السلطة فى النقاط الآتية :

(١) إطلاق سراح قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإغلاق معسكرات الاعتقال ، وإلغاء المحاكم الخاصة .

(٢) رفع الحظر المفروض على الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإطلاق الحريات السياسية، وحرية الصحافة والخطابة وأعمال الخير .

(٣) العودة إلى الشرعية المتفقة مع المعارضة القانونية .

(٤) إيقاف الاعتداءات على المنازل والمساجد .

وتكلم عباس مدنى بعد صمت دام ثلاث سنوات ، بعد أن قام بزيارته الجنرال محمد بليتشين والجنرال طيّب ديراجى (وهما قريبان من زروال) ووجه بدوره رسالة إلى رئيس الدولة فى نهاية شهر أغسطس عام ١٩٩٤ يؤكد فيها على شروط مشاركة

الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى "الحوار" ، ويؤكد تأييده لتصريحات زروال المتعلقة بضرورة احترام الدستور . ولكنه ذهب أبعد من ذلك ، حينما عرض إمكانية عقد "هدنة" عسكرية، بهدف خلق جو من الهدوء يسمح بالحوار ، وهو بذلك يؤيد أول مطلب للرئيس .

وفى الثالث عشر من الشهر التالى ، أحدث خبر إطلاق سراح بن حاج ومدنى ، فعْل الزلزال فى الجزائر كلها . وبينما حددت إقامة الرجلين ، أفرج عن بقية رفاقهم إفراجًا تامًا .

كان ذلك القرار نتيجة اتفاق بين مختلف اتجاهات الجيش ، ومع ذلك فقد كان سببًا فى خلافات كثيرة . فإذا كان الأمر بالنسبة للقادة العسكريين يتضمن إقناعًا لأصدقائهم الغربيين بحسن نواياهم، وعاملاً على جذب المستثمرين الأجانب من جديد ، فهو لا يدل، بأى شكل من الأشكال ، على قبول القادة العسكريين لأى مساس بتفوقهم السياسى . وإذا كان زروال حاول العمل على إيجاد حل " تفاوضى مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فإن العسكريين الراديكاليين لم يروا فى الإقامة المحددة التى فرضت على زعيمى الجبهة الإسلامية للإنقاذ سوى الدليل على أن الشيوخ ليس لهم أى سلطة على الجماعات المسلحة، وفى هذه الظروف ، فليس هناك جدوى من إقامة حوار معهم . كما أن الجنرالات الراديكاليين لا يمكن أن يوافقوا على إعطاء الإسلاميين ضمانات إلا فى حدود أن هذه المبادرة سوف تقدم لهم فرصة أكبر لفرض إرادتهم (يعبر العسكريون فى تصعيد متزايد عن رفضهم الشديد لإقامة حوار مع فئة هم مكلفون بقمعها) وفى السابع عشر من سبتمبر ١٩٩٤، أى بعد أربعة أيام من خروج بن حاج ومدنى من السجن وتحديد إقامتهما فى منطقة جنان المفتى أصدر الجنرال لامارى توجيهًا إلى القادة العسكريين فى المنطقة يبين لهم فيه أن الزعماء الإسلاميين مستعدون للتفاوض لسبب بسيط ، وهو أنهم فى وضع ضعيف للغاية ، وأنه من الواجب انتهاز فرصة ضعفهم للقضاء نهائيًا على الأحراش الإسلامية . إذًا ، يعدّ هذا بمثابة نور أخضر لقادة المنطقة الذين لديهم فرصة ثلاثة أشهر ، كما يحدد التوجيه ، لكى ينتهوا تمامًا وعلى أكمل وجه من عملية " التصفية " .

أما الجماعات الإسلامية المسلّحة ، فقد أكّدت ، منذ الرابع عشر من سبتمبر ، رفضها لأى تفاوض مع السلطة . وتمسكت بمثلث الرفض : " لا مصالحة، ولا هدنة ، ولا حوار" .

وأيا كان الأمر ، فقد تعثرت محاولة التفاوض مرة أخرى بسبب إصرار السلطة على أن تقوم الجبهة الإسلامية للإنقاذ بإعلان إدانتها لاستعمال العنف كمطلب سابق لإطلاق السراح الكامل لكل من مدنى وبن حاج . كذلك فإن رفض العسكريين للطلب المقدم من الشيخين مدنى وبن حاج بإجراء مشاورات مع قادة جيش الإنقاذ الوطنى والجماعات الإسلامية المسلّحة وكذلك مع اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج ، قد عطّل فرص نجاح المبادرة . " لا يمكن تحقيق أى حل للأزمة ما لم يقم الشيخان بمقابلة المسئولين فى الجماعات الإسلامية المسلّحة ، وكذلك جيش الإنقاذ الوطنى والمسئولين فى الخارج ، فإذا قامت السلطة بإطلاق سراح الشيخين والسماح لهما بالحركة ومقابلة المسئولين فى الجماعات الإسلامية المسلّحة ، فأعتقد أننا سنتوصل إلى إقناعهم ، على المستوى الدينى ، وعلى المستوى السياسى"(١) .

أما العسكريون الراديكاليون ، فقد تعللوا بفشل الحوار وعجز عباس مدنى وبن حاج عن تطويق حلقة العنف ، وشرعوا فى الهجوم عشية الأول من نوفمبر ١٩٩٤ . ففى أول أكتوبر وقع كل من رضا مالك وسليم سعدى ومصطفى الأشرف وعلى هارون على مذكرة يعبرون فيها عن معارضتهم لأى نوع من أنواع الحوار . وهدد رضا مالك بتأسيس حزب يندّد بأى اتفاق مع الإسلاميين . وفى الثانى عشر من أكتوبر ، وفى الوقت الذى تعلن فيه الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن استعدادها للحوار مع السلطة ، وقعت سلسلة من الاغتيالات باستخدام السيارات الملغومة هزّت العاصمة .

وفى مناسبة الاحتفال ، بذكرى الأول من نوفمبر ، أعلن الرئيس الأمين زروال عن إجراء انتخابات الرئاسة التى سيكون هو المرشح الأساسى فيها ، وأعلن عن تصميمه على القضاء على " المرتزقة " وهم " الإرهابيون " الإسلاميون ، وفى معرض حديثه

(١) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى سبتمبر ١٩٩٤

أشار الرئيس إلى أسفه لعدم نجاح آمال " المصالحة " . وفى الأول من نوفمبر ، وقع حادث انفجار قنبلة أدّى إلى مقتل أربعة شبان على بعد ثمانين كيلو متر من مستجانم .

وفى اليوم نفسه ، جاءت ترقية الجنرال لامارى إلى رتبة قائد عام للجيش ، دليلاً على انقلاب ميزان القوة فى الجيش لصالح الراديكاليين .

وعلى مستوى الواقع ، تجلّى ذلك فى حملة دامية من الأعمال الانتقامية أدت إلى مقتل عدة آلاف خلال عدة أسابيع . فلقد تم تزويد الجيش بوسائل مادية وتقنية إضافية (وبخاصة تجهيزات عسكرية تم شراؤها من فرنسا) فعمد إلى استراتيجية إرهاب جديدة. ودخلت الجزائر الحرب . حرب جاء غياب الصور التى تعبر عنها ، فى الخارج ، ليقوى الشعور بالعزلة الذى كان سببه قبل ذلك إغلاق الحدود . وإذا كانت القناصل الأجنبية ، وبخاصة الفرنسية ، لم تغلق أبوابها بالفعل ، فإنها امتنعت عن منح أية تأشيرات مما اضطر المسافرون إلى القيام بمساعى مكلفة وغير أكيدة .

وهكذا دخل العسكريون والإسلاميون المسلحون فى الجماعات الإسلامية المسلحة فى نوع من الحرب الأهلية . وعمدت الدولة إلى توزيع السلاح على المدنيين (قدامى المجاهدين ، أبناء الشهداء) وبخاصة فى القبائل ، واستعدت لإصدار موافقتها للميليشيات التى تكونت لهذا الغرض[1] .

ودفع شبح الحرب الأهلية المسئولين فى بعض الأحزاب السياسية إلى الشروع فى بعض المحادثات والحوارات . وقامت الجمعية الكاثوليكية الرومانية سانت إجيديو بأول هذه المبادرات . ففى الحادى والعشرين من نوفمبر ، قامت هذه الجمعية بتنسيق لقاء فى روما بين زعماء أحزاب المعارضة التى حصلت على ٨٠٪ من الأصوات فى الانتخابات التشريعية التى أجريت فى ديسمبر ١٩٩١ . وقد وصل المجتمعون إلى اتفاق عام من ثلاث نقاط ، بضرورة وضع حد للعنف ، وفتح باب الحوار مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ،

(١) فى الثانى عشر من مارس ١٩٩٥ أعلن وزير الدفاع مزيان شريف عن قرب إصدار قانون يسمح لسكان المناطق المعزولة " بالدفاع عن أنفسهم " .

واحترام التعدّدية والحريات الأساسية ومبدأ التناوب فى السلطة . وبذلك أثبت المجتمعون أن " فشل بدء *الحوار الذى كان قد اقترحه الأمين زروال فى شهر سبتمبر الماضى لا يرجع إلى الإسلاميين وحدهم ، وإنما أيضًا إلى النظام نفسه* " .

كانت تلك خطوة . وهكذا خرجت المعارضة من قوقعتها . ولم يكن أحد يعرف ماذا كانت تفعل فى العاصمة ، ثم إن رفض النظام أن يشارك فى الاجتماع أثبت أنه يهرب وأنه يخشى من *الحوار* " . نحن نريد أن تعبرّ المعارضة عن نفسها ، حتى يكون الرأى العام العالمى على دراية برأى كل طرف من أطراف الصراع . إن المعارضة التى تواجهها السلطة ليست إسلامية فقط . من هذه الزاوية يعد الاجتماع حدثًا مهمًا بالنسبة للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، أما بالنسبة للسلطة ، فقد كان منعطفًا خطيراً ، لأنه كشفها أمام الرأى العام العالمى . والرأى العام العالمى ضليع فى هذا الصراع . إن الإعلان عما يجرى عن طريق المعارضة ، يقلق السلطة : هذا يبين أن السلطة هى *التى ترفض الحوار*"(١) .

وعقد اجتماع آخر فى روما من الثامن إلى الثالث عشر من يناير عام ١٩٩٥ ضم الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطنى وجبهة القوى الاجتماعية . وقد اتفق المجتمعون على مذكرة حول الحل السياسى والسلمى للأزمة الجزائرية ، تكون أساسًا "لنقلة ديمقراطية" حقيقية . وقد استهدف الاجتماع والمذكرة دفع *الرأى العام العالمى* "وإجباره على أن يبادر بإقامة حوار يضم جميع الأحزاب" . "نحن لا نريد أن نبدو جبهة ضد السلطة . نحن نتمنى أن تنضم السلطة إلى هذا الإعلان . هذه يد ممدودة إلى جميع العاقلين الموجودين داخل النظام"(٢) .

قبل ذلك ، كان النظام وحده هو الذى يأخذ المبادرة على الساحة العالمية . أما منذ اجتماع روما فقد انتهى ذلك . " إنها سلطة غير شرعية ، مما يدعوننا *إلى اللجوء إلى* الرأى العام العالمى . لابد من التمييز بين الدولة والنظام . نحن لسنا ضد الدولة"(٣) .

(١) لقاء مع مسئول سياسى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى ديسمبر ١٩٩٤
(٢) تصريح لرباح كريم فى صحيفة الصليب ، السبت الحادى والعشرين من يناير ١٩٩٥
(٣) لقاء فى روما مع أنور هدام فى الثالث عشر من يناير ١٩٩٥

وكان رفض النظام " كلية وتفصيلاً " " لعرض السلام " الذى تم تبنيه فى روما ، دافعًا لعلى بن حاج إلى توجيه رسالة فى العشرين من يناير ١٩٩٥ يعرب فيها عن تأييده لمذكرة روما ويبرر فيها اختيار العاصمة الإيطالية مكانًا للمفاوضات .

ومن ناحية أخرى ، فقد عرّض صدور مذكرة روما ، فى البداية ، الجزائر لسلسلة من أعمال العنف من جانب المتشددين فى النظام والجماعات الإسلامية الراديكالية ، الهدف منها محاولة إقناع الرأى العام العالمى بأنه لا جدوى من المفاوضات مع حزب (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) عاجز عن أى تأثير على الجماعات المسلحة . ومن جانب النظام ، جاءت النتيجة الفورية فى شكل تكثيف لم يسبق له نظير لعمليات القمع ، ثم إعادة عباس مدنى وعلى بن حاج إلى السجن فى نهاية يناير ١٩٩٥ . وقد تجلى "الانحراف الأمنى" للسلطة بمناسبة العصيان الذى قام به المحتجزون فى سجن سرقاج فى الثانى والعشرين من يناير ١٩٩٥ . حيث تم إعدام حوالى مائة من السجناء منهم عدد من المسئولين السياسيين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، هذا بالرغم من الإيقاف الرسمى لعملية الإعدام . ولم تفلح المحاولات التى بذلت من أجل تشكيل لجنة للتحقيق (قامت بها القوى السياسية الرئيسة والمنظمات الوطنية والعالمية للدفاع عن حقوق الإنسان والمحامون وأسر الضحايا) تتولى إلقاء الضوء على ملابسات هذه المجزرة .

أما عبد القادر حاشانى المقبوض عليه والمودع فى الحجز منذ عام ١٩٩٢ فى سجن سرقاج بلا محاكمة والذى كان قد حاول بلا جدوى أن يتوسط بين المتمردين وسلطات السجن ، فقد بدأ إضرابًا عن الطعام رمزًا لمعارضته لهذا القمع الدموى ، ووجه فى السابع عشر من مارس رسالة إلى الأمين زروال يحمّل فيها قوات الأمن مسئولية النهاية المأساوية للحادث .

وأما السلطة الجزائرية التى كانت حريصة على اتخاذ مبادرة سياسية ضاعت منها فى اجتماع روما الذى لم تحضره ، فقد أعلنت تصميمها على إجراء انتخابات رئاسية قبل نهاية عام ١٩٩٥ . وقد دفعها إلى ذلك الملل الذى استولى على الجماهير، وكذلك الصمت الذى يشوبه القلق والذى يخيم على شركائها الغربيين ، آملة من وراء هذه الانتخابات ، وأمام الرأى العام العالمى ، كسب " الشرعية " للمجموعة القيادية الجديدة (حتى ولو بتوسيع قاعدتها) ووضع الخطوط العريضة "للخروج من الأزمة" .

الخاتمة

إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بوصفها تمثل توازنًا ضعيفًا بين حركة اجتماعية وحزب سياسى، لم تتمكن من المحافظة على هذه الطبيعة المزدوجة إلا عن طريق الاتفاق مع السلطة السياسية فى إطار قواعد لعبة دستورية ذات مبادئ متحركة .

لكن طابع " الصدارة " فى البناء المنجز أفرز عجزًا فى السيطرة على توترات تولدت من تحالف تيارات متباينة وذات مصالح متغايرة ومتناقصة فى بعض الأحيان. والحقيقة أن البون كان شاسعًا بين حركة اجتماعية تضم "المعذبين فى الأرض" الجدد ، وجهاز سياسى فى خدمة مصالح نخبة معينة . والجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بوصفها حاملة الإنقاذ الجماعى للبعض ، ووسيلة الارتقاء الشخصى للبعض الآخر ، كانت خلال السنوات الثلاث وهى فترتها الشرعية ، الدليل لمطلب اجتماعى وسياسى غير قياسى .

وإن التعايش المتحقق ، داخل إطار النضال المسلح ، لمنطقين متعارضين (منطق جيش الإنقاذ الإسلامى ومنطق الجماعات الإسلامية المسلحة) ليدل فى الواقع على قطبية الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى اتجاهين لا يمكن التوفيق بينهما فى الظاهر .

ومن ناحية أخرى ، فإن انقلاب يناير سنة ١٩٩٢ والقمع الذى صاحبه ، وبسبب إفسادهما للاستراتيجية الانتخابية الخاصة بقادة الجبهة خلال سنوات شرعيتها ، وبسبب إضفائهما على النضال المسلح شرعية غير مؤكدة ، أقول إن هذا الانقلاب وما صاحبه من قمع لم يفرزا فى النهاية سوى مزيد من الحدّة فى الصراعات القائمة بين "التقنيين" وبين " التيوقراطيين " . غير أنهما أدّيا ، وبصورة أعمق ، ومن خلال ميلاد الجماعات الإسلامية المسلحة ، إلى بروز قوة جديدة تخرج من إطار سيطرة الزعماء السياسيين فى الحزب .

وعشية الانتخابات التشريعية فى ديسمبر ١٩٩١ ، وفى الوقت الذى كان فيه "التقنيون" فى إدارة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى طريقهم إلى كسب الدستورية ، وبالتالى إلى فرض منطقهم التشاركى على الغالبية العظمى فى الحركة ، فإن "التيوقراطيين " بدعمهم انتقال العديد من المناضلين ومن الأطر فى الحزب إلى السرّية ، أصبحوا الآن يهيمنون على ساحة خطاب الحركة الإسلامية . فتحت نفوذهم ، وخلال ثلاث سنوات من النضال المسلح ، أصبح شباب الحركة ، المحركين الرئيسيين لكفاح أصبح فى نظرهم يستهدف تدمير أسس الدولة .

لذلك ، ففى الوقت الذى يعترف فيه " التقنيون " فى الإدارة السرية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ضمنياً ، بالمؤسسات القائمة ، وما يزالون على حرصهم على تجنيب الجماهير المدنية الصراع ، وهى الجماهير صاحبة القرار فى حالة العودة إلى الانتخابات، ومع إدراكهم للمنافسة التى تضعهم أمام نخبة الدولة ، فإن "التيوقراطيين" ومناضلى الجماعات الإسلامية المسلحة ، من منطلق اقتناعهم برسالتهم التاريخية ، يُسخِّرون العنف فى فرض نظام اجتماعى معارض ومهيمن ، هو فى أعينهم صورة للدولة الإسلامية التى يحلمون بها .

وفى الوقت نفسه ، وفى حين يحاول " التقنيون " إقناع شركائهم التجاريين الرئيسيين فى الجزائر ، بإمكانية وصولهم إلى السلطة ، وكذلك قدرتهم على تحقيق نوع من الاستقرار السياسى ، ويعلنون فى هذا الصدد تحفظهم حيال عمليات اغتيال الأجانب ، فإن الآخرين وتحت وطأة القمع ، ينطلقون فى استراتيجية تدويل للأزمة قد يكون من نتائجها أن تؤخر استعدادات النظام للتفاوض . هل نحن أمام تناقضات أساسية أم أمام " لعبة تقسيم الأدوار " بين قطبى الحركة الإسلامية فى الجزائر ؟ إن هذه الخصوصية الاستراتيجية قد تزول مع ذلك فى صالح وصولهم إلى السلطة . ومثل هذا الاحتمال يمكن فى الواقع أن يؤدى ، على غرار ما حدث فى الثورة الإيرانية الإسلامية ، إلى ميلاد اتحاد بين " الراديكاليين " و " السياسيين " وظهور قوى سياسية أخرى فى البلاد .

أيًا كان الأمر ، فإن الانحراف المرضى يقود شباب الجماعات الإسلامية المسلحة إلى المزيد من أعمال العنف على حساب المقدرات الاجتماعية والسياسية السابقة على ظهور الأيديولوجية الإسلامية . وهم بذلك لا يتقبلون المنطق السياسى .

إن على بن حاج وحده ، الذى ما يزال يتمتع بسلطة وشرعية دينيتين ، يمكن فى هذه الظروف أن يخرج علينا بمنطق تقبله الجماعات الإسلامية المسلحة ، وبتأييد من القرآن ومن السنة يخفف من غلواء الشطط الذى يسيطر عليهم ، ضد جماهير المواطنين المدنيين (الجزائريين والأجانب) .

ولكن كيف يتمكن قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، بمن فيهم على بن حاج ، من المحافظة على سيطرتهم على غالبية قاعدتهم وإلزامهم باحترام وقف إطلاق النار ، فى الوقت الذى تجاوز فيه مؤشر العنف عدة مئات من القتلى كل أسبوع ؟

ومن ناحية أخرى ، نتيجة لفشل الجبهة الإسلامية فى دمج شبابها الثائر فى الإطار السياسى السلمى وذلك بتمكينه من حد أدنى للتمثيل والمشاركة ، صارت فرصة الجبهة ضئيلة فى التضحية بزعماء الجماعات الإسلامية المسلحة فى سبيل احتمال عقد اتفاق مع الجيش .

ولكن اتفاقًا عسكريًا – إسلاميًا يمكن كذلك أن يبدأ مرحلة جديدة فى التاريخ السياسى الاجتماعى الجزائرى ، مرحلة عنف لا سبيل إلى مقاومتة . وهو وسيلة التعبير الوحيدة لدى الشباب الحضرى المقهور (من حيث إن هذا العنف يخلق هويات جديدة وتضامنًا جماعيًا جديدًا) .

إن العنف المدمّر الذى يستولى على مختلف أطراف النضال المسلح منذ مطلع عام ١٩٩٤ والتمثيل بالقتلى (قطع الرءوس والأطراف) وبروز نوع من ثقافة الموت بين صفوف الأجيال الشابة (تحل محل الرغبة فى الاستهلاك ، ومن ثم التوتر الذى لا يزول إلا بالانتقال إلى الفعل) كل ذلك يشهد منذ الآن بأن عودة الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الدستورية قد لا تكفى ، وحدها ، لإقرار السلام الاجتماعى . وعلى ذلك فنحن لا نستطيع، مع افتراض الوصول فى النهاية إلى اتفاق بين السلطة والإسلاميين ، أن نتنبأ بردود الأفعال التى يمكن أن تصدر عن الجيل الصاعد من المناضلين الإسلاميين الذى عاصر النضال المسلح وأصر على رفض الحوار مع السلطة .

إن العنف ، الذى كان ثمرة تفكك اجتماعى وسياسى ، واختلاف فى الرأى يفضى الآن إلى جميع أنواع التمرد والعصيان ، بلغ الآن من القوة حدًا حرم المجتمع من قدرة السيطرة الذاتية عليه .

وبسبب عدم اكتمال بناء الهوية الوطنية – فحدود الوطن السياسية ، منذ ثلاثين عامًا ، ما تزال مادة للمساومات ، مما أفقدها التحديد الواضح – فإن العنف يتغذى أيضًا على صراعات اجتماعية – لغوية ، الأطر " الفرنكوفونية " هى التى تدفع ثمنها .

إن الاضطرابات التى تمزق الجزائر الآن ، إذ تمتد جذورها فى أعماق الأحقاد الاجتماعية والثقافية التى غذاها النظام طيلة ثلاثين عامًا ، كانت تستهدف فى البداية تدمير أسس النظام الاستبدادى ، غير أنها الآن تتغذى على الحقد الذى يكنه فريق من الجزائريين لفريق آخر .

كل ما نستطيع أن نأمله الآن ، فى حالة الوصول إلى حوار بين السلطة والأحزاب المعارضة ، هو التقليل من عمليات الاغتيال التى ترجع إلى أسباب سياسية . ولكن الذى نخشاه هو أن استمرار أنواع أخرى من العنف تعتمد على اقتصاد إجرامى وتتغذى على مبررات ثقافية تتجدد على الدوام .

حينئذ سنكون أمام نوع من الحروب الأهلية (عائلات تمزقها ولاءات متصارعة، عسكرة السياسيين) حتى ولو كان مثل هذا الوضع ما يزال مرفوضًا الآن من مختلف الأطراف . إن التسليم بوجود جماعات مختلفة تشارك فى الصراع ونعتها بهذه الصفة يعنى الاعتراف لها بمنطق خاص ، وبالتالى ، بنوع من الشرعية، كل طرف يجاهد ، حتى الآن ، فى إنكاره للطرف الآخر . إن المصادمات التى يتعرض لها المجتمع الجزائرى جرى عليها حكم التاريخ الذى قضى بألا تكون سوى "حرب لا اسم لها" .

ومع احتمال تعميق الصراع وامتداده ، لا يمكن لنا أن نتنبأ بنهاية الحرب الأهلية إلا بالقضاء على مختلف أطرافها المتصارعة . ومثل هذا الافتراض لا ينبغى وصفه بالغلو فى التشاؤم فالأمثلة موجودة (الصومال) تثبت أن عمق الشعور بالوحدة الوطنية لا يكفى دائمًا لتحصين المجتمع من أخطار التورط فى الصراعات السياسية، والاجتماعية الثقافية .

لذلك فإن احتمال امتداد الصراع ، الذى قد يفقد الجبهة الإسلامية للإنقاذ قاعدتها وقد يحرم الحكومة من العون الاقتصادى والمالى الذى يقدمه شركاؤها الأجانب ، يمكن أن يدفع النظام الحاكم والمعارضة الإسلامية لعقد اتفاق بهدف المشاركة فى السلطة .

فإذا كان الجيش يدفعه الحرص على المحافظة بأى ثمن على وحدته التى تعرضت للأخطار بسبب تجاوزات القيادات العليا ويجعله يتجه شيئا فشيئا نحو إقامة حوار كان فى الماضى يرفضه تماماً ، فكذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فى سبيل التخلص من منافس (الجماعات الإسلامية المسلحة) يشتد خطره يوماً بعد يوم ، وتزداد سمعته سوءاً عند جماهير المواطنين ، فإنها يمكن أن تخاطر بالاتفاق مع السلطة .

وإذا تم الاتفاق ، فنزولاً على ظروف قهرية للتوحد ضد الأخطار الخارجية ، سيكون طبقًا لكل الاحتمالات ، حول مفهوم عربى / إسلامى أصبح هو المسرح المغلق للصراعات من أجل الاستيلاء على جهاز الدولة .

الواقع أنه منذ حرب الخليج فإن الحركة الإسلامية الجزائرية ، وبصفة خاصة فرعها " التقنى " – الذى لسنا مدى ارتباطه بالقيم الوطنية – لا تفتأ تأخذ على نخبة الدولة احتكارها للخطاب السياسى وتحاول أن تستحوذ على رموز الذاكرة الجماعية. منذ ذلك التاريخ ، تلقى الحركة الإسلامية بمسئولية التبعية التى يعانى منها المجتمع الجزائرى ، بالنسبة للخارج ، على عاتق " برجوازية الدولة المتغربة " . المتهمة بعجزها عن مقاومة محاولات الهيمنة من جانب القوى الغربية (وبالذات من خلال نشر نموذجها فى الاستهلاك ، مما يفسر أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، خلال أزمة الخليج ، كانت تدعو إلى مقاطعة المنتجات المصنوعة فى بلدان التحالف المعادى للعراق) وعدم قدرتها حتى على ضمان الأمن داخل البلاد . إن الإسلاميين إذ يجعلون من العروبة والإسلام الأساس الوحيد للهوية الشخصية والوطنية إنما يعبرون عن وفائهم للأسطورة التى يغذيها التاريخ الرسمى منذ ثلاثين عاماً .

وإذا كان "التيوقراطيون" فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا يتصورون الدولة إلا بوصفها أداة تطبيق جبرى للأخلاق الإسلامية ، فإن " التقنيين " يزعمون مواصلة الطموح القديم ، طموح بومدين ، بإنشاء دولة حديثة وطنية (ومن ثم غياب المرجعية لأى نماذج أجنبية عندهم) وإن مجموع الأطراف فى الحركة الإسلامية ليتفقون ، فوق ذلك ، على تكليف الدولة بتجنيد الشعب ضد "اعتداءات العدو" ، باختصار ، بدور الدفاع عن الأمة ضد أخطار "الاعتداءات" الداخلية والخارجية (الآتية بنوع خاص من الخصمين القديمين وهما فرنسا والمغرب) وهو مفهوم مطابق لمفهوم فريق من جبهة التحرير الوطنى .

إن " الحركة الوطنية الإسلامية " تحاول ، بشكل إجمالى "تطهير" الحركة الوطنية العربية من الآثار المأخوذة عن الفلسفة السياسية الغربية عن طريق الوطنيين فى الثلاثينيات . فرداً على التبعية الاقتصادية والهيمنة الغربية ، تعد نفسها مكلفة بمهمة تخليص الجزائر من هيمنة النظام العالمى الجديد ، وتطمح على غرار بومدين الذى كان يرى أن سياسة التأميم وسياسة التعريب هما الوسيلة لدعم استقلال الدولة الجديدة – إلى الأخذ بسبل حداثة وطنية تجمع بين التقدم و "حماية الشخصية" .

وبسبب استحالة التخلص من كل آثار عالمية اقتصادية أو ثقافية ، فإن هذه الأساطير لا يمكن لها الاستمرار إلا فى وجود سيطرة مهيمنة على المجتمع .

إن العسكريين الوطنين والإسلاميين خرجوا من بوتقة أيديولوجية واحدة : الإسلامية الوطنية . وهذا من شأنه ، فى حالة الوصول إلى اتفاق ، أن ييسّر عملية توزيع الأدوار : فالعسكريون يحتفظون بإدارة الشئون الخارجية والدفاع ومصادر الدخل ؛ أما الإسلاميون فيتولون شئون " الخطابة " والدفاع والتعبير عن الفئات الاجتماعية المهضومة . إذن فالأبواب مفتوحة أمام انطلاقة جديدة لسياسية التعريب وإلى القيام بحملات " لأسلمة " العادات والتقاليد .

ومثل هذه الصورة السياسية سيكون من شأنها إجمالاً ، إعادة صيغة الشرعية القديمة مع تغيير طفيف ، ومطالبة المجتمع بأن يتخلى عن حقوقه السياسية فى مقابل ضمان حقوقه المادية والأخلاقية .

وعقد اتفاق بين النظام العسكرى وبين المعارضة الإسلامية من الممكن أن يتأخر بسبب رفض من هذا الفريق أو ذاك ممن سيكون الاتفاق على حسابه ، وكذلك بسبب حرص كل طرف على أن يتفاوض من مركز القوّة ، مع التسليم بالتضحية بآلاف الأرواح. وبالتالى فإن الصراع من الممكن أن يستمر ، ومراحل التفاوض يمكن أن تتناوب مع مراحل الراديكالية المتطرفة .

إن انفجار الحركة الإسلامية ، وأكثر منه التحول إلى النضال المسلح من جانب عناصر كانت فى الماضى تابعة للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لكنها خرجت الآن من تحت سيطرتها ، يمكن لهما أن يقدما الدليل على عجز الحركة الإسلامية عن تحويل خطابها

إلى مشروع سياسى ملموس ؛ أو عجزها عن تصور الاستيلاء على السلطة بغير طريق السلاح والمحافظة عليها بغير طريق الإرهاب .

كانت الجزائر تتوق إلى تغيير ثورى ، وهى تعرض نفسها ، فى حالة الاتفاق العسكرى الإسلامى إلى ثورة مضادة محافظة ؛ على النقيض من الرغبة فى التحرر والانطلاق التى عبر عنها فريق من الشباب خلال الفترة الشرعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وعاجزة كذلك عن انتزاع البلاد من مهارب "النفاق" و "الرياء" أو بكل بساطة ، من البلادة الاجتماعية .

وحتى نتجنب أن يعقد العسكريون والإسلاميون اتفاقًا ثنائيًا ولا يحتفلان بزواجهما فى ظل شعبذات العروبة والإسلام ، ويضطر فريق من نخبة الفرانكوفون ، نتيجة لذلك ، إلى النفى أو يتعرض لتهديد " التصفية " ، فإن التحدى ، بالنسبة للديمقراطيين ، يكمن فى التكفل بتغليب فكرة الديمقراطية .

إن فشل سياسة " كل شىء فى سبيل الأمن " فى تطويق موجه العنف قدم الدليل على أن الشعب ، دون أن يتحول إلى الحركة الإسلامية ، كان يرفض النظام رفضًا تامًا ، وكان يميل حينما تتاح له الفرصة ، نحو صيغة سياسية ترفض كلاً من ديكتاتورية السلاح وأنصار ديكتاتورية الحركة الإسلامية . نظام يجمع فى إطاره سائر قطاعات الرأى المستعدة لاحترام حد أدنى من قواعد اللعبة .

إن أى مبادرة لصالح الحل السياسى ينبغى ، قبل كل شىء ، أن تسعى إلى تجميع أقل الطبقات تشدداً فى السلطة العسكرية والأجيال الصاعدة من النخبة السياسية فى توزيع جديد للأوراق .

ومع ذلك فهناك ثلاثة سيناريوهات يمكن تصورها : تعميق الحرب الأهلية ، أو ، على شاكلة النموذج " الإيرانى " ائتلاف بين العسكريين والإسلاميين ، مع ما يتضمنه هذا التصور من استبعاد فئات كاملة من المجتمع ، وأخيراً يأتى أكثر النماذج تفاؤلاً والذى ، على غرار ما حدث فى الأردن ، يحترم "خطوطًا حمراء" غير قابلة للتفاوض ، هذا النموذج يدمج الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى لعبة سياسية دستورية ، وهو شرط ضرورى لتحقيق المشروع الديمقراطى والائتلافى الذى تحتاجه الجزائر كثيراً .

ملحق (١)

سرد لأهم الأحداث

سرد لأهم الأحداث

يوليـــو ١٩٦٢	استقلال الجزائر . مـصـادمـات عنيـفـة بين الجيش الجزائرى والقوات المغـربيـة بخصوص منطقة تيندوف التى ضمت إلى الجزائر فى عام ١٩٣٤ . وما يزال المغرب يطالب بها .
أكتـوبر ١٩٦٥	الانقلاب العسكرى بقيادة هوارى بومدين .
سبتمبر ١٩٧٣	انعـقـاد مـؤتمر دول عـدم الانحـيـاز بالجـزائر برئاسـة هوارى بومدين .
ديسمبر ١٩٧٩	تعيين العقيد شاذلى بن جديد أمينًا عامًا لجبهة التحرير الوطنى والمرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية . تم انتخابه رئيسًا فى ٧ فبراير التالى .
أبـريـل ١٩٨٠	"ربيع البربر" يشهد مطالبة كليات تيزى أوزو والعاصمة الجزائر بالاعتراف الرسمى باللغة البربرية .
مـــارس ١٩٨٧	مصـرع مصطفى بويالى على أيدى الشرطة وهو أمير أول دغل إسلامى منذ الاستقلال .

١٩٨٨

أكـتـوبر	فى اليـوم الخـامس ، تقع اضطرابات عنيـفـة فى مـدن الجـزائر الرئيسية تسفر عن مصرع ٥٠٠ شخص . وفى اليوم السادس ، يبدأ تطبيق حظر التجول . ينتهز شاذلى الفرصـة لضمان انصياع خصومه داخل الحزب الوحيـد ، فـيعلن فى اليـوم العـاشـر عن إصـلاحـات اقـتـصـادية وسياسية ، وشيكة .

	شاذلى هو المرشح الوحيد فى انتخابات الرئاسة المقرر إجراؤها فى الثانى والعشرين من ديسمبر التالى . ويفوز بفترة رئاسة ثالثة بأغلبية الأصوات (٨١,١٧٪ بصفة رسمية) .
نوفمبر	الموافقة على استفتاء بإجراء إصلاحات دستورية حول فصل السلطات بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء . فى الثالث والعشرين من فبراير ١٩٨٩ ، يصدر دستور جديد تتم الموافقة عليه عن طريق الاستفتاء ويقضى بتعدد الأحزاب .

١٩٨٩

فبراير	فى مراكش ، الإعلان عن قيام اتحاد المغرب العربى وهو يضم الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا .
مارس	الإعلان الرسمى عن تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ (٩، ١٠) وفى اليوم الرابع ، ينسحب الجيش رسميًا من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى .
يوليو	فى الثالث من الشهر ، يتم الاقتراع على قانون الجمعيات ذات الصفة السياسية . وفى الخامس من الشهر ، يتم الإعلان الرسمى عن القانون .
أغسطس	خمسة أعضاء من المؤسسين فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ يقدمون طلبًا لوزارة الداخلية للموافقة على الحزب .
سبتمبر	يتم رسميًا قبول الجبهة الإسلامية للإنقاذ طبقًا لقانون الجمعيات ذات الصبغة السياسية (اليوم السادس) . وفى اليوم التاسع ، يعين مولود حمروش رئيسًا للوزراء .
أكتوبر	ينضم على بن حاج لقضية قدامى مجموعة مصطفى بويالى المنظورة أمام المحكمة العسكرية فى مدينة " بليدا " ويهاجم "عدالة الكفار" يؤجل النظر فى القضية .

	وفى التاسع والعشرين من الشهر ، يقع الزلزال الشهير الذى أصاب مدينة تيباسا فى غرب الجزائر . وقامت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتجنيد مكاتبها ورجالها فى جميع البلاد لتقديم المعونات للمتضررين وإنقاذ المصابين .
ديسمبر	حسين آية أحمد يعود إلى الجزائر بعد ثلاثة وعشرين عامًا فى المنفى .

١٩٩٠

مارس	قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ يطالبون بإجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها .
أبريل	أول مسيرة للجبهة الإسلامية للإنقاذ نحو رئاسة الجمهورية (٢٠) .
يونيو	أكثر من مائة ألف من المؤيدين للجبهة الإسلامية للإنقاذ يجتمعون فى اليوم الرابع فى " ستاد ٥ يوليو " فى الجزائر العاصمة . فى مؤتمر صحفى ، يحذر عباس مدنى الجيش "من أية محاولة للانقلاب " وفى الثانى عشر تفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بـ ٨٥٦ معقداً فى المجلس الشعبى للمقاطعات و ٣٢ فى المجلس الشعبى للولايات ! وذلك فى الانتخابات المحلية .
يوليو	عباس مدنى يطالب بإجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها (٢٢) . وفى السابع والعشرين يتم تعيين الجنرال خالد نيزار وزيراً للدفاع . وفى التاسع والعشرين ، يعلن الرئيس شاذلى عن إجراء الانتخابات التشريعية قبل موعدها وذلك فى النصف الأول من عام ١٩٩١ .

أغسطس	في اليوم الثاني من الشهر ، الغزو العراقي للكويت .
سبتمبر	أحمد بن بيلا يعود للجزائر في التاسع والعشرين .
نوفمبر	في الخامس عشر ، مسيرة الجبهة الإسلامية للإنقاذ نحو رئاسة الجمهورية .

١٩٩١

يناير	اندلاع حرب الخليج (١٥) جبهة الإنقاذ الإسلامية تنظم عدة مسيرات تأييداً للعراق . (١٨ ، ٣١).
أبريل	المجلس الشعبي الوطني يتبنى قانون الانتخابات الجديد الذي ينص على إجراء اقتراع على الأغلبية المطلقة على دورتين (أول الشهر) عباس مدني يرفض قانون الانتخابات ويطالب بإجراء انتخابات الرئاسة قبل موعدها في موعد أقصاه ثلاثة أشهر تجنباً للدعوة إلى إضراب عام (٢) رئيس الجمهورية يعلن إجراء الانتخابات التشريعية في ٢٧ يونيو و ١٨ يوليو ١٩٩١ (٣)
مايو	في الثالث والعشرين ، عباس مدني يعلن عن إضراب عام غير محدد بدءاً من ٢٥ مايو اعتراضاً على قانون الانتخابات وإلغائها . وفي السادس والعشرين والسابع والعشرين تدخل مسيرات الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مصادامات دامية مع قوات النظام . وعباس مدني وعلي بن حاج ومولود حمروش يتوصلون في التاسع والعشرين إلى اتفاق شفوي على أساسه يسمح لقوات الجبهة الإسلامية للإنقاذ باحتلال ثلاثة ميادين عامة في العاصمة .
يونيو	قوات النظام تتدخل في اليوم الثالث وتهاجم الميادين المحتلة . فيناشد علي بن حاج رجال الشرطة " بتحويل أسلحتهم وتوجيهها ضد رؤسائهم " .

	الصدامات بين العسكريين الإسلاميين وقوات الأمن تسفر عن العديد من القتلى والجرحى . وفي ليلة الثالث من الشهر ، تعلن حالة الطوارئ لمدة أربعة أشهر . ويتولى الجيش مهمة قوات الشرطة وتقوم المدرعات بمحاصرة العاصمة . مولود حمروش رئيس الوزراء يقدم استقالته وتؤجل الانتخابات التشريعية . وفي اليوم السادس ، يتم تكليف أحمد غوزالى بتشكيل حكومة جديدة للإعداد لانتخابات فى نهاية العام ، يتعهد بأنها ستكون "حرة ونظيفة " . يعلن حظر التجول فى ولايات الجزائر العاصمة وفى كل من تيباسا وبليدا وبومردس . وفى اليوم السابع ، وبعد لقاء مع رئيس الوزراء الجديد ، يعلن على بن حاج وعباس مدنى إنهاء الإضراب العام . وفى اليوم الحادى والعشرين ، تستأنف المواجهات بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين فى عدة مدن من البلاد . وذلك على أثر قرار الجيش برفع اللافتة الموجودة على المجالس الشعبية "البلدية الإسلامية"، ووضع الشعار الجمهورى مكانها. وفى الرابع والعشرين ، يدعو على بن حاج إلى انتهاك حظر التجول . وفى الثامن والعشرين ، يوجه عباس مدنى إنذاراً للجيش بالانسحاب من المدن فى خلال ثمان وأربعين ساعة حتى لا يعلن " الجهاد " . وفى الثلاثين من الشهر يتم القبض على علىّ بن حاج وعباس مدنى .
يوليـــــو	على أثر مؤتمر باتنه (٢٥ , ٢٦) يتم استبعاد المعارضين لخط عباس مدنى وتعيين رؤساء جدد للحزب . وفى الثلاثين تقرر الجبهة الإسلامية للإنقاذ مقاطعة أول اجتماع يضم الحكومة والأحزاب (٢٢) ترفض الجبهة الذهاب للاجتماع ولكنها تبعث

	برسالة إلى المجتمعين تخبرهم بوضع المحتجزين والعمال المفصولين على أثر إضراب مايو/ يونيو .
سبتمبر	رفع حظر التجول (٢٩) .
أكتوبر	تجمهر الجبهة للإنقاذ فى بلكور (الجزائر العاصمة) للمطالبة بإطلاق سراح رؤساء الجبهة وإقامة دولة إسلامية (٤) . وفي الخامس عشر ، يعلن الرئيس شاذلي إجراء الانتخابات التشريعية فى ٢٦ ديسمبر التالى . وفي الحادى والثلاثين من الشهر ، تنظم الجبهة الإسلامية للإنقاذ مظاهرة تضم حوالى (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائه ألف مواطن .
نوفمبر	خلال مؤتمر صحفى ، يعلن عبد القادر حشانى اشتراك الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الانتخابات التشريعية بإطلاق سراح الزعماء المسجونين (٢) . وفي التاسع والعشرين يتم مهاجمة موقع حربى فى جمّار (الواد) علي أيدى فرقة طيب الأفغانى . ويتهم وزير الدفاع نزار الجبهة الإسلامية للإنقاذ بارتكاب الحادث .
ديسمبر	يوافق الرئيس على قانون يسمح للسلطات المدنية باستدعاء الجيش للمحافظة على النظام العام . (٥) وفى الرابع عشر ، يعلن مجلس الشورى فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن عزمة الاشتراك فى الاقتراع التشريعى . وفى السادس والعشرين ، تصبح الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مقدمة المشاركين فى الانتخابات التشريعية . وفى السابع والعشرين ، يعلن عبد القادر حشانى فى مؤتمر صحفى أنه سوف يطلب من مجلس الشورى الموافقة على تأييد الرئيس شاذلى إذا تعهد بعدم النيل من امتيازات المجلس الشعبى الوطنى .

	وفى الحادى والثلاثين من الشهر ، وفى مؤتمر صحفى ، يطلب سعيد سعدى أمين عام التجمع الثقافى الديمقراطى ، إلغاء الانتخابات ويعلن استعداده لتحمل النتائج .

١٩٩٢

يناير	فى اليوم الثانى يستجيب حوالى ثلاثمائة ألف شخص فى الجزائر العاصمة لنداء جبهة القوى الاشتراكية التى أعلنت عن رغبتها فى استمرار إجراءات الانتخابات ، وذلك لتنظيم مسيرة من أجل الديمقراطية . وفى اليوم الرابع يتم حل المجلس الشعبى الوطنى (الذى تهيمن علية جبهة التحرير الوطنية) بقرار من رئيس الجمهورية وذلك استجابة لضغوط من الجيش . وفى اليوم الحادى عشر ، يتم عزل الرئيس شاذلى من منصبه . وتدعو الجبهة الإسلامية للإنقاذ الشعب " للاستعداد لأية احتمالات لمواجهة جماعة السلطة الحاكمة : وبعد يومين يعلن مجلس الأمن وقف الإجراءات الانتخابية . وفى اليوم الثالث عشر ، يوقع عبد القادر حشانى على بيان يعلن فيه عدم دستورية عزل الرئيس شاذلى . وفى اليوم نفسه يجمع كل من حسين على أحمد (جبهة القوى الوطنية) وعبد الحميد مهرى (جبهة التحرير الوطنى) وعبد القادر حشانى (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) . وفى الرابع عشر ، يتم تشكيل لجنة عليا للدولة وذلك فى أثناء اجتماع يضم عبد القادر حشانى ورباح كبير أمين عام جبهة التحرير الوطنى ومهرى ورئيس الوزراء السابق مولود حمروش . وفى اليوم الخامس عشر ، وأثناء خطبة الجمعة ، يدعو عبد القادر

حشانى المناضلين والمؤيدين " لالتزام الهدوء " وفى السادس عشر ، يعود محمد بوضياف من المنفى ويعيّن رئيساً للجنة العليا للدولة . وتعلن جبهة القوى الاشتراكية وجبهة التحرير الوطنى والجبهة الإسلامية للإنقاذ عدم دستورية اللجنة العليا للدولة وعدم شرعيتها . وفى اليوم الثامن عشر ، تستدعى الجزائر سفيرها فى إيران بسبب "حملة الصحف الإيرانية غير المقبولة" لصالح الإسلاميين . وفى التاسع عشر يقوم نواب الجهة الإسلامية للإنقاذ الفائزون فى الدورة الانتخابية الأولى بالاجتماع ويطالبون رئيس المجلس الدستورى بإعلان نتائج الدورة الانتخابية الأولى . وفى العشرين ترفض المحكمة العسكرية فى بليدة طلب الإفراج المؤقت عن زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ المسجونين منذ شهر يونيو ١٩٩١ . وفى الثانى والعشرين ، يعلن مجلس الوزراء عن عزمه على تطبيق القانون على المساجد . وتعلن مديرية أمن العاصمة منع أى تجمهر أمام المساجد . وفى الثالث والعشرين يتم القبض على عبد القادر حشانى بسبب توقيعه على بيان رأت السلطة الحاكمة أنه بمثابة دعوة للعسكريين بالهروب من الخدمة . كما يتم القبض على رباح كبير بعد عدة أيام . وفى الخامس والعشرين يصدر قرار بمنع أى نشاط سياسى داخل المساجد ومنع أى تجمهر علنى . وفى التاسع والعشرين ، يتم سماع شهادة كل من رئيس الوزارة السابق مولود حمروش ووزير خارجيته السابق محمد صلاح محمدى ، أمام قاضى التحقيق بالمحكمة العسكرية فى بليدا ، فى قضية زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحتجزين منذ يونيو ١٩٩١ . وفى الحادى والثلاثين تقع اضطرابات فى العديد من المدن (العاصمة قسطنطينة ، لغوات) فى صلاة الجمعة وتقوم قوات النظام بإطلاق النار على الجماهير وإلقاء القبض على بعض الأشخاص .	

فبراير	تحدث مواجهات دامية فى اليوم الرابع فى " باتنة " بين قوات النظام والمناضلين الإسلاميين بسبب تقديم عدد من أئمة المساجد للمحاكمة . يتدخل الجيش أيضًا فى حوالى خمس عشرة مدينة أخرى حيث يسقط حوالى أربعين قتيلاً ومائتى جريح . فى اليوم السابع تقع مصادمات أثناء صلاة الجمعة ترتفع فيها نسبة الإصابات ويتم سجن معظم قادة الحركة الاسلامية للإنقاذ وتعلن حالة الطوارئ فى اليوم التاسع ولمدة اثنى عشر شهراً . كما يتم إغلاق المقر الرئيسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ ويقدم وزير الخارجية طلبًا إلى الغرفة الإدارية لمحكمة الجزائر العاصمة بإلغاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى اليوم الثانى عشر ، يتم اغتيال ثمانية من رجال الشرطة فى القصبة . وفى اليوم الثالث عشر تقوم مجموعة مسلحة بمداهمة موقع الحراسة فى مقر القيادة البحرية بالعاصمة ويسفر الحادث عن مقتل سبعة من العسكريين ورجل شرطة . وفى السابع عشر تعلن السلطات عن افتتاح خمسة مراكز للاعتقال فى الصحراء .
مارس	تعلن الغرفة الإدارية بالعاصمة عن حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد تسعة وعشرين شهراً من عمرها الشرعى (٤) . وفى الحادى والعشرين تتعرض جامعات الجزائر العاصمة وقسطنطينة وستيف لاضطرابات طلابية وتطالب الحركة الجامعية بالدفاع عن اختيار الشعب برفع العقوبات المفروضة على زملائهم المفصولين من الدراسة وتدعو إلى إضراب الجامعات حتى الثانى من أبريل .
أبريل	على أثر استفادة رباح كبير من حكم بعدم الاختصاص فى ١٣ مارس ١٩٩٢ تتحدد إقامته فى " كولّو " (٦) وفى الحادى عشر يعلن رئيس الوزراء عن حلّ ١٨ مجلساً شعبيًا فى الولايات و ٤٦٦ مجلساً شعبيًا فى المدن (منها ٣٣ خاصة بالجزائر العاصمة) تديرها الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى الثانى والعشرين يشكل الرئيس بوضياف مجلس الشورى الوطنى مهمته دعم السلطة التنفيذية .

	وفى التاسع والعشرين ، تصدق المحكمة العليا على حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ .
مـــايو	يصدر الحكم بالإعدام ضد ثلاثة عشر من الإسلاميين المتورطين فى الهجوم على مركز حراسة جيمار (٤) وفى اليوم السادس يسفر التحقيق الخاص بالهجوم على إمارة المركز البحرى بالجزائر العاصمة عن أحكام بالإعدام على ثلاثة متهمين .
يـونيــو	يتم إطلاق سراح حوالى ٢٠٠ من المحتجزين فى معسكرات الاعتقال (٩) . وفى اليوم التاسع والعشرين يتم اغتيال محمد بوضياف رئيس اللجنة العليا للدولة منذ يناير ١٩٩٢ فى مدينة عنابة بيد أحد حراسه .
يـوليــو	يتم تعيين على كافى ، الأمين العام السابق للمنظمة الوطنية للمجاهدين بدلاً من محمد بوضياف فى رئاسة اللجنة العليا للدولة (٢) وفى اليوم الثامن يستقيل سيدى أحمد غوزالى من منصبه كرئيس للوزراء ، ليحل محله بلعيد عبد السلام . وفى اليوم الخامس عشر يصدر ضد زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ أحكام تتراوح بين اثنتى عشرة سنة ، بالنسبة للزعيمين الرئيسيين ، وأربع سنوات للمتهمين الآخرين .
أغسطس	يقع هجوم مسلح فى مطار الجزائر العاصمة ، يسفر عن مقتل تسعة وإصابة عشرات بجروح (٢٦) .
سبتمبر	اغتيال عبد الرحمن بلأزهر عضو حزب الطليعة الاشتراكى والمدرس بجامعة عين البيه فى قسطنطينة (٩) .
أكتوبر	إعلان قانون بتشكيل محاكم خاصة للفصل فى جرائم مركتبى "أعمال التخريب والإرهاب" .
ديسمبر	فى اليوم الخامس ، تطبيق حظر التجول فى العاصمة وست ولايات على الحدود (بليدة ، تيباسة ، بومردس ، عين دفلة ، ميديا ، بويرا) وفى التاسع من الشهر تعلن اللجنة المكلفة بالتحقيق فى اغتيال الرئيس بوضياف استبعاد أن تكون الجريمة تمت بصورة فردية وترجيح وجود " مؤامرة " .

يناير	" تصدر محكمة بشار العسكرية عشرين حكمًا بالإعدام (٧ ، ٨) وفى الحادى عشر يتم تنفيذ حكم الإعدام فى اثنين من المتهمين فى الهجوم على الإمارة البحرية . ويصدر على بن حاج فتوى من سجنه يعلن فيها أنه لو كان حرًا طليقًا لعمل تحت إمرة عبد القادر شيبوتى . وفى التاسع والعشرين تبدأ قضية وارجلا Ouargla ضد واحد وعشرين ضابطًا متهمين بتكوين جماعات مسلحة ، والاعتداء على أمن الدولة ووحدة الجيش " .
فبراير	يتم تنفيذ حكم الإعدام فى أربعة من المتهمين فى قضية الهجوم على مركز حدود جيمار (٢١) وفى الثالث عشر ينجو وزير الدفاع خالد نزار من محاولة اغتياله . وفى الثانى والعشرين تصدر محكمة أوران الخاصة خمسة أحكام بالإعدام ضد مناضلين إسلاميين . وفى الخامس والعشرين تصدر محكمة بشار الحكم بإعدام سبعة من العسكريين بتهمة التستر وعدم الإبلاغ عن "جرائم ضد الدولة" .
مارس	يصدر فى لندن تقرير فاضح بخصوص انتهاكات صريحة ضد حقوق الإنسان يرتكبها النظام الجزائرى (٢) وفى الرابع عشر يتم اغتيال مدير مكتب وزير التأهيل المهنى وعضو مجلس الشورى الوطنى . وفى السادس عشر يتم اغتيال جلالى ليابس ، مدير المعهد الوطنى للدراسات الاستراتيجية . وفى السابع عشر يتم اغتيال لعدى فليسى وهو طبيب من القصبة وعضو مجلس الشورى الوطنى . وفى الحادى عشر تصدر محكمة الجزائر الخاصة حكمًا بإعدام تسعة فى قضية " الأمير نوح " . وفى الثانى والعشرين تتمكن مجموعة من المسلحين الإسلاميين من قتل حوالى عشرين جنديًا خلال الهجوم على الثكنة العسكرية فى بوغزول (ميديا) . فى اليوم نفسه ، يتم تنظيم مسيرات ضد "الإرهاب"

	فى عـدد من المدن الجـزائرية . وفى السـابع والعـشـرين تقطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع إيران وتستدعى سفيرها فى الخرطوم .
أبـــريـــل	فى الثـامن من الشـهـر تصـدر مـحكمـة أوران الخـاصـة حكمًـا بالإعدام ضد ثلاثة . وفى اليوم العاشـر يصـاب أمين عـام حزب التحدى فى محاولة لاغتياله . يصدر اتهام ضـد المحامى عن زعماء الجبهة الإسلامية لإنقاذ المسجونين ، لقيامه بنشر ورقة سرية من على بن حاج ، ويصدر الحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام (٤) وفى السـادس عشـر يتم اغتيال المدعى العام فى تلمسان محمد سعيد. وفى السابع عشر، يصــدر قـــرار بمنع ارتداء " الزى الإســلامـى " فى الإدارات والمصالح العامة. وفى السادس والعشرين يتعرض طاهر جعوت ، وهو صحفى وكاتب ، لعملية اغتيال ، ويتوفى متأثرًا بجراحه فى الثانى من يونيو التالى . فى اليوم نفسه تصدر أحكام بالإعدام ضد ثمانية وثلاثين شخصًا (ستة وعشرون منهم بتهمة التواطؤ) من المتهمين فى قضية الهجوم على المطار .
يـونيـــــو	امتداد حظر التجول فى ولايات شيلف ومسيلا وجلفا (٥) . وفى الثالث عشر تتعرض دورية للجيش للهجوم فى منطقة شريعة Chre'a حيث يلقى أكثر من خمسين عسكريًا مصرعهم . وفى الخامس عشر يتم اغتيال محفوظ بوشبسى وهو طبيب نفسانى . وفى السادس عشر يتم اغتيال محفوظ بيكاى رئيس محكمة كوليا . وفى الثانى والعشرين ، يغتال محمد بوخبزة وهو سوسيولوجى وكان يعمل رئيسًا للمعهد الوطنى للدراسات الاستراتيجية . وفى الثالث والعشرين تصدر محكمة قسطنطينة الخاصة اثنى عشر حكمًا بالإعدام .

يوليـــــو	يتـولى الجنرال الأمين زروال وزارة الدفـاع خلفًـا لخـالد نزار (١٠) وفى الرابع عشر يغتال بيدى لاربى مساعد النائب العام بمحكمة الجزائر العاصمة وفى الثلاثين يغتال مرزاج بغتاشى وهو صحفى وكاتب وعضو مجلس الشورى الوطنى .
أغـسطس	يقتل الصحفى رباح زيناتى (٤) . وفى الحادى عشر يقتل بن منّى عبد الحميد وهـو صحفى بجـريدة Algerie-Actualite . وفى الحادى والعشـرين يغتـال قـصدى رباح مدير الأمن العسكرى السـابق ورئيس الوزراء السـابق . وفى الحـادى والثلاثين يتم تنفيـذ حكم الإعدام فى سبعـة فى قـضـيـة الهـجـوم على مطار الجـزائر فى أغسطس عام ١٩٩٢م .
سبـتـمـبـر	يتم اغتيال سعد بختوى وهو صحفى فى جريدة المنار (١٢) وفى العشـرين يغتـال مهندسـان فرنسيـان بالقرب من سيدى بلعباس . وفى الثامن والعشرين يغتال عبد الرحمن شـوجو عضو مؤسس فى حـزب الطليعة الاشتراكى . وفى الثلاثين يغتـال حمبلى حمود مدرس بمعهد العلوم القضائية والإدارية فى تيزى أوزو .
أكـتـوبر	يغتـال جميل بوحيدل وهو مصور صحفى ورباح جنزات عضو حزب التحدى (٩) . وفى العاشر يغتـال جـلال بلخنشر وهو أسـتـاذ بجـامـعة الجـزائر . وفى الحـادى عشـر يتم تشكيل لجنة الحوار الوطنى من ثلاثة جنرالات وخمسة مدنيين مـهمتـها وضع برنامج " لمرحلة الانتـقال " وفى الثـانى عشـر يتم اعتـقال أسـرة ألمـانية كرهائن فى إحدى الليـالى على أن يطلق سراحـها بعد مغـادرة الأجانب للجـزائر . وفى الرابع عشـر ، اغتيل مـصطفى أباده وهو مدير سابق فى التليفزيون . وفى السـادس عشر يغتال عقيدان روسيـان فى إحدى القواعد العسكرية . وفى الثامن عشر يغتـال إسماعيل يفسح وهو صحفى فى التليفزيون . وفى التـاسع عشـر يتم اختطاف ثلاثة فنيين فى شـركة إيطاليـة من جنسيـات

	مختلفة ثم يعثر عليهم مقتولين . وفى الرابع والعشرين يتم اختطاف ثلاثة موظفين فى القنصلية الفرنسية ثم يطلق سراحهم فى الحادى والثلاثين . إحدى الرهائن ، السيدة تيفينوت ، يطلق سراحها مع إنذار يدعو الأجانب إلى مغادرة البلاد قبل أول ديسمبر القادم .
نوفمبر	تقوم الشرطة الفرنسية " بكبسة " فى الأوساط الإسلامية الفرنسية .
ديسمبر	بعد انقضاء الموعد الذى حدده الإنذار الموجه للأجانب بمغادرة البلاد ، يتم اغتيال رجل أعمال أسبانى عند الكيلو ٨٥ جنوب الجزائر العاصمة (٢) . وفى الخامس يتم اغتيال مواطنة روسية، وفى السابع يغتال عجوز فرنسى وفى الثامن يغتال موظف إنجليزى . وفى الرابع عشر يتم اغتيال اثنى عشر من الفنيين الكروات والبوسنيين . وفى الثامن والعشرين يغتال يوسف سبتى وهو شاعر وكاتب ومدرس بالمعهد الوطنى الزراعى . وفى التاسع والعشرين يغتال مواطن بلجيكى وزوجته الجزائرية .

١٩٩٤

يناير	يتم اعتقال محافظ تسمسلت وقرابة الثلاثين شخصًا من أتباعه وفى اليوم الخامس عشر تغتال سيدة فرنسية تدعى مونيك أفرى تعمل موظفة فى قنصلية فرنسا . وفى اليوم السابع عشر، واستجابة لدعوة من الحركة الثقافية البربرية ، تسير مظاهرة ضد الإرهاب فى تيزى أوزو وبيجايا لصالح اللغة الأمازية (لغة البربر) . وفى التاسع عشر ، وقبيل انعقاد المؤتمر الوطنى ، واستجابة لمطالب العديد من المنظمات السياسية التى كانت علقت مشاركتها بالعفو عن المسجونين ، تعمد الحكومة إلى إطلاق سراح بعض

	المعتقلين في معسكرات الأمن ورفع تحديد الإقامة الجبرية عن بعض المناضلين من الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى الثانى والعشرين يغتال يهودى تونسى يدعى ريمون لوزوم داخل متجره فى قلب العاصمة . وفى الثالث والعشرين يتم العثور على جثة الشيخ محمد بو سليمانى ، رئيس جمعية الإرشاد والإصلاح وكان قد تم اختطافه فى نوفمبر ١٩٩٣م . وقد عثر على جثته فى منطقة جبلية فى" أفرون " . وفى الرابع والعشرين ، وبعد رفض الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطنى وجبهة القوى الاجتماعية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يعلن الاتحاد الوطنى للمقاولين العموميين أنه لن يشارك فى المؤتمر الوطنى المحدد لانعقاده الخامس والعشرون من يناير القادم . وفى السابع والعشرين يتم اغتيال فرحات شيبوت وهو مدرس ومناضل فى حزب التحدى . وفى التاسع والعشرين تعلن السلطات الجزائرية أنها علقت سداد جزء من الديون الخارجية . وفى الثلاثين يسفر استفتاء عام عن فوز الأمين زروال بالرئاسة لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات . وفى الحادى والثلاثين يغتال رشيد تجزيرى الأمين الوطنى للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية .
فبراير	يقتل صحفى فرنسى يدعى أوليفييه كيمينور فى هجوم على القصبة . كما يقتل محمد توالى وهو عامل مناضل فى حزب التحدى (١) . وفى اليوم الثانى من الشهر يغتال كل من يحيى بوجتايا رئيس الاتحاد الجزائرى للجودو وتوالى محمد وهو عامل ومناضل فى حزب التحدى . وفى الثانى عشر ، يغتال ميكانيكى روسى فى مدينة جيجيل دون أن تشير الصحف الجزائرية للحادث . وفى العشرين من الشهر ، يلقى ما يقرب من مائة جندى حتفهم فى فخ نصبته لهم المجموعات الإسلامية المسلحة .

وفى الحادى والعشرين يلقى مستوطن فرنسى مصرعه . وفى الثانى والعشرين يتم إطلاق سراح كل من على جدى وعبد القادر بوخمخم وهما من رجال عباسى مدنى . وفى اليوم السادس والعشرين يلقى جعفر الأفغانى قائد المجموعات الإسلامية المسلحة مصرعه مع تسعة من رجاله . وفى اليوم السابع والعشرين تلقى السيدة ميزيان زهور مديرة مدرسة بيرخادم مصرعها . وفى الثامن والعشرين يقتل الصحفى عبد القادر حريش .	
يُغتال أستاذ جامعى فيتنامى فى سيدى بلعباس (١) . وفى اليوم الخامس يتعرض أحمد الصلاح مدير مدرسة الفنون الجميلة بالعاصمة لمحاولة اغتيال ويموت بعدها بأربعة أيام . وفى اليوم نفسه أكثر من ألف معتقل من بينهم حوالى ثلاثمائة وخمسون مناضلاً إسلامياً من المحكوم عليهم بالإعدام يتمكنون من الهرب من سجن تازولت . وفى اليوم الخامس عشر يتم اختطاف اثنين من الصينيين . وفى اليوم الثامن عشر يصدر بيان من رئاسة الجمهورية يعلن عن عزم السلطات استئناف الحوار مع زعماء الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وفى التاسع عشر يتم اغتيال أحمد بن زيغو وهو صحفى سابق فى صحيفة المجاهدين . وفى الثانى والعشرين يقوم اتحاد العمال الجزائريين وبعض المنظمات النسائية بمظاهرة اعتراض على مدى جدية " الحوار " الذى أعلن عنه الرئيس زروال . وفى الثالث والعشرين وأثناء هجوم على مكاتب صحيفة الإبدو ليبيرتيه يسفر عن قتيلين ، يلقى فرنسى وابنه مصرعهما . وفى اليوم نفسه وفى مؤتمر صحفى فى بليده يرفض وزير الداخلية أى تفكير فى حوار مع الإسلاميين . وفى الثامن والعشرين يغتال دبلوماسى روسى وموظف فى وزارة الخارجية . وفى الثلاثين يعلن الرئيس زروال رسميًا أنه قابل	مـــــارس

	زعماء الجبهة الإسلامية لإنقاذ المسجونين وذلك بهدف وضع حد لأعمال العنف .
أبـــريــــل	فى تصريح علنى ، يكذب كل من على بن حاج وعبد القادر بوخمخم حدوث أى اتفاق مع السلطة مع ترك الباب مفتوحاً لأى مفاوضات محتملة . وفى اليوم السابع من الشهر يتم اغتيال ميزيان بليد ، الأمين الوطنى لاتحاد العمال الجزائريين وعمر خنوش المناضل فى حركة حماس . وفى التاسع ، تقوم الجزائر بإبلاغ صندوق النقد الدولى بعزمها على عقد اتفاق بإعادة جدولة ديونها وتقوم بتخفيض قيمة الدينار . وفى الثانى عشر تعلن جبهة التحرير الوطنى أنها لن تشارك فى اجتماع العشرين من أبريل المخصص لتوزيع المقاعد في مجلس الشورى المؤقت . وفى الثانى والعشرين تقوم مجموعة مسلحة بتدمير مصنع الأسمنت فى مفتاح .
مـــــايـو	يتم اغتيال الأمين الوطنى للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء (٣) وفى اليوم الرابع ، يشرع الأمين زروال فى تغيير القادة العسكريين فى المناطق . وفى الثامن وفى أثناء مسيرة " من أجل الحوار " يشارك فيها جبهة التحرير الوطنى والمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء ، يتم اغتيال اثنين من رجال الدين الفرنسيين . وفى الثامن عشر يقتل عشرة من الفنيين المدنيين الروس وحوالى خمسين من العسكريين الجزائريين فى فخ ينصب لهم فى منطقة جيجيل . وفى اليوم نفسه يرجع الرئيس زروال عن قراره بإقامة "حوار" ويعلن عن عزمه على استئصال "بذور العنف والإرهاب" . وفى الحادى والعشرين يلقى حوالى أربعين من العسكريين حتفهم فى هجوم على أحد المعسكرات فى وادى تليلات فى غرب الجزائر . وفى اليوم نفسه ، يعثر على المحامى الذى كان يتولى مهمة الدفاع عن المناضلين الإسلاميين أمام المحاكم الخاصة مذبوحاً .

	وفى الحادى والثلاثين يلقى صلاح جبايلى مدير جامعة باب الزوار حتفه .
يونيـو	تحصل الجزائر على موافقة بإعادة جدولة ديونها الخارجية (قدرت بستة وعشرين مليار دولار) مع تخفيض خمسة مليارات من المبلغ المفروض تسديده بين مايو ١٩٩٤ ومايو ١٩٩٥ . وفى اليوم الخامس ، يغتال موسونى عبد الله مدير المركز الوطنى للإعلام . وفى السابع يغتال فرحات شركيت الصحفى بصحيفة المجاهد . وفى اليوم الثامن وفى رسالة موجهة إلى الأمين زروال يطالب المكتب السياسى لجبهة التحرير الوطنى بتشكيل لجنة تحقيق تلقى الضوء على " تجاوزات " بعض العناصر المكلفة "بمقاومة العنف" . وفى اليوم الثامن عشر يغتال يوسف فتح الله رئيس المنظمة الجزائرية لحقوق الإنسان . وفى اليوم الحادى والعشرين يغتال بوتلجون عبد الرشيد عضو حزب النهضة الإسلامى . وفى التاسع والعشرين يتظاهر عدة آلاف استجابة لنداء الحركة من أجل الجمهورية ، بهدف رفض أى حوار مع الإسلاميين وتنفجر قنبلتان بين المتظاهرين ويسفر الحادث عن مقتل شخص وحوالى ستين جريحًا .
يوليـو	يغتال العياشى بن عزيزة عضو لجنة ولاية عنابه والمناضل فى الحركة من أجل الديمقراطية (٥). وفى اليوم السابع يلقى سبعة من البحارة الإيطاليين مصرعهم فى ميناء جنجن (جيجيل) . فى الجادى عشر يتم اغتيال خمسة من مواطنى أوروبا الشرقية . وفى اليوم الثانى عشر يغتال مصمودى بن خيره عمدة مرسى الحجاج . وفى السابع عشر يتم اختطاف سفيرى اليمن وعمان ثم يطلق سراحهما فى اليوم الثانى والعشرين .
أغسطس	يغتال خمسة مواطنين فرنسيين (ثلاثة من الشرطة واثنان من القنصلية (٣) . فى فرنسا يباشر شارل باسكوا القبض على

حوالى عشرين من المناضلين الإسلاميين . فى اليوم نفسه وبعد أن قامت الجماعات الاسلامية المسلحة بقتل الفرنسيين الخمسة تعلن بياناً تحظر فيه على المدرسين والطلاب الذهاب إلى المدارس الثانوية والجامعات تجنباً للانتقام . كما يغتال عبد القادر ربيحه مدير المعهد الزراعى بجامعة الجزائر . فى اليوم السابع يلقى تسعة وأربعون عسكرياً حتفهم كما يصاب سبعون آخرون فى الهجوم على ثكنة حراسة الحدود فى سيبدو ويستولى المهاجمون على كميات من الأسلحة الثقيلة . وفى اليوم الثاني عشر ، وفى بيان نشر فى لندن فى صحيفة الحياة السعودية ، هددت الجماعات الإسلامية المسلحة " بضرب المصالح الفرنسية فى الخارج بقوة " كما تطالب بوقف " دعم السلطة المستبدة " ، "وإجلاء جميع الرعايا الفرنسيين" وخضوعهم للشريعة الإسلامية . وفى اليوم الخامس عشر يتم اغتيال اثنين من الرعايا الصينيين (الفتيان الصينيان اللذان تم اختطافهما فى الخامس عشر من مارس الماضى لم يعثر عليهما) . فى السادس عشر يتم اغتيال خالد بوغربال من موظفى هيئة الإذاعة والتليفزيون . فى العشرين تصدر اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الخارج خطاباً لعلى بن حاج بتاريخ ٢٢ يوليو الماضى يؤكد فيه أن " أى تفاوض مع السلطة ينبغى أن يضم المجاهدين " . فى الحادى والعشرين يعقد مؤتمر حول الحوار الوطنى لا تحضره الجبهة الإسلامية للإنقاذ ولا جبهة القوى الاشتراكية ولا التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية ولا حزب التحدى . قى اليوم نفسه يعلن الجنرال زروال أنه التقى سراً بعباس مدنى وعلى بن حاج ويدعو أحزاب المعارضة لزيارتهما فى سجن بليده . فى الثانى والعشرين يتم اغتيال رباح استنبولى وهو مناضل فى الحركة من أجل الجمهورية . فى الرابع والعشرين يقتل كاسى عبد الله محمد

عضو المجلس الوطني لفترة الانتقال ، كما يقتل رجل أعمال يهودي في أوران . وفي السادس والعشرين تعلن الجماعات الإسلامية المسلحة عن تشكيل " حكومة خلافة " وتخلع على رئيسها شريف جوزمي ألياس عبد الله أحمد لقب "أمير المؤمنين" وتؤكد أنه لن يكون هناك " حوار ولا هدنة ولا مصالحة مع السلطة " . في اليوم نفسه ، وعلى أثر القبض على جماعة مسلحة مكونة من جزائريين ومغاربة قادمين من فرنسا، تعلن الحكومة المغربية في إطار التحقيق في حادث الهجوم على فندق في مراكش ضرورة الحصول على تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للجزائريين أو الذين من أصل جزائري . في السابع والعشرين تقرر الجزائر ضرورة الحصول على تأشيرة لدخول أراضيها بالنسبة للمغاربة وغلق حدودها مع المغرب مؤقتًا . في اليوم نفسه تدعو الجماعات الإسلامية المسلحة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية بدءًا من أول يناير ١٩٩٥ . كما يعلن جيش الإنقاذ الإسلامي في بيان له " بطلان " تشكيل حكومة الخلافة المزعومة ويتهم الجماعات الاسلامية المسلحة بأنها تتكون من مجموعات من المرتزقة وأنها مخترقة من قوات الأمن . في الحادي والثلاثين تعلن الخارجية الفرنسية أن التأشيرات بالنسبة للجزائريين سوف تمنح في فرنسا وليس في القنصليات الفرنسية في الجزائر .	
تعلن الرئاسة أن عباس مدني وعلى بن حاج يخضعان للإقامة الجبرية وأن رفاقهم الثلاثة في السجن قد تم إطلاق سراحهم (٣١) في الرابع عشر يغتال محمد أشوتا وهو مناضل من التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية . وفي السابع عشر يغتال في قسطنطينة على لايب مسئول حزب حماس . وفي الخامس والعشرين يتم اختطاف المطرب القبائلي ومناضل حركة الثقافة البربرية لونس مطوب في تيزي أوزو، في حين يغتال مسعود	سبتمبر

	كاشي وهو مناضل من حركة القوى الاشتراكية وذلك بالقرب من العاصمة . فى اليوم نفسه يتم اغتيال كل من مولود برودى وهو مصور صحفى وإسماعيل سباغدى وهو صحفى . وفى السادس والعشرين يقتل مهندس مساحة بوسنوى بالقرب من سكيكا فى حين يقتل فى أوران عبد الرحمن فردهب وهو أستاذ اقتصاد وعضو فى حزب الطليعة الاشتراكى . وفى اليوم التاسع والعشرين يقتل مطرب " الرّاى " شاب حسنى فى أوران .
أكتوبر	استجابة لنداء حركة الثقافة البربرية تقوم القبائل بالإضراب يوماً واحداً فى حين يتظاهر حوالى مائة ألف شخص فى تيزى أوزو مطالبين بإطلاق سراح لونس مطوب ويعلنون رفضهم للأسلمة (٢) . وفى اليوم الخامس تصاب القبائل بحالة شلل كامل بسبب الإضراب العام . وفى اليوم نفسه يتم اغتيال على طحانوتى المندوب التنفيذى الإقليمى ورئيس الاتحاد الوطنى لأندية كرة القدم ورئيس نادى بورج مينايل . وفى اليوم الثامن يعثر على المواطن الفرنسى جان بيير مانيير مذبوحاً بعد أيام من اختطافه. وفى اليوم الحادى عشر يتم إطلاق سراح لونس مطوب . وفى اليوم نفسه يقتل مواطن فرنسى يدعى روجيه ميرل . وفى اليوم الثانى عشر تتعرض العاصمة لسلسلة من عمليات الاغتيال بالسيارات الملغومة . وفى اليوم نفسه يقتل مواطن من كوريا الجنوبية . وفى اليوم السادس عشر يقتل طبيب بوتر فيف وهو محرر صحفى فى الإذاعة ، فى حين يعثر على جثة محمد مادى من الشركة الوطنية للسكر وذلك بعد عدة أيام من اختطافه. وفى اليوم السابع عشر يقتل فى مكتبه زوج ليلى أصلاوى المتحدثة الرسمية السابقة للحكومة وكانت قد استقالت احتجاجاً على وضع عباس مدنى وعلى بن حاج تحت الإقامة الجبرية . وفى الثامن عشر تقوم فرقة كوماندوز من عشرين فرداً بتدمير قاعدة

	حفر في جليب ويقتل في الحادث مهندسان في شركة شلومبر أحدهما فرنسي والآخر إيطالي . وفي اليوم التاسع عشر يغتال زيان فراح وهو رئيس تحرير صحيفة الثورة الإفريقية . وفي الثالث والعشرين تغتال راهبتان أسبانيتان في العاصمة الجزائرية . وفي اليوم السابع والعشرين يقتل صلاح بن عاشور وهو صحفي . وفي الثلاثين يعلن الأمين زروال فشل الحوار مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ كما يعلن عن إجراء الانتخابات الرئاسية قبل نهاية عام ١٩٩٥ . كما أكد تصميمه على إبادة "المرتزقة" وهم " الإرهابيون الإسلاميون " .
نوفمبر	تنفجر قنبلة أثناء احتفال بمناسبة ذكرى الأول من نوفمبر في مقبرة تقع على بُعد ثمانين كيلوا متراً من مستجانيم ويلقى أربعة أشخاص حتفهم (١) منذ اليوم الثاني تقوم حملة انتقام ضد الأحراش الإسلامية وأيضاً ضد السكان المدنيين تسفر عن عدة مئات من القتلى . وفي اليوم الخامس يلقى مواطن فرنسي يدعى جان فرانسوا ماركيت حتفه في بويرا . في اليوم نفسه يقتل لونس جاب الله وهو مناضل من حزب الطليعة الاشتراكي . وفي اليوم الثامن تشرع الشرطة الفرنسية في عملية القبض على ٩٥ مناضلاً قيل إنهم ينتمون إلى الجماعات الإسلامية المسلحة. وفي الحادي والعشرين والثاني والعشرين وبدعوة من الطائفة الكاثولوليكية (سان جيديو) ، يجتمع في روما كل من حسين آية أحمد (جبهة القوى الاشتراكية) وعبد الحميد مهري (جبهة التحرير الوطني) وأنور هدام (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) وأحمد بن بيلا (الحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر) ومحفوظ نحناح (حماس) وعبد الله جاب الله (النهضة) ونور الدين بوكروح (حزب التجديد الجزائري) ولويزا حنون (حزب العمال) وذلك للمرة الأولى بهدف النظر في إمكانيات الحوار المحتمل .

وتعترض الحكومة الجزائرية بشدة على هذا الاجتماع . وفى اليوم الثلاثين يقتل فى بوفريق صحفيان وثلاثة من المدنيين .	
يقتل مواطن فرنسى يدعى لوسيان مارسيل فى أوران (٢) . فى اليوم نفسه يقتل فى العاصمة سيد مقبل مدير صحيفة "لوماتان" فى الرابع والعشرين والخامس والعشرون تقوم مجموعة من الكوماندوز الإسلاميين بالاستيلاء على طائرة تابعة لشركة إير فرانس فى مطار الجزائر ويقتل ثلاثة من الرهائن قبل أن تقلع الطائرة إلى مرسيليا . وتتعامل جماعة التدخل الخاصة بالشرطة الوطنية مع المختطفين ويسفر الحادث عن مصرع المختطفين الأربعة وتعلن المجموعات الإسلامية المسلحة مسئوليتها عن العملية . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل أربعة رهبان بيض ثلاثة فرنسيون وبلجيكى فى تيزى أوزو .	ديسمبر

١٩٩٥

تعلن جبهة التحرير الوطنى فى بيان لها أن وفداً من الحزب التقى بعباس مدنى وعلى بن حاج (٤) وفى اليوم الخامس تؤكد اللجنة التنفيذية للجبهة الإسلامية للإنقاذ بالخارج أن الصراع فى الجزائر هو الصراع بين " الشعب الجزائرى " وبين " الديكتاتورية العسكرية " وتدين أى عمل يستهدف الأبرياء أياً كانت عقيدتهم واتجاههم ، وأياً كان مرتكبو هذه الأعمال . وفى اليوم السابع يقتل زين الدين صلاح وهو صحفى فى الصحيفة " لا ليبرتيه " . كما يتعترض على عبود وهو صحفى فى الإذاعة لحادث اغتيال يموت على أثره بعد عدة أيام . وفى اليوم الثامن حتى الثالث عشر ، وبدعوة من الطائفة الكاثوليكية فى روما(سان إجيديو) يقوم زعماء المعارضة (الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة القوى	يناير

	الاشتراكية وجبهة التحرير الوطنى والحركة من أجل الديمقراطية فى الجزائر) بالتوقيع على"عريضة من أجل حل سياسى وسلمى للأزمة الجزائرية". وفى اليوم الحادى والعشرين يقتل رشيد حرايج رئيس الاتحاد الجزائرى لكرة القدم . وفى اليوم الثانى والعشرين يقتل مواطن فرنسى يدعى جوزيف بلعايش . وفى التاسع والعشرين تقوم فى الجزائر العاصمة مظاهرة بدعوة من الحكومة من أجل معارضة اتفاق روما وقد شارك فى المظاهرة حوالى عشرة آلاف شخص . وفى اليوم الثلاثين يقع فى العاصمة حادث انفجار سيارة ملغومة يؤدى إلى وقوع ٤٢ قتيلاً و ٢٨٠ جريحًا . بعد عدة أيام يتم فصل على بن حاج عن عباس مدنى الذى ينقل سراً إلى جنوب البلاد .
فبراير	تقوم مجموعة من الكوماندوز الإسلامية بمهاجمة مركز الحدود التونسى فى تاميرزا مما يسفر عن مقتل ستة من الحراس (١١) فى اليوم الثالث عشر يقتل عز الدين ميجوبى مدير المسرح الوطنى الجزائرى . وفى اليوم الثانى والعشرين تقوم حركة عصيان فى سجن سركاج بالعاصمة ويسفر القمع عن أكثر من مائة قتيل من السجناء .
مارس	تتعرض رشيدة همامى وهى صحفية فى التليفزيون لحادث اعتداء ثم تلقى حتفها بعد أيام من نقلها إلى مستشفى فرنسى (٢٠) . فى اليوم الثانى والعشرين يقتل عبد الوهاب بن بولايد وهو ابن مصطفى بن بولايد أحد زعماء الثورة الجزائرية . وفى الفترة من الثامن عشر حتى الرابع والعشرين يلقى مئات الإسلاميين حتفهم فى ولاية عين دلفا (الغرب) أثناء عمليات تمشيط قام بها الجيش . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل محمد عبد الرحمن مدير الصحيفة الحكومية " المجاهد " .

أبـــريـــل	تعلن الحكومـة الجزائرية عن إقامـة " مناطق للنفى " فى المناطق البترولية فى الصحراء الكبرى . (٣) . وفى اليوم الرابع يقتل فى قسطنطينة مخلوف بوخزار وهو معلق رياضى فى التليفزيون الوطنى . وفى الحادى والعشرين يقتل أرزقى ووكيد عضو مجلس الشورى الوطنى .
مـــــايو	خمسة خبراء مصرعهم – فرنسيان وكندى وإنجليزى وتونسى وذلك فى منطقة صناعية بالقرب من غرداية . تعلن قيادة الجيش " الحرب الشاملة " ضد الجماعات الاسلامية المسلحة وتؤكد تصميمها " على اقتلاع قوى الجريمة تماماً " قبل إجراء انتخابات الرئاسة . فى اليوم نفسه تقتل مليكه صبور وهى صحفية فى صحيفة الشروق العربى (٢١) . وفى أوران يقتل الكاتب بختى بن عوده (٢٢) . وفى اليوم الخامس والعشرين يصاب سبعة وثلاثون شخصاً بجروح بسبب انفجار سيارة ملغومة أمام عمارة يسكنها بعض رجال الشرطة وعائلاتهم . وفى اليوم السابع والعشرين يقتل مراد حمايزى وهو صحفى فى التليفزيون .
يـونيـــــو	يقوم تجمع الشباب فى الجزائر العاصمة بتنظيم حفلة " موسيقية من أجل السلام " تضم عدة آلاف من الشبان (١ ، ٢) . وفى اليوم الثالث يصدر الحكم بإعدام لمبارك بومعارفى المتهم باغتيال بوضياف . وفى اليوم السابع يقتل فرنسيان فى الجزائر العاصمة . كما يجتمع حوالى خمسة عشر ألف شخص فى العاصمة بدعوة من الموقعين على عريضة روما (١٠) . وفى اليوم الثامن عشر تقوم الشرطة الفرنسية بـ " كبسة جديدة" ضد الإسلاميين (٢١) فى اليوم نفسه وفى مدينة قسطنطينة ، يسفر انفجار سيارة ملغومة عن إصابة حوالى عشرين شخصاً من بين عائلات رجال الشرطة .

يوليــــو	يُغتال فى باريس الشيخ عبد الباقى صحراوى أحد مؤسسى الجبهة الإسلامية للإنقاذ (١١) . وفى باريس تنفجر قنبلة فى محطة سان ميشيل ويسفر الحادث عن مقتل سبعة أشخاص وأكثر من ثمانين جريحًا (٢٥) .
أغسطس	تنفجر سيارة ملغومة فى بوفارق (جنوب شرق العاصمة) تسفر عن مقتل أحد عشر شخصًا وجرح حوالى عشرين آخرين (٨) . وفى اليوم السادس عشر يؤدى انفجار سيارة ملغومة إلى تدمير مبنى المحافظة فى بن أكنون بالجزائر العاصمة .

ملحق (٢)

بيانات وخرائط

٢٥٦ - ٢٥٧

سكان المدن

٢,٠٠٠,٠٠٠

٥٠٠,٠٠٠

١٠٠,٠٠٠

٥٠٠

٢٠٠

من ٥٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠

من ٢٥,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠

من ١٠,٠٠٠ إلى ٢٥,٠٠٠

طريق رئيسي

سكك حديدية

مركز حدود

منطقة مشجرة

٢٥٨ - ٢٥٩

مناطق خاضعة لحظر التجول

من ١٩٩٢/١٢/٥

امتداد من ١٩٩٣/٦/٥

الجيش الإسلامي للإنقاذ

توزيع الجماعات المسلحة (أكتوبر ١٩٩٤)

الجماعات الإسلامية المسلحة

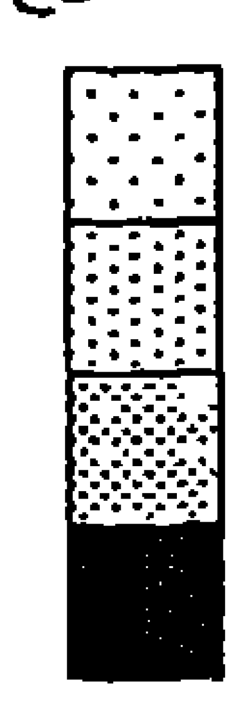
منطقة تمركز شديد للإسلاميين المسلحين

مناطق صراع شديد خلال عام ١٩٩٤

٢٦٠

انتخابات المجالس الشعبية المحلية ، عام ١٩٩٠
المصادر : صلاح الدين شيراد " الانتخابات البلدية
والتشريعية في الجزائر "، المناطق القروية ، أكتوبر ١٩٩٢

جبهة التحرير الوطني : النسبة المئوية
لعدد المقاعد التى حصلت عليها الجبهة
من المجموع الكلى للمقاعد :

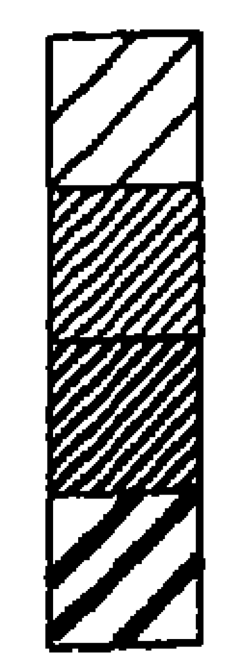


أقل من ٣٦%
من ٣٦ إلى ٥٠ %
من ٥٠ إلى ٧٠ %
أكثر من ٧٠%

المتوسط: ٥٠%
المتوسط العام : ٣٥,٨%

٢٦١

الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية
لعدد المقاعد التى حصلت عليها الجبهة
من المجموع الكلى للمقاعد :

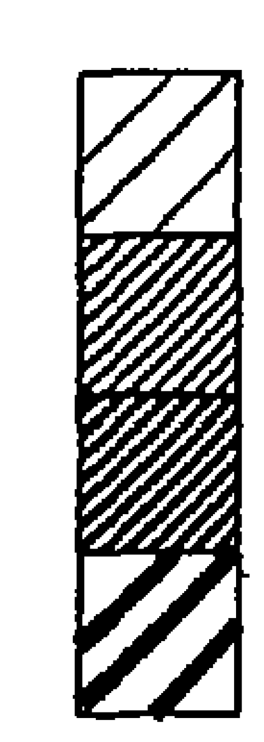


أقل من ٣٠ %
من ٣٠ إلى ٥٠%
من ٥٠ إلى ٧٠ %
أكثر من ٧٠%

المتوسط : ٥٤%
المتوسط العام : ٣٢%

٢٦٢

المستقلون : النسبة المئوية للمقاعد
التى حصل عليها المستقلون من المجموع
الكلى للمقاعد :



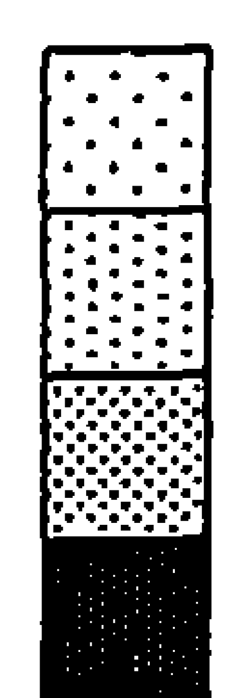
من ١ إلى ٥ %
من ٥ إلى ١٠%
من ١٠ إلى ١٥%
أكثر من ١٥ %

المتوسط : ٢٩ %
المتوسط العام : ٩,٣٥%

٢٦٣

انتخابات المجالس الشعبية للولايات ، عام ١٩٩٠ .
المصادر : صلاح الدين شيرّاد ، " الانتخابات البلدية والتشريعية فى الجزائر " ، المناطق القروية ، ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢ .

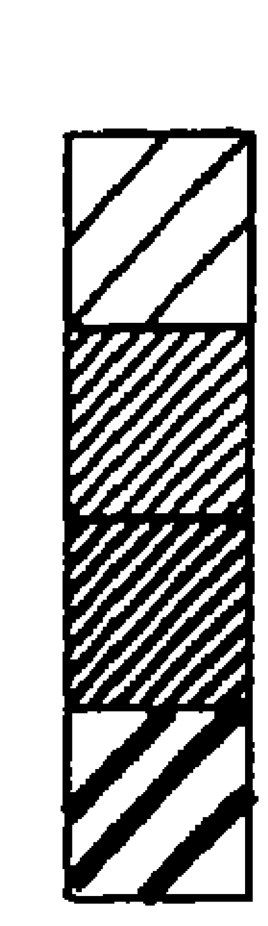
جبهة التحرير الوطني: النسبة المئوية للمقاعد
التى حصلت عليها الجبهة من المجموع الكلى للمقاعد .



أقل من ٣٠%
من ٣٠ إلى ٤٠ %
من ٤٠ إلى ٦٠ %
أكثر من ٦٠%

٢٦٤

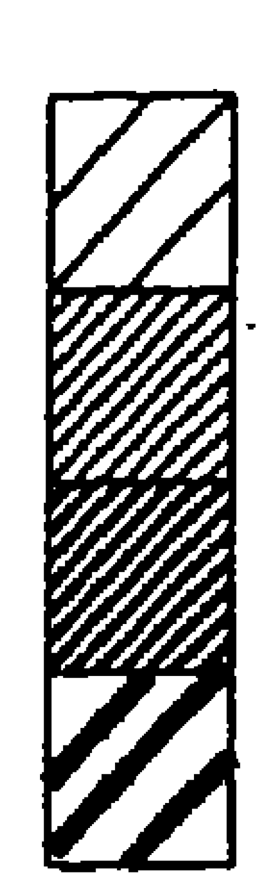
الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية للمقاعد
التى حصلت عليها الجبهة من المجموع الكلى للمقاعد .



أقل من ٣٠ %
من ٣٠ إلى ٥٠%
من ٥٠ إلى ٧٠ %
أكثر من ٧٠%

٢٦٥

المستقلون : النسبة المئوية للمقاعد
التى حصل عليها المستقلون من المجموع الكلى للمقاعد .



أقل من ١ %
من ١ إلى ٥%
من ٥ إلى ١٠ %
أكثر من ١٠%

٢٦٦

الانتخابات التشريعية ، ديسمبر ١٩٩١ .

المصادر : صلاح الدين شيرّاد ، " الانتخابات البلدية والتشريعية فى الجزائر " ، المناطق القروية ، ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢

جبهة التحرير الوطني : النسبة المئوية للأصوات من المجموع الكلى .

أقل من ٢٠%

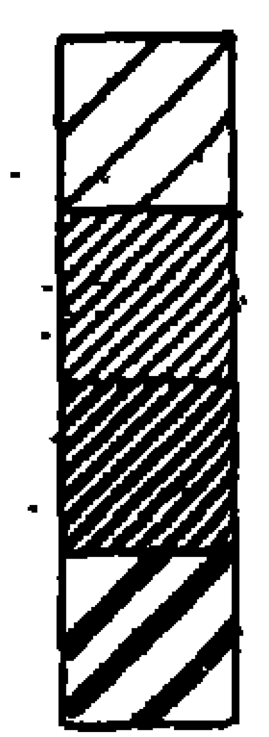
من ٢٠ إلى ٣٠ %

من ٣٠ إلى ٤٠ %

أكثر من ٤٠%

٢٦٧

الجبهة الإسلامية للإنقاذ : النسبة المئوية للأصوات من المجموع الكلى .



أقل من ٣٠ %

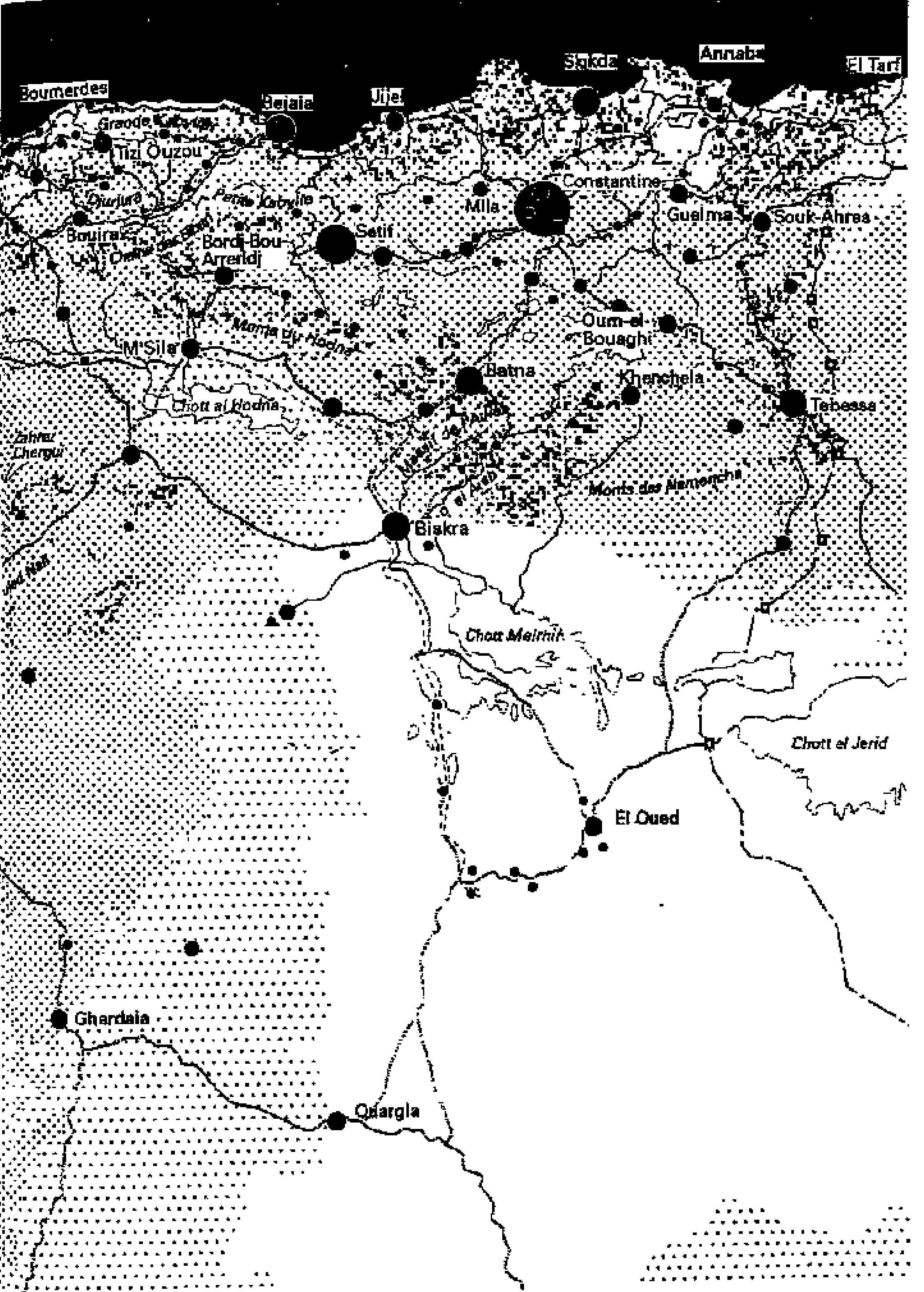
من ٣٠ إلى ٤٠%

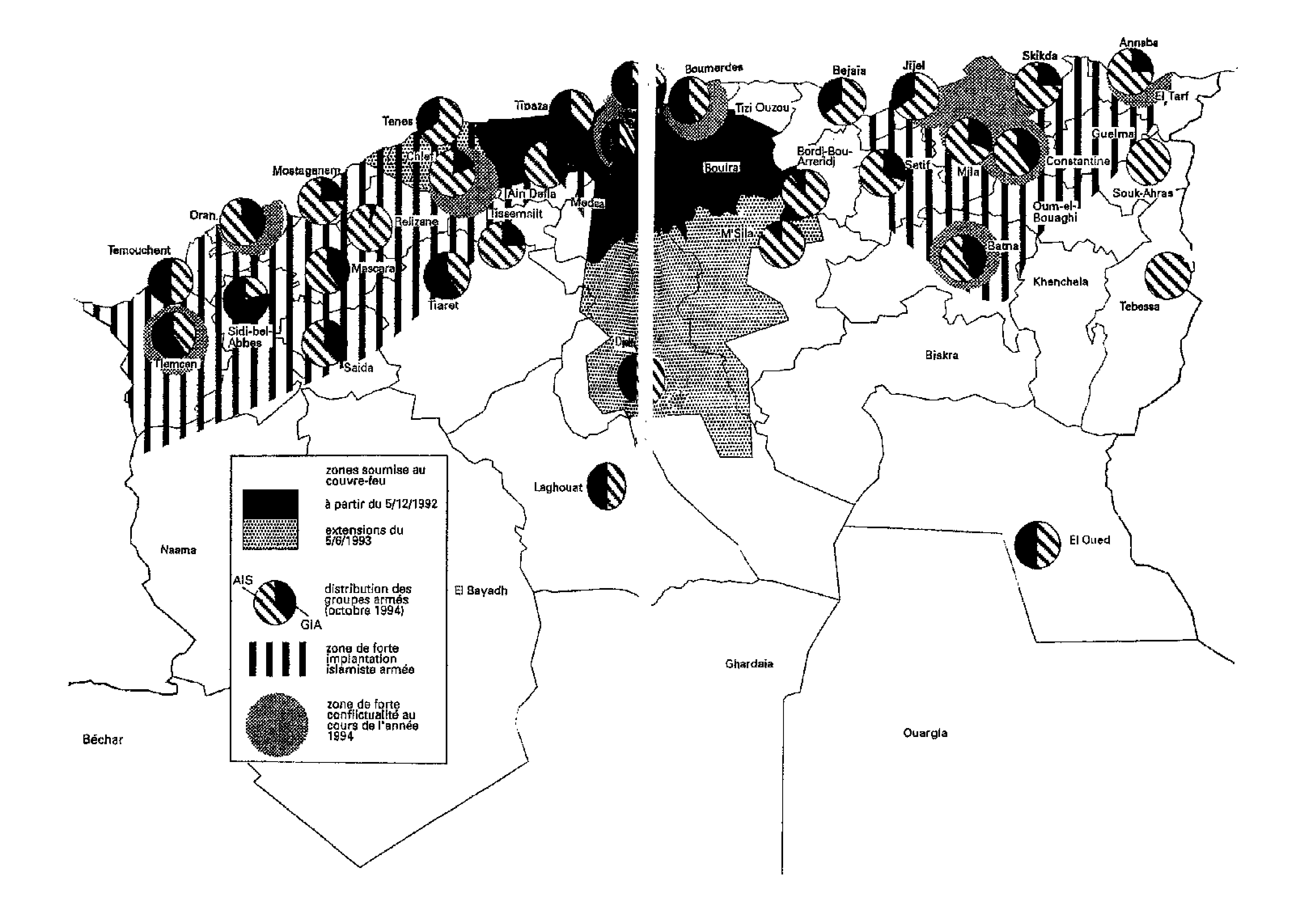
من ٤٠ إلى ٥٠ %

أكثر من ٥٠%

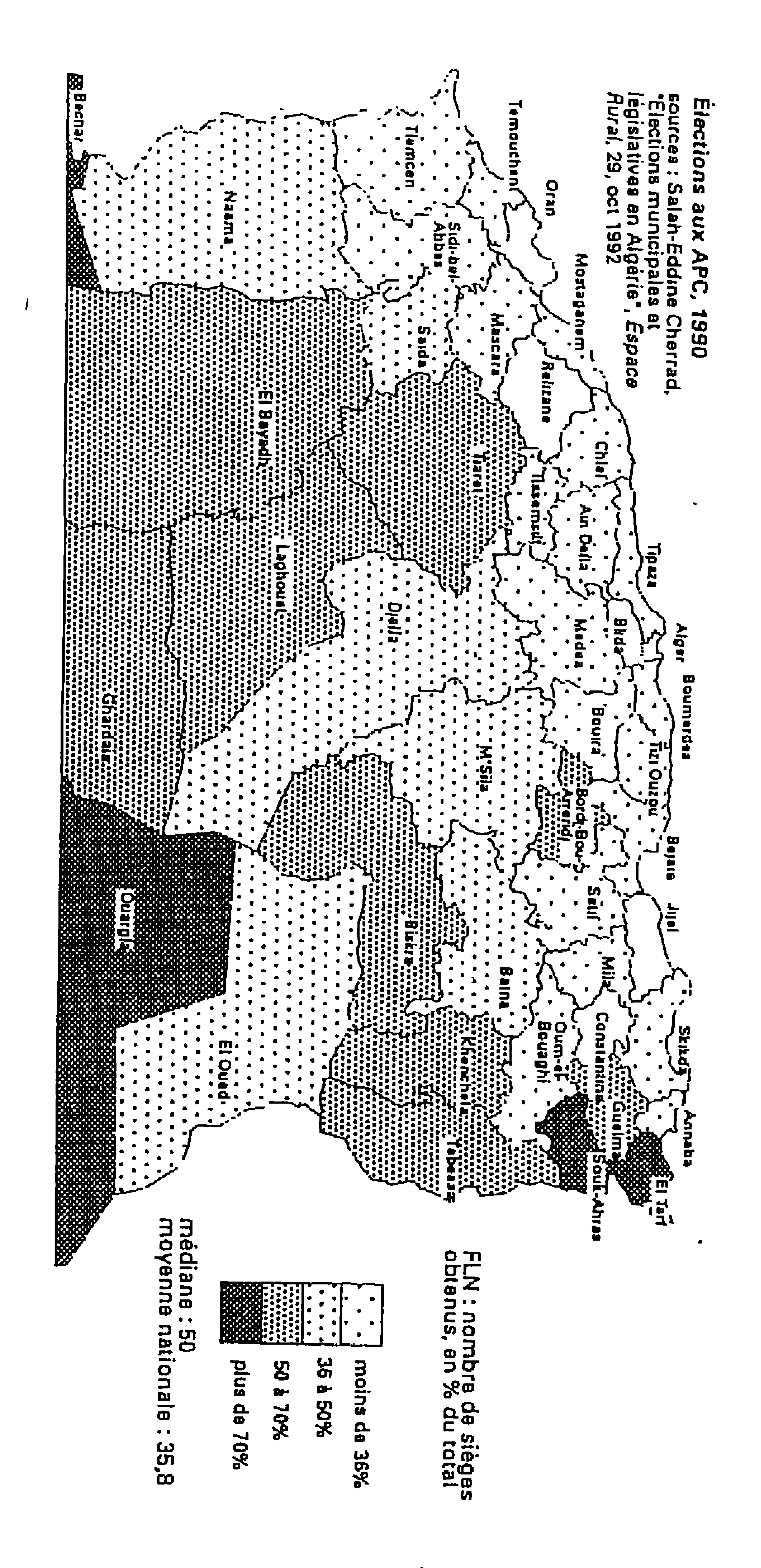
Alger
Tenes
Tipaza
Blida
Medea
Chlef
Ain Defla
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Temouchent
Mascara
Tiaret
Sidi-bel-Abbes
Tlemcen
Saida
Djelfa
Chott Ech Chergui
Djebel Amour
El Bayadh
Laghouat
Naama
Monts des Ksours
Béchar

population des villes
2 000 000
500 000
100 000
de 50 000 à 100 000
de 25 000 à 50 000
de 10 000 à 25 000
zone boisée
route principale
voie ferrée
poste-frontière
500m
200m
0m

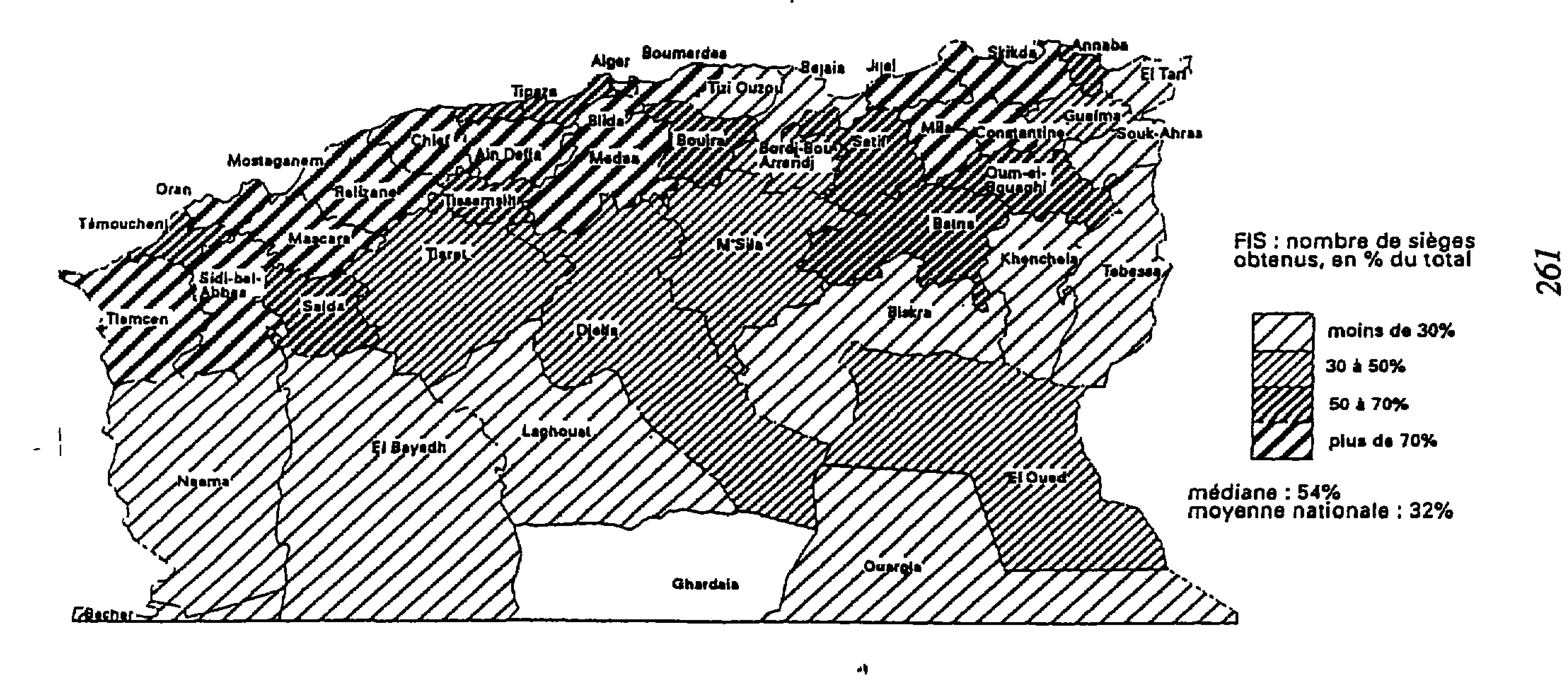


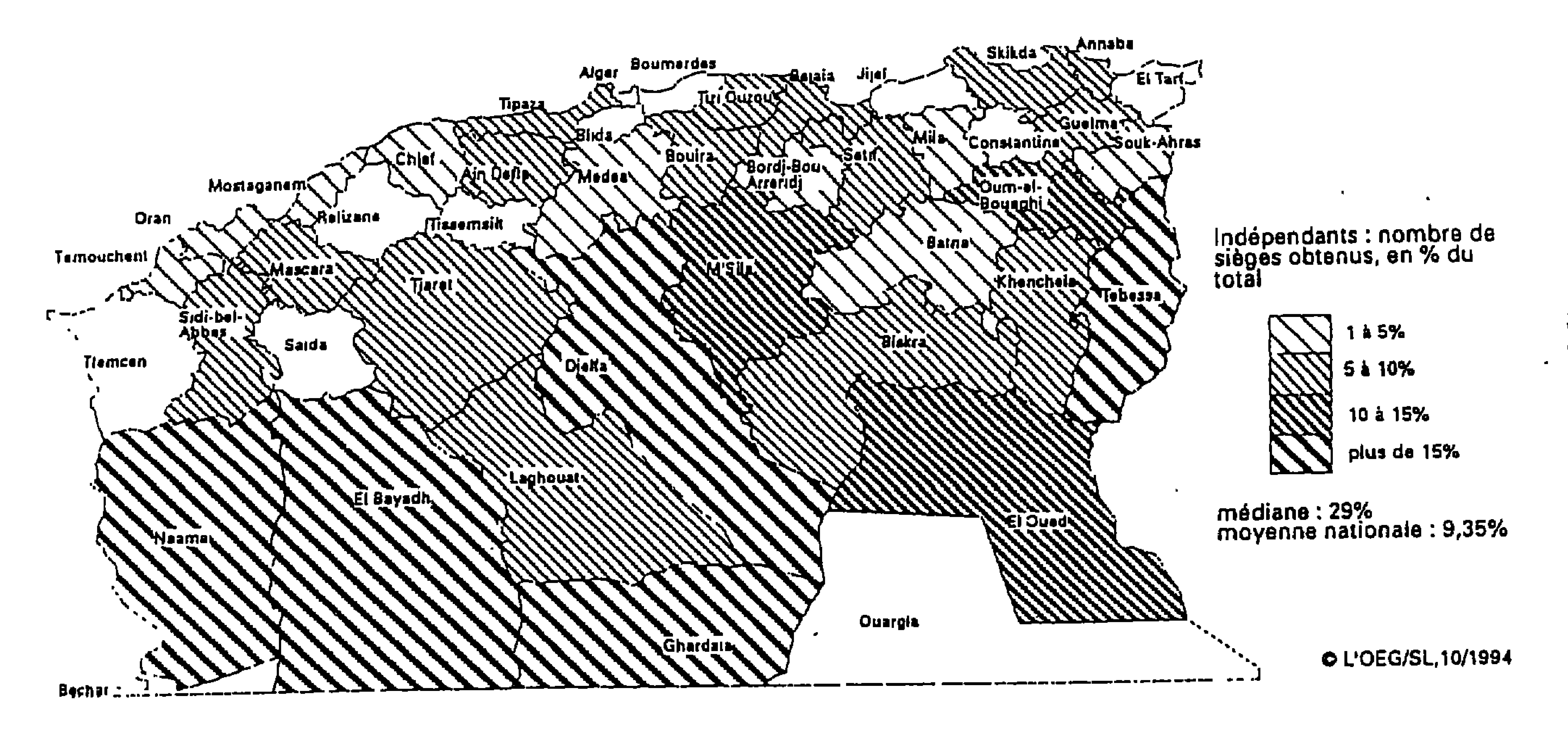


Annaba
Skikda
Jijel
Bejaïa
Boumerdes
Tizi Ouzou
El Tarf
Guelma
Constantine
Mila
Setif
Bordj-Bou-Arreridj
Bouira
M'Sila
Souk-Ahras
Oum-el-Bouaghi
Batna
Khenchela
Tebessa
Biskra
Tipaza
Tenes
Chlef
Mostaganem
Ain Defla
Medea
Tissemsilt
Oran
Relizane
Temouchent
Mascara
Tiaret
Sidi-bel-Abbes
Tlemcen
Saida
Laghouat
El Oued
Naama
El Bayadh
Ghardaia
Ouargla
Béchar
zones soumise au couvre-feu
à partir du 5/12/1992
extensions du 5/6/1993
AIS
GIA
distribution des groupes armés (octobre 1994)
zone de forte implantation islamiste armée
zone de forte conflictualité au cours de l'année 1994

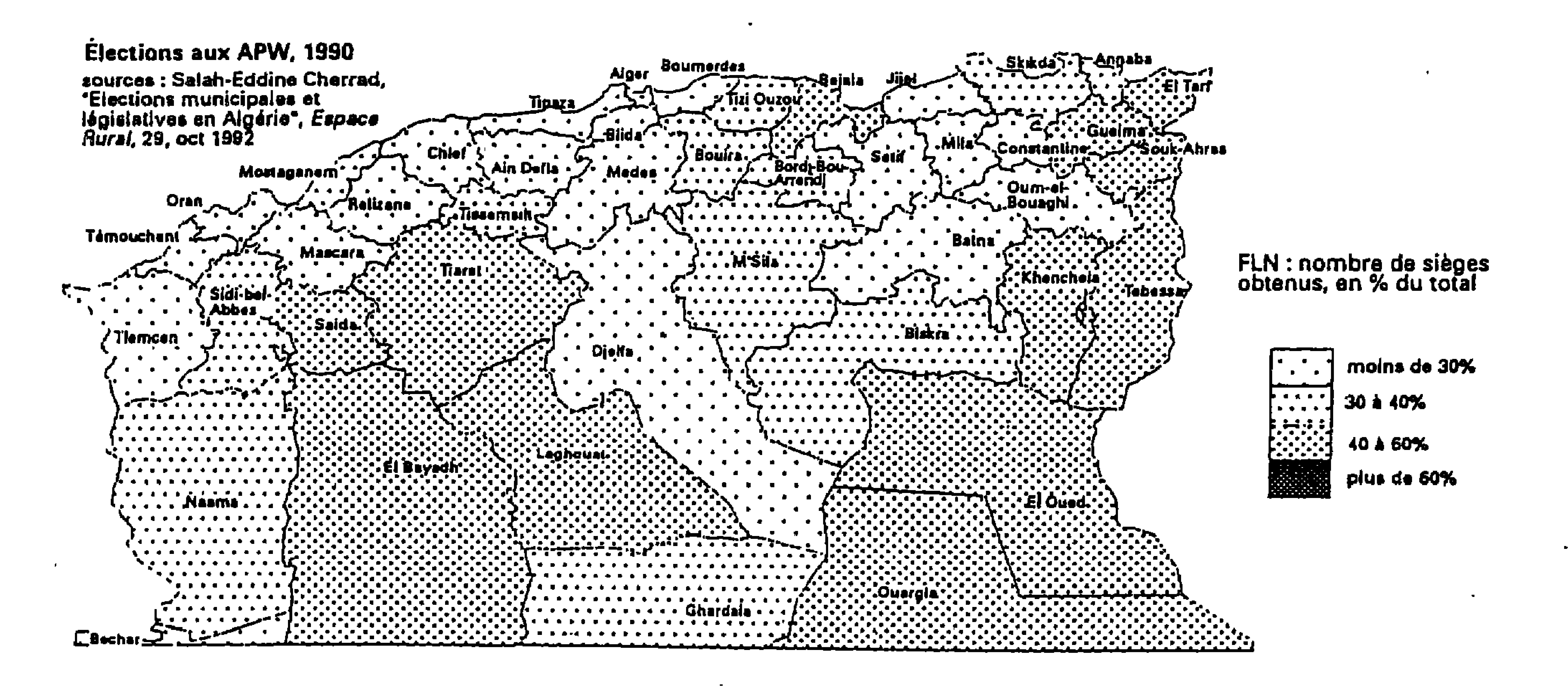


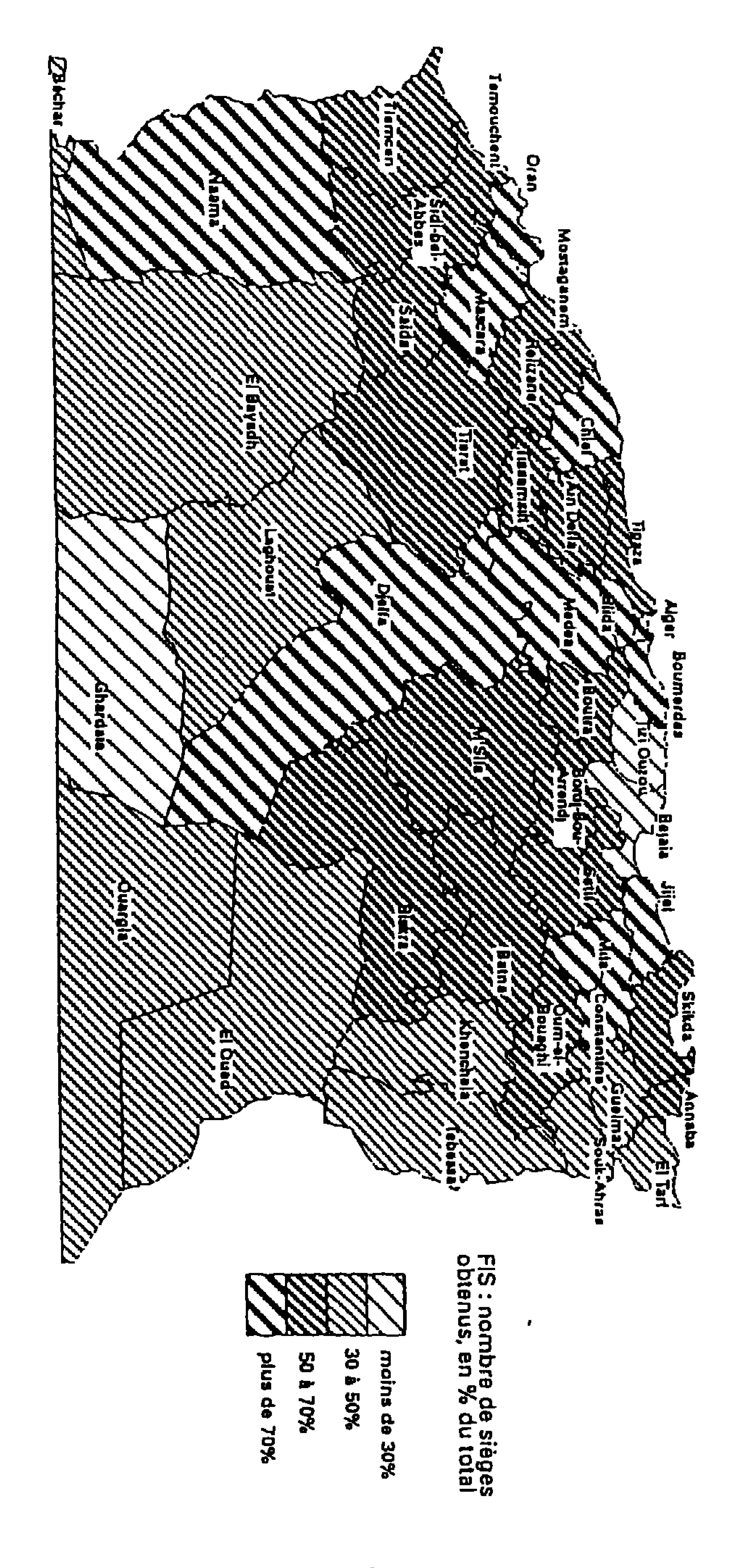
Élections aux APC, 1990
sources : Salah-Eddine Cherrad, "Élections municipales et législatives en Algérie", Espace Rural, 29, oct 1992
FLN : nombre de sièges obtenus, en % du total
moins de 36%
36 à 50%
50 à 70%
plus de 70%
médiane : 50
moyenne nationale : 35,8
Oran
Temouchent
Tlemcen
Naama
Bechar
Sidi-bel-Abbes
Mostaganem
Mascara
Saida
Relizane
El Bayedh
Tiaret
Tissemsilt
Chlef
Aïn Defla
Tipaza
Alger
Blida
Medea
Djelfa
Laghouat
Ghardaïa
Boumerdes
Bouira
Tizi Ouzou
M'Sila
Bordj-Bou-Arreridj
Bejaïa
Setif
Jijel
Biskra
Ouargla
Batna
Mila
Skikda
Constantine
Oum-el-Bouaghi
Khenchela
El Oued
Annaba
Guelma
El Tarf
Souk-Ahras
Tebessa


Alger
Boumerdes
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Tipaza
Tizi Ouzou
Blida
Guelma
Souk-Ahras
Chlef
Ain Defla
Medea
Bouira
Bordj-Bou Arreridj
Setif
Mila
Constantine
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Oum-el-Bouaghi
Témouchent
Mascara
Batna
M'Sila
Khenchela
Tebessa
Tiaret
Sidi-bel-Abbes
Saida
Tlemcen
Djelfa
Biskra
El Bayadh
Laghouat
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Bechar
FIS : nombre de sièges obtenus, en % du total
moins de 30%
30 à 50%
50 à 70%
plus de 70%
médiane : 54%
moyenne nationale : 32%

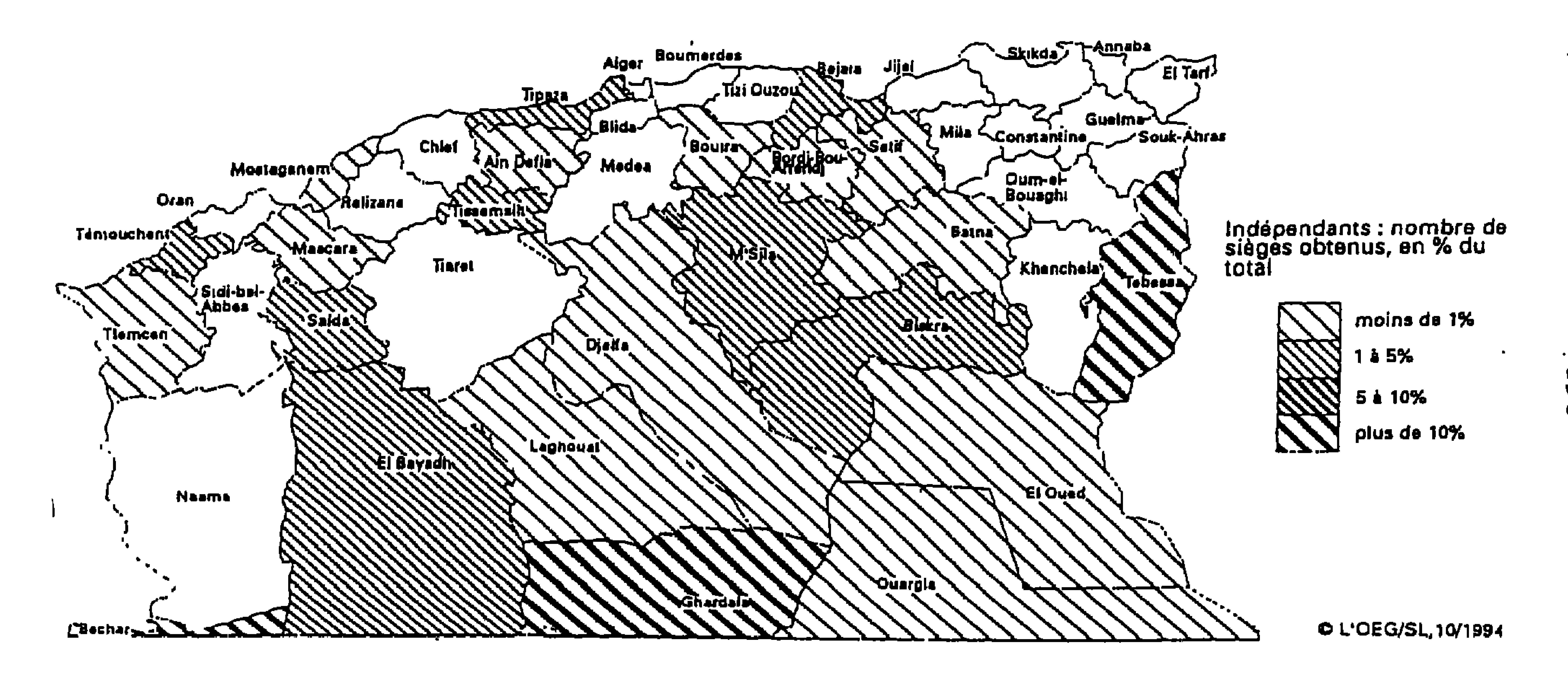


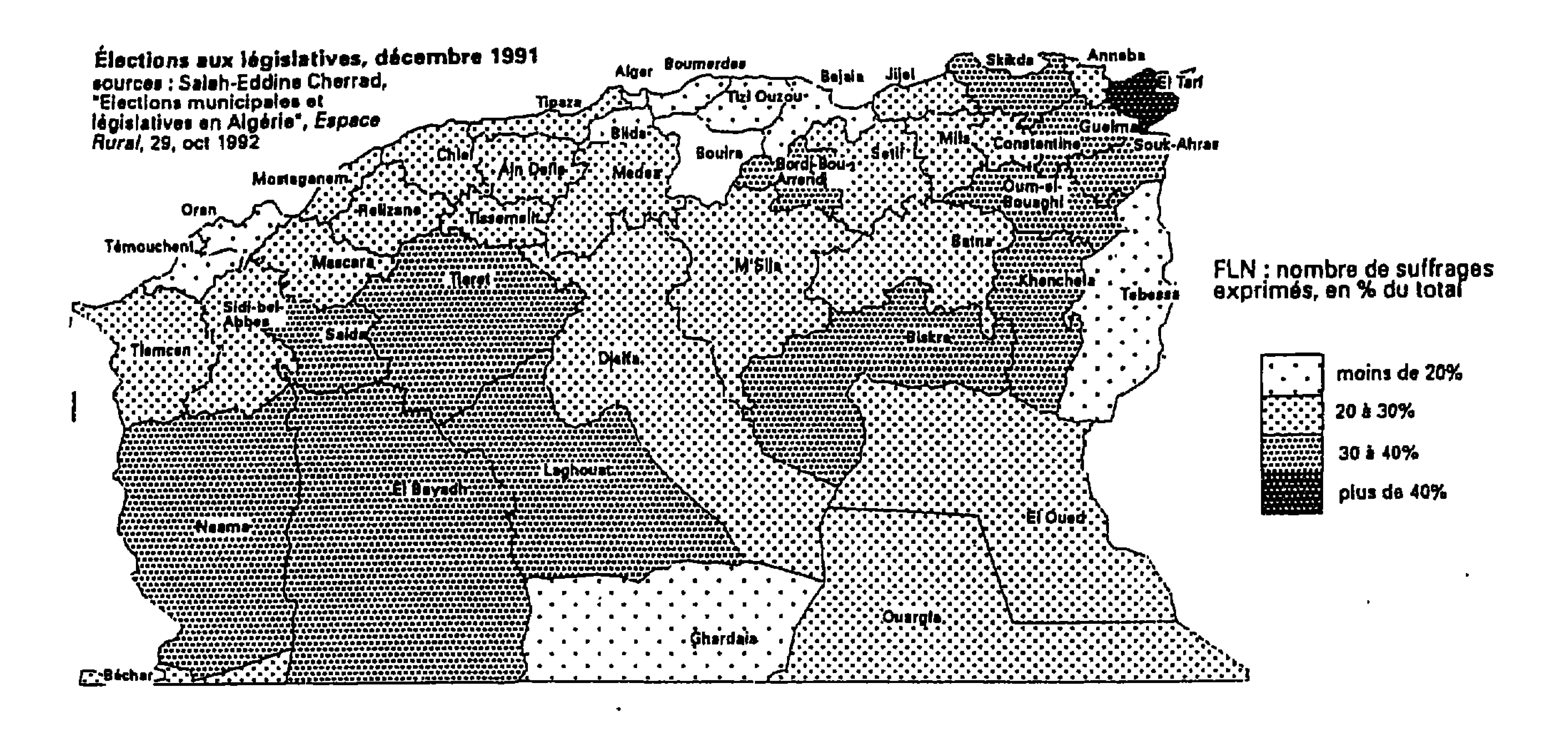
Indépendants : nombre de sièges obtenus, en % du total
1 à 5%
5 à 10%
10 à 15%
plus de 15%
médiane : 29%
moyenne nationale : 9,35%
© L'OEG/SL,10/1994
Alger
Boumerdes
Tipaza
Tizi Ouzou
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Guelma
Souk-Ahras
Constantine
Mila
Setif
Bordj-Bou Arreridj
Bouira
Blida
Medea
Ain Defla
Chlef
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Temouchent
Mascara
Tiaret
Sidi-bel-Abbes
Saida
Tlemcen
Oum-el-Bouaghi
Batna
Khenchela
Tebessa
M'Sila
Biskra
Djelfa
Laghouat
El Bayadh
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Bechar


Élections aux APW, 1990
sources : Salah-Eddine Cherrad, "Elections municipales et législatives en Algérie", *Espace Rural*, 29, oct 1992
Alger
Boumerdes
Tipaza
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Tizi Ouzou
Blida
Chlef
Ain Defla
Medea
Bouira
Bordj-Bou-Arreridj
Setif
Mila
Constantine
Guelma
Souk-Ahras
Oum-el-Bouaghi
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Témouchent
Mascara
Tiaret
M'Sila
Batna
Khenchela
Tebessa
Sidi-bel-Abbes
Saida
Tlemcen
Djelfa
Biskra
El Bayadh
Laghouat
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Bechar
FLN : nombre de sièges obtenus, en % du total
moins de 30%
30 à 40%
40 à 60%
plus de 60%

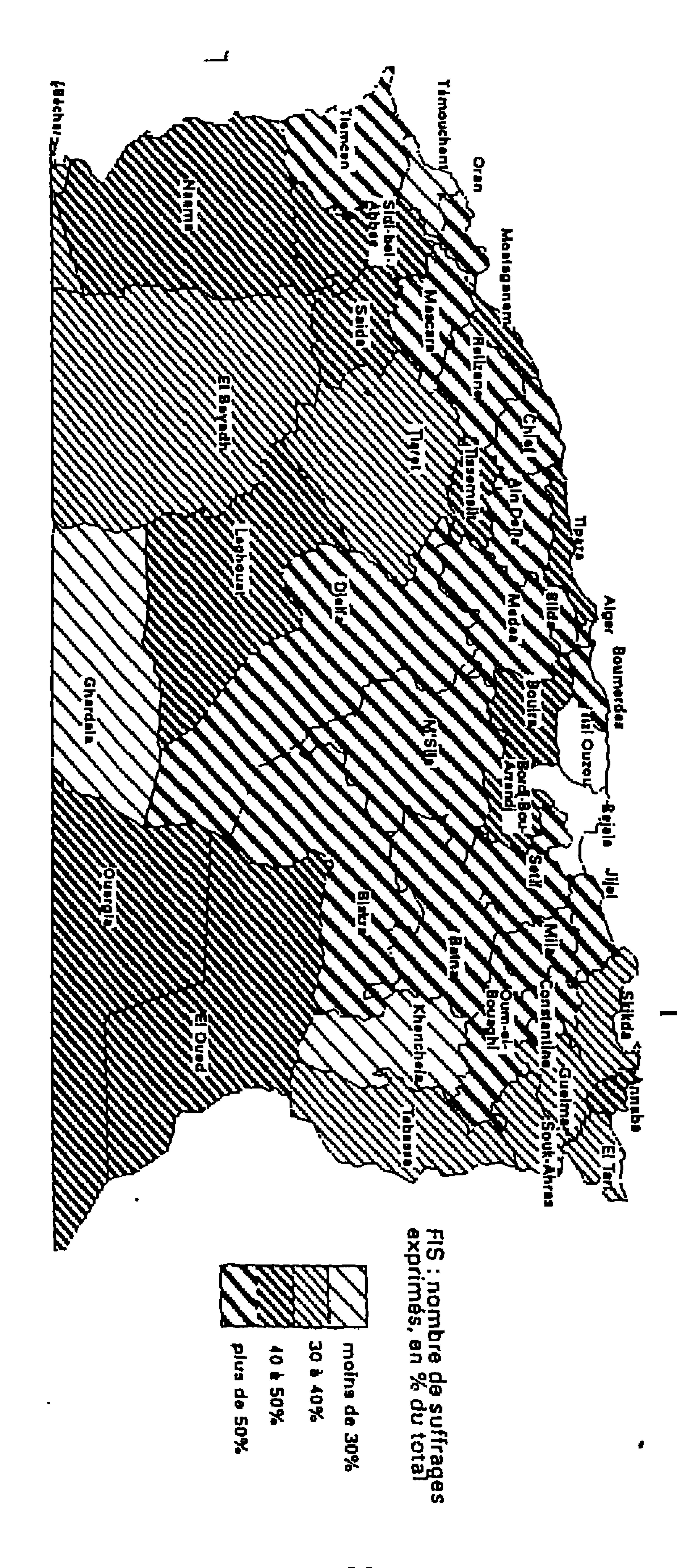


FIS : nombre de sièges obtenus, en % du total
moins de 30%
30 à 50%
50 à 70%
plus de 70%
Béchar
Temouchent
Oran
Tlemcen
Naama
Sidi-Bel-Abbes
Mostaganem
Mascara
Saida
Relizane
Chlef
Tiaret
Tissemsilt
Ain Defla
El Bayadh
Tipaza
Alger
Blida
Medea
Laghouat
Djelfa
Boumerdes
Bouira
Tizi Ouzou
M'Sila
Bordj-Bou-Arreridj
Bejaia
Setif
Jijel
Ghardaia
Mila
Skikda
Constantine
Batna
Biskra
Oum-el-Bouaghi
Khenchela
Annaba
Guelma
Souk-Ahras
El Tarf
Tebessa
Ouargla
El Oued


Indépendants : nombre de sièges obtenus, en % du total
moins de 1%
1 à 5%
5 à 10%
plus de 10%
Alger
Boumerdes
Tipaza
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Tizi Ouzou
Blida
Medea
Bouira
Bordj-Bou-Arreridj
Setif
Mila
Constantine
Guelma
Souk-Ahras
Oum-el-Bouaghi
Chlef
Ain Defla
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Témouchent
Mascara
Tiaret
M'Sila
Batna
Khenchela
Tebessa
Sidi-bel-Abbes
Tlemcen
Saida
Djelfa
Biskra
Laghouat
El Bayadh
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Bechar
© L'OEG/SL, 10/1994



Élections aux législatives, décembre 1991
sources : Salah-Eddine Cherrad, "Elections municipales et législatives en Algérie", *Espace Rural*, 29, oct 1992
Alger
Boumerdes
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Tipaza
Tizi Ouzou
Blida
Bouira
Chlef
Aïn Defla
Medea
Bordj-Bou-Arreridj
Setif
Mila
Guelma
Constantine
Souk-Ahras
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Oum-el-Bouaghi
Témouchent
Mascara
M'Sila
Batna
Khenchela
Tebessa
Sidi-bel-Abbes
Tiaret
Saida
Tlemcen
Biskra
Djelfa
Laghouat
El Bayadh
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Béchar
FLN : nombre de suffrages exprimés, en % du total
moins de 20%
20 à 30%
30 à 40%
plus de 40%


Alger
Boumerdes
Bejaia
Jijel
Skikda
Annaba
El Tarf
Tipaza
Tizi Ouzou
Blida
Chlef
Ain Defla
Medea
Bouira
Bordj-Bou-Arrendj
Setif
Mila
Constantine
Guelma
Souk-Ahras
Mostaganem
Oran
Relizane
Tissemsilt
Oum-el-Bouaghi
Batna
Témouchent
Mascara
Tiaret
M'Sila
Khenchela
Tebessa
Sidi-bel-Abbes
Saida
Tlemcen
Djelfa
Biskra
Laghouat
El Bayadh
Naama
El Oued
Ouargla
Ghardaia
Béchar
FIS : nombre de suffrages exprimés, en % du total
moins de 30%
30 à 40%
40 à 50%
plus de 50%

١ – عين تيموشين .
٢ – وهران .
٣ – موتستغانم .
٤ – تيبازا .
٥ – الجزائر (العاصمة) .
٦ – بومرداس .
٧ – بجايه .
٨ – جيجيل .
٩ – سُكيكِده .
١٠– عنابه .
١١– الطرف .
١٢– سوق أهراس .
١٣– تِبسّه .
١٤– الواد .
١٥– ورْجله .
١٦– غردايه .
١٧– بِشار .
١٨– النعامه .
١٩– تلمسان .
٢٠– سيدى بلعباس .
٢١– سعيده .
٢٢– معسكره .
٢٣ – تيارث .
٢٤ – غليسان .
٢٥ – أشليف .
٢٦ – عين الدلفه .
٢٧ – لبيده .
٢٨ – المديه .
٢٩ – تيزى أوزو .
٣٠ – بويْره .
٣١ – برج بوعْريرج .
٣٢ – مِسليه .
٣٣ – الجلفه .
٣٤ – البياض .
٣٥ – لغوات .
٣٦ – بيسْكره
٣٧ – باتنه .
٣٨ – سطيف .
٣٩ – ميله .
٤٠ – قسطنطينة .
٤١ – جِلْما .
٤٢ – أم لِبْواقى .
٤٣ – خنشله .

المؤلفة فى سطور

سيڤيرين لابا ، باحثة فرنسية عاشت فى الجزائر . اهتمت بالصراعات السياسية والاجتماعية التى شهدتها الجزائر فى الربع الأخير من القرن العشرين .

كتبت بالتعاون مع آخرين :

الدراما الجزائرية ، منشورات لاديكوڤرت عام ١٩٩٤

ثم **الجزائر فى الحرب** ، عام ١٩٩٥

جاء كتابها الأخير **الإسـلاميون الجـزائريون** ثمرة بحوث عديدة قامت بها المؤلفة فى مناطق عديدة من الجزائر ، قابلت خلالها الكثيرين من الشخصيات المهمة فى المشهد الجزائرى ، بالإضافة إلى العديد من البحوث الميدانية ، حاورت خلالها عدداً كبيراً من النماذج التى تمثل مختلف الاتجاهات فى الصراع الجزائرى .

المترجم فى سطور

حمادة إبراهيم

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة فى أكاديمية الفنون وكاتب وناقد مسرحى ومترجم .

من مؤلفاته الإبداعية مسرحيات :

- حامى وحرامى .
- فى انتظار الكلاب .
- الطواغيت .
- متحف الفن الحديث .
- العجل الذهبى .

ومن مؤلفاته النقدية :

- سلسلة بانوراما المسرح الفرنسى (الكلاسيكية ، الرومانسية ، المسرح الحديث) .
- إبداع الأطفال ، الحقيقة والأسطورة .
- التقنية فى المسرح .
- المسرح المعاصر من المعارضة إلى الإبداع .
- عالم صمويل بيكيت .

ومن أهم المترجمات :

- الأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسى أوجين يونكو ، وللكاتب ألفريد جارّى.
- مسرح الغرفة (عشر مسرحيات لجان تارديو) .
- المشاركة فى ترجمة ومراجعة موسوعة "وصف مصر" .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي　مجموعة من النقاد　ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه　چون بولوك وعادل درويش　ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى　حسنة بيجوم　ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة　فرانسيس هيندسون　ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ　أرلين علوى ماكليود　ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد　سادى پلانت　ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع　وول شوينكا　ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده　فرچينيا وولف　ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)　سينثيا نلسون　ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام　ليلى أحمد　ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر　بث بارون　ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق　أميرة الأزهرى سنبل　ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط　ليلى أبو لغد　ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية　فاطمة موسى　ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان　جوزيف فوجت　ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية　نيقل الكسندر وفنادولينا　ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب　چون جراى　ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى　سيدريك ثورپ ديڤى　ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة　ڤولڤانج إيسر　ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب　صفاء فتحى　ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن　سوزان باسنيت　ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة　ماريا دولورس أسيس جاروته　ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية　أندريه جوندر فرانك　ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)　مجموعة من المؤلفين　ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة　مايك فيذرستون　ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا　طارق على　ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة　بارى ج. كيمب　ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)　ت. س. إليوت　ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا　كينيث كونو　ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية　چوزيف مارى مواريه　ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف　إيڤلينا تارونى　ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال　ريشارد ڤاچنر　ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار　هربرت ميسن　ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية　مجموعة من المؤلفين　ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل　أ. م. فورستر　ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى　ديريك لايدار　ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة　كارلو جولدونى　ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنيال وألان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ - شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت . ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – ساحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت . السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردياً ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	روميلو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت . نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت . بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت · مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليناور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ بايتبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت البراق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ – انتصار السعادة — برتراند راسل — ت : إلهامى عمارة

٤١٠ – خلاصة القرن — كارل بوبر — ت : الزواوى بغورة

٤١١ – همس من الماضى — جينيفر آكرمان — ت : أحمد مستجير

٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢) — ليفى بروفنسال — ت : نخبة

٤١٣ – أغنيات المنفى — ناظم حكمت — ت : محمد البخارى

٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب — باسكال كازانوفا — ت : أمل الصبان

٤١٥ – صورة كوكب — فريدريش دورنيمات — ت : أحمد كامل عبد الرحيم

٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر — أ. أ. رتشاردز — ت : مصطفى بدوى

٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥ — رينيه ويليك — ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد

٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية — جين هاثواى — ت : عبد الرحمن الشيخ

٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية — جون ماريو — ت : نسيم مجلى

٤٢٠ – مكرو ميجاس — فولتير — ت : الطيب بن رجب

٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى — روى متحدة — ت : أشرف محمد كيلانى

٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١ — نخبة — ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم

٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف — نخبة — ت : وحيد النقاش

٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق — نور الدين عبد الرحمن الجامى — ت : محمد علاء الدين منصور

٤٢٥ – من طاووس حتى فرح — محمود طلوعى — ت : محمود سلامة علاوى

٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان — نخبة — ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب

٤٢٧ – بانديراس الطاغية — باى إنكلان — ت : ثريا شلبى

٤٢٨ – الخزانة الخفية — محمد هوتك — ت : محمد أمان صافى

٤٢٩ – هيجل — ليود سبنسر وأندرزجى كروز — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٤٣٠ – كانط — كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٤٣١ – فوكو — كريس هيروكس وزوران جفتيك — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٤٣٢ – ماكياڤلى — باتريك كيرى وأوسكار زاريت — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٤٣٣ – جويس — ديفيد نوريس وكارل فلنت — ت : حمدى الجابرى

٤٣٤ – الرمانسية — دونكان هيث وجودن بورهام — ت : عصام حجازى

٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة — نيكولاس زربرج — ت : ناجى رشوان

٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١) — فردريك كوبلستون — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق — شبلى النعمانى — ت : جلال السعيد الحفناوى

٤٣٨ – بطلات وضحايا — إيمان ضياء الدين بيبرس — ت : عايدة سيف الدولة

٤٣٩ – موت المرابى — صدر الدين عينى — ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب

٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية — كرستن بروستاد — ت : محمد الشرقاوى

٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة — أروندهاتى روى — ت : فخرى لبيب

٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية) — فوزية أسعد — ت : ماهر جويجاتى

٤٤٣ – اللغة العربية — كيس فرستيغ — ت : محمد الشرقاوى

٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة — لاوريت سيجورنه — ت : صالح علمانى

٤٤٥ – حول وزن الشعر — پرويز ناتل خانلرى — ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. ب. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايڤانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكا رايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد التنة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ –الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى

العنوان	المؤلف	المترجم
٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسِّرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار الببغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديسًا	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ – سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهيم
٥٠٨ – المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقى جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ – الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ – الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ – كوكب مرقّع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ – كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت جمال عبد الناصر
٥١٣ – العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ – مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ – من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت : فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ – إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	آرنولد واشنطون – ودونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ – نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ – استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ – محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ – الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت : أمل الصبان

٥٢١ - قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ - إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٣ - الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٤ - الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ - موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ - علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت : محيى الدين مزيد
٥٢٧ - كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيرى
٥٢٨ - تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	ت : جمال الجزيرى
٥٢٩ - بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠ - مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ - ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت : صفاء فتحى
٥٣٢ - المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت : بشير السباعى
٥٣٣ - تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوى
٥٣٤ - الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت : حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠١٤٤ / ٢٠٠٣





الإسلاميون الجزائريون

بين صناديق الانتخاب والأدغال

هذا الكتاب ثمرة بحث جاد فى كل من فرنسا والجزائر، وهو يلقى الضوء على الأهداف الاجتماعية لجبهة الإنقاذ الإسلامية واستيلاء الإسلاميين فى الجزائر على الحكم، ويقدم تحليلاً دقيقًا لأيديولوچية اجتماعية معارضة هى أداة الوصول إلى السلطة السياسية. والكتاب فى مجمله مجموعة من الدروس المهمة التى يفيد منها أطراف الصراعات الأيديولوچية والسياسية التى اجتاحت – وما تزال تجتاح – مناطق كثيرة من العالم المعاصر. وإن مثل هذه الدروس لجديرة بأن تجنب الانزلاق إلى الغلوّ وإلى الهاوية التى لا تبتلع الأطراف المتصارعة وحدها، بل تقضى أيضًا على الأبرياء، وتهلك الحرث والنسل، وتدمر القيم، وتشيع الفساد.

الغلاف / أسامة العبد